الجوبة

ملف العدد

رحيل العلامة: د. عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري..
رائد علم الآثار بالمملكة.

د. عبدالواحد الحميد، د. خليل المعيقل، د. سعد الراشد، أ. د. زيدان كفافي،
أ. د. العباس سيد أحمد، د. عبدالله مصري، أ. د. أحمد الزيلعي، أ. د. علي الغبان،
د. عبدالناصر الزهراني، د. علي المغنّم، محمد القشعمي، أ. د. لبنى الأنصاري.

- محور خاص: إبراهيم الحسين.. والنافذة التي يطل بها على العالم..
- إبراهيم الخليف: ذاكرة الجوف.
- عبدالفتاح كاليليطو الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية.
- دراسات ونقد.
- نصوص.
- قراءات.

لائحة برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية ودعم البحوث والرسائل العلمية في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

١- نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية

يهتم بالدراسات، والإبداعات الأدبية، ويهدف إلى إخراج أعمال متميزة، وتشجيع حركة الإبداع الأدبي والإنتاج الفكري وإثرائها بكل ما هو أصيل ومميز.

ويشمل النشر أعمال التأليف والترجمة والتحقيق والتحرير.

مجالات النشر:

أ - الدراسات التي تتناول منطقة الجوف ومحافظة الغاط في أي مجال من المجالات.

ب- الإبداعات الأدبية والفكرية بأجناسها المختلفة (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

ج - الدراسات الأخرى غير المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

شروطه:

١- أن تتسم الدراسات والبحوث بالموضوعية والأصالة والعمق، وأن تكون موثقة طبقاً للمنهجية العلمية.

٢- أن تُكتب المادة بلغة سليمة.

٣- أن يُرفق أصل العمل إذا كان مترجماً، وأن يتم الحصول على موافقة صاحب الحق.

٤- أن تُقدّم المادة مطبوعة باستخدام الحاسوب على ورق (A4) ويرفق بها قرص ممغنط.

٥- أن تكون الصور الفوتوغرافية واللوحات والأشكال التوضيحية المرفقة بالمادة جيدة ومناسبة للنشر.

٦- إذا كان العمل إبداعاً أدبياً فيجب أن يتّسم بالتميّز الفني وأن يكون مكتوباً بلغة عربية فصيحة.

٧- أن يكون حجم المادة - وفقاً للشكل الذي ستصدر فيه - على النحو الآتي:

- الكتب: لا تقل عن مئة صفحة بالمقاس المذكور.
- البحوث التي تنشر ضمن مجلات محكمة يصدرها المركز: تخضع لقواعد النشر في تلك المجلات.
- الكتيبات: لا تزيد على مئة صفحة. (تحتوي الصفحة على «٢٥٠» كلمة تقريباً).

٨- فيما يتعلق بالبند (ب) من مجالات النشر، فيشمل الأعمال المقدمة من أبناء وبنات منطقة الجوف، إضافة إلى المقيمين فيها لمدة لا تقل عن عام، أما ما يتعلق بالبند (ج) فيشترط أن يكون الكاتب من أبناء أو بنات المنطقة فقط.

٩- يمنح المركز صاحب العمل الفكري نسخاً مجانية من العمل بعد إصداره، إضافة إلى مكافأة مالية مناسبة.

١٠-تخضع المواد المقدمة للتحكيم.

٢- دعم البحوث والرسائل العلمية

يهتم بدعم مشاريع البحوث والرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط، ويهدف إلى تشجيع الباحثين على طرق أبواب علمية بحثية جديدة في معالجاتها وأفكارها.

(أ) الشروط العامة:

١- يشمل الدعم المالي البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية، كما يشمل البحوث الفردية، وتلك المرتبطة بمؤسسات غير أكاديمية.

٢- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة متعلقًا بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط.

٣- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة جديدًا في فكرته ومعالجته.

٤- ألا يتقدم الباحث أو الدارس بمشروع بحث قد فرغ منه.

٥- يقدم الباحث طلبًا للدعم مرفقًا به خطة البحث.

٦- تخضع مقترحات المشاريع إلى تحكيم علمي.

٧- للمركز حق تحديد السقف الأدنى والأعلى للتمويل.

٨- لا يحق للباحث بعد الموافقة على التمويل إجراء تعديلات جذرية تؤدي إلى تغيير وجهة الموضوع إلا بعد الرجوع للمركز.

٩- يقدم الباحث نسخة من السيرة الذاتية.

(ب) الشروط الخاصة بالبحوث:

١- يلتزم الباحث بكل ما جاء في الشروط العامة (البند «أ»).

٢- يشمل المقترح ما يلي:

- توصيف مشروع البحث، ويشمل موضوع البحث وأهدافه، خطة العمل ومراحله، والمدة المطلوبة لإنجاز العمل.
- ميزانية تفصيلية متوافقة مع متطلبات المشروع، تشمل الأجهزة والمستلزمات المطلوبة، مصاريف السفر والتنقل والسكن والإعاشة، المشاركين في البحث من طلاب ومساعدين وفنيين، مصاريف إدخال البيانات ومعالجة المعلومات والطباعة.
- تحديد ما إذا كان البحث مدعومًا كذلك من جهة أخرى.

(ج) الشروط الخاصة بالرسائل العلمية:

إضافة لكل ما ورد في الشروط الخاصة بالبحوث (البند «ب») يلتزم الباحث بما يلي:

١- أن يكون موضوع الرسالة وخطتها قد أقرّا من الجهة الأكاديمية، ويرفق ما يثبت ذلك.

٢- أن يُقدّم توصية من المشرف على الرسالة عن مدى ملاءمة خطة العمل.

الجوف ٤٢٤٢١ ص.ب ٤٥٨ هاتف: ٠١٤٦٢٤٥٩٩٢ فاكس: ٠١٤٦٢٤٧٧٨٠
الغاط ١١٩١٤ ص.ب ٦٣ هاتف: ٠١٦٤٤٢٢٤٩٧ فاكس: ٠١٦٤٤٢١٣٠٧
الرياض ١١٦١٤ ص.ب ٩٤٧٨١ هاتف: ٠١١٤٩٩٩٩٤٦ جوال: ٠٥٥٣٣٠٨٨٥٣
info@alsudairy.org.sa
www.alsudairy.org.sa

الجوبة

ملف ثقافي ربع سنوي يصدر عن

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

هيئة النشر ودعم الأبحاث

د. عبدالواحد بن خالد الحميد — رئيسًا
أ. د. خليل بن إبراهيم المعيقل — عضوًا
أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري — عضوًا
د. علي دبكل العنزي — عضوًا
محمد بن أحمد الراشد — عضوًا

أسرة التحرير

إبراهيم بن موسى الحميد — المشرف العام
محمود الرمحي — محررًا
محمد صوانة — محررًا

الإخراج الفني: خالد الدعاس

المراسلات: هاتف: ٦٢٦٣٤٥٥(١٤)(٩٦٦+)
ص. ب ٤٥٨ سكاكا الجوف - المملكة العربية السعودية
www.alsudairy.org.sa
aljoubahmag@alsudairy.org.sa

ردمد ISSN 1319 - 2566

سعر النسخة ٨ ريالات - تطلب من فروع مركز عبدالرحمن السديري الثقافي
الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ ريالًا والمؤسسات ٦٠ ريالًا

مجلس إدارة مؤسسة عبدالرحمن السديري

فيصل بن عبدالرحمن بن أحمد السديري — رئيسًا
زياد بن عبدالرحمن السديري — العضو المنتدب
عبدالعزيز بن عبدالرحمن السديري — عضوًا
عبدالواحد بن خالد الحميد — عضوًا
خليل بن إبراهيم المعيقل — عضوًا
مشاعل بنت عبدالمحسن السديري — عضوًا
سلمان بن عبدالمحسن السديري — عضوًا
أحمد بن سلطان بن عبدالرحمن السديري — عضوًا
طارق بن زياد بن عبدالرحمن السديري — عضوًا
سلطان بن فيصل بن عبدالرحمن السديري — عضوًا
محمد بن سلمان بن عبدالرحمن السديري — عضوًا

قواعد النشر

١- أن تكون المادة أصيلة.
٢- لم يسبق نشرها ورقيًا أو رقميًا.
٣- تراعي الجدية والموضوعية.
٤- تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.
٥- ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.
٦- ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتّاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

«الجوبة» من الأسماء التي كانت تُطلق على منطقة الجوف سابقًا.

المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة والناشر.

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

يُعنى المركز بالثقافة من خلال مكتباته العامة في الجوف والغاط، ويقيم المناشط المنبرية الثقافية، ويتبنّى برنامجًا للنشر ودعم الأبحاث والدراسات، يخدم الباحثين والمؤلفين، وتصدر عنه مجلة (أدوماتو) المتخصصة بآثار الوطن العربي، ومجلة (الجوبة) الثقافية، ويضم المركز كلًا من: (دار العلوم) بمدينة سكاكا، و(دار الرحمانية) بمحافظة الغاط، وفي كل منهما قسم للرجال وآخر للنساء. ويتم تمويل المركز من مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

Alsudairy1385 0553308853

العدد ٧٩ - ربيع ١٤٤٤هـ (٢٠٢٣م)

رحيل العلامة د. عبدالرحمن الأنصاري رائد علم الآثار بالمملكة

عبد الفتاح كيليطو الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية وسابر أغوار السرد العربي

إبراهيم الخليف ذاكرة الجوف وأرشيف التعليم والتنمية

إبراهيم الحسين والنافذة التي يطل بها على العالم

المحتويات

الافتتاحية ٤

ملف العدد: رحيل العلامة د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري رائد علم الآثار بالمملكة ٦

الأنصاري.. رجل الريادة والتأسيس في الآثار - د. عبدالواحد الحميد ٧

عبدالرحمن الأنصاري في ذمة الله - د. خليل بن إبراهيم المعيقل ١١

الأنصاري عالمٌ وعَلَمٌ - د. سعد بن عبدالعزيز الراشد ١٤

عبدالرحمن الأنصاري: الذي أعرف - أ. د. زيدان عبدالكافي كفافي ٢٢

أفول نجم.. خواطر في رحيل الأنصاري - أ. د. العباس سيد أحمد محمد علي ٢٦

عَلَمٌ وعالِم في الآثار - د. عبدالله مصري ٢٩

البروفيسور عبدالرحمن الأنصاري - أ. د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي ٣١

الأنصاري.. مؤسس المدرسة الآثارية السعودية - أ. د. علي إبراهيم الغبان ٣٣

ذكريات مع أستاذنا الأنصاري - د. عبدالناصر الزهراني ٣٤

في ذكرى أستاذي أ. د. عبدالرحمن الأنصاري - د. علي المغنّم ٣٨

عبدالرحمن الأنصاري ١٣٥٤هـ-١٤٤٤هـ (١٩٣٥-٢٠٢٣) - محمد عبدالرزاق القشعمي ٤١

والدي الحبيب رحمه الله - أ. د. لبنى بنت عبدالرحمن الطيب الأنصاري ٤٥

دراسات ونقد: عبدالفتاح كيليطو الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية ٤٨

عبدالفتاح كيليطو قارئًا للجاحظ - علي بلجراف ٥٠

كيليطو المبحر بين ثقافتين.. الذي ينقح كتاباته باستمرار! - هشام بن الشاوي ٥٤

الاعترافات التي نريد - رائد العيد ٥٩

حول التجربة الأولى للكاتب أحمد مسلم - فراس حج محمد ٦١

«ما بعد الموت» عندما يحاكم السرد الروائي تاريخ الاستعمار - حنان الحربش ٦٥

عبد الله أحمد الفيفي وطائر الشَّبْغْطِر - فرج مجاهد ٦٨

نصوص: خريف - جميلة عمايرة ٧٥

مُعايدة - محمد الرياني ٧٧

كيف ترى النُّور؟ - سمر الزعبي ٧٨

قصص قصيرة جداً - محمد صوانه ٨٠

حوار داخلي مع أبي العلاء - خليف الغالب ٨١

قبس من لحظ زرقاء اليمامة - أحمد يحيى القيسي ٨٢

شَهْقَةُ مَاء في انبهاري وقد نسيتُ مُحَالِي - أميرة صبياني ٨٣

سمكة نهر تحلم بالمحيط - زكي الصدير ٨٤

في كل الأشياء رأيتك - عزت الطيرى ٨٥

مواجهات: حوار مع المترجم خلف القرشي - حاوره: عمر بوقاسم ٨٦

مع الكاتب والمترجم د. أحمد سمير سعد - حاوره: محمود حسنين ٩٣

نوافذ: أدبي الرياض واثنينية النعيم يكرّمان الدكتور أحمد السالم - محمود الرمحي ٩٩

العفّة في الشعر العربي - منى حسن ١٠٤

إبراهيم الخليف ذاكرة الجوف وأرشيف التعليم والتنمية - عبداللطيف الضويحي ١٠٩

اكتشاف منشآت حجرية يعود تاريخها إلى ٩٠٠٠ عام بجبل الظلّيات في الجوف ١١٢

محور خاص: إبراهيم الحسين والنافذة التي يطل بها على العالم - محمود الرمحي ١١٤

مع إبراهيم الحسين - حاوره: عمر بوقاسم ١١٥

الانفعال الشعري مع الوجود وإدراكات الوعي في نصوص إبراهيم الحسين - كاظم الخليفة ١٢٨

إبراهيم الحسين.. المُوَقِّعُ بوميض البرق - آدم فتحي ١٣١

هل يخطئ الموتى؟ - عبدالوهاب أبو زيد ١٣٤

إبراهيم الحسين.. صداقةٌ وقصّةُ كتابٍ ناقص - عبدالله السفر ١٣٥

بَرْقَةُ المصافحة الأولى - أحمد الجميد ١٣٧

قراءات: عزلة الرجل الحكاء «مجموعة قصصية» - أحمد العودة ١٣٩

لكم وللتاريخ، تأليف د. حمد المانع - عرض: غازي خيران الملحم ١٤١

الصفحة الأخيرة: أ. صلاح القرشي ١٤٤

افتتاحية العدد

■ إبراهيم بن موسى الحميد

عبدالرحمن الطيب الأنصاري، قامة علمية، يشار إليه بالبنان، فهو من روادنا الذين أفنوا زهرة شبابهم، ليس بين حقول المعرفة وحسب؛ بل إنه قد كان ينحت أبحاثة بين الصخر والحجر، معفراً يديه بتراب الوطن، مقترباً من تاريخ بلاده العريق حد الملامسة والانصهار، فأنجز عشرات الكتب والأبحاث العلمية؛ وقد بدأ حياته متخصصًا في اللغة العربية، ثم انتقل متبحراً في علوم الآثار والتاريخ، وشهد له القاصي والداني بعلو كعبه في علوم الآثار، وعُدَّ واحداً من علماء الآثار في المملكة العربية السعودية والعالم العربي. رحل مكلّلاً بالمجد والفخار يوم الاثنين ١٤ شعبان ١٤٤٤ (٦ نيسان/إبريل ٢٠٢٣) بعد أن أقعده المرض بضع سنوات.

كان العلامة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري، يعمل على استكشاف المواقع الأثرية في حقولها؛ من الفاو إلى الربذة، ومن مدينة سكاكا ودومة الجندل إلى المدينة المنورة والعلا، في المملكة العربية السعودية؛ وقبل ذلك على المستوى الدولي عندما شارك مكتشفاً و باحثاً في آثار مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك، رفقة باحثين وعلماء آثار من جامعته البريطانية، قبل احتلال القدس الشريف إبان حقبة السيادة الأردنية على الضفة الغربية في فلسطين.

إن صورة العلامة الأنصاري لا يمكن حصرها في سيرته الذاتية، وكتبه وأبحاثه التي تملأ الصفحات والكتب والمكتبات، بل يضاف إليها تلك البشاشة التي كان يتسم بها، والابتسامة الدائمة التي تميزه عند حديثه مع أترابه وتلاميذه بل وحتى مع من يلتقيه لأول مرة، وكان يغبطه عليها الكثير ممن عاشره وعمل

معه أو صادفه حتى في لقاء عابر، فالأنصاري رغم الهالة العلمية التي كانت تحيط به، ورغم تحلق المريدين حوله أينما حل أو رحل، ورغم المناصب التي كان يشغلها من الجامعة إلى مجلس الشورى.. بقي ذلك الرجل القريب من الجميع، لا تملُّ من حديثه، بل يأسرك شجو صوته الحنون، الذي يأتي وكأنه يلقي شعراً في محاوراته أو محاضراته على حد سواء.

حكاية العلامة الأنصاري حكاية لن تنتهيَ مع وفاته، رحمه الله، فالعالم الذي ترك ذلك الرصيد الوافر من المؤلفات والبحوث العلمية الآثارية وكتبه في حضارة المملكة العربية السعودية، وكذلك هذه السيرة العطرة التي اتسم بها، لابد أن تكون قد بنت مداميكها في النفوس والعقول، وفي المؤسسات الثقافية والعلمية التي عمل فيها، وكان طيفه حاضراً فيها، فالشجرة التي تغرس جذورها عميقاً لهيَ التي تعطي أطيب الثمر وأغزره!

لقد كان من بُعد النظر أن يبادر القائمون على مركز عبدالرحمن السديري الثقافي إلى استقطاب العلامة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في العام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) لتأسيس مجلة أدوماتو المتخصصة بعلوم الآثار، ورأس تحريرها لنحو سبعة عشر عاماً، تتويجاً لعلاقة قديمة ربطت العلامة الأنصاري بالمركز، فقد دأب على زيارة منطقة الجوف وإلقاء محاضراته والمشاركة في ندوات دار الجوف للعلوم. ولا ينسى المجتمع الثقافي تلك الندوة الكبرى التي عقدت في رحاب المركز عام ١٩٩٤ وأعلن خلالها الدكتور الأنصاري أن الحضارة العربية بدأت من الشمال، ومن منطقة الجوف تحديداً.. وليس من الجنوب كما هو سائد، وأن ملكة سبأ بلقيس كانت في دومة الجندل لا في اليمن. وحينها خصصت الصحف، ومنها جريدة عكاظ، ندوات كبرى على صفحاتها لمناقشة الأمر، باستضافة مستفيضة للعلامة الأنصاري وغيره من المختصين..

إنه واحد من الأعلام الذين فقدتهم المملكة والعالم العربي على حد سواء.. رحم الله الراحل الكبير، وأجزل له المثوبة والأجر، وعفا عنه.

رحيل العلامة د. عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري

رائد علم الآثار بالمملكة

من أبرز الشخصيات التي كان لها دور بارز في إنشاء علوم الآثار في المملكة العربية السعودية، وصاحب البصمة الأولى في إدخال هذا العلم في الجامعات في المملكة، وأبرزها جامعة الملك سعود.

ولد الأنصاري عام ١٩٣٥م، وأتم دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المدينة المنورة، وابتعث لإكمال دراسته الجامعية في مصر، فنال شهادة الليسانس في اللغة العربية في جامعة القاهرة عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وبعد عودته إلى المملكة، عمل معيداً في كلية الآداب بجامعة الملك سعود؛ ثم ابتعثته الجامعة بعد ذلك إلى بريطانيا لإكمال دراساته العليا في مجال تخصصه.

ولعل العمل الأهم الذي عرف به البروفيسور الأنصاري هو قيادته لأعمال التنقيب الأثري في قرية الفاو، جنوبي الجزيرة العربية، منذ العام ١٩٧٢ وحتى ١٩٩٥م حينما كان يعمل في جامعة الملك سعود. وقد وضع خلاصة تنقيباته في الفاو في كتاب عنوانه "قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام".

ومنذ عام ١٤٢٠هـ/ (٢٠٠٠م) رأس الأنصاري هيئة تحرير مجلة "أدوماتو" المتخصصة في مجال الدراسات والبحوث الآثارية في المملكة العربية السعودية والعالم العربي، التي تصدر عن مركز عبدالرحمن السديري الثقافي.

نال العديد من الجوائز والأوسمة، وله العديد من الكتب والمطبوعات في مجال الآثار والحضارة السعودية، لعل من آخرها تلك السلسلة التي تَتَبَّعَ فيها قرىً ظاهرة على طريق قوافل البخور، المعروف بين جنوبي الجزيرة العربية وشماليها، صدر منها أحد عشر كتاباً ترجم بعضها إلى لغات أخرى.. من بينها كتابه عن الجوف الصادر عام ٢٠٠٨م.

في هذا الملف، استكتبت الجوبة نخبة من أصدقاء الدكتور الأنصاري، وتلامذته، الذين عملوا معه في محافل عديدة منها: جامعة الملك سعود، وأعمال التنقيب الآثاري، وزمالة عضوية مجلس الشورى السعودي.. ليدوّنوا بأقلامهم انطباعاتهم، وما عرفوه عنه خلال عملهم معه.

عبدالرحمن الطيب الأنصاري..
رجل الريادة والتأسيس في الآثار

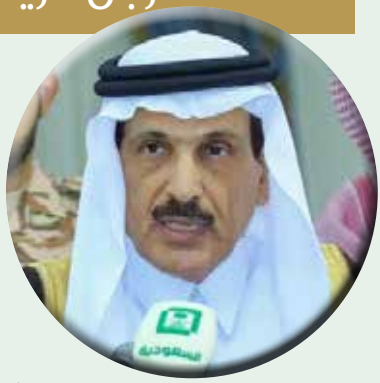

■ د.عبدالواحد الحميد*

ارتبط عِلمُ الآثار في ذاكرة أجيال متعاقبة من السعوديين باسم الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، فلم يكن أحدٌ قبله يتحدث عن الآثار كعلم يُدْرَس ويُدَرّس وفق منهجيات علمية أكاديمية؛ بل إن مجرد الحديث عن الآثار كانت تشوبه سابقاً الكثير من المحاذير بسبب سوء الفهم الذي كان معششاً في بعض الأذهان عن الآثار، وما تحمله من دلالاتٍ هي بعض ما توارثه الناس في ظل الانغلاق والعزلة، قبل أن تهبّ رياح التغير المعرفي والعلمي، وانتشار التعليم وانحسار الأمية، والانفتاح على العالم الخارجي.

فعندما عاد الدكتور عبدالرحمن الأنصاري من البعثة التي أمضى خلالها زمناً في جامعة ليدز ببريطانيا، والتحق بجامعة الملك سعود أستاذًا في كلية الأداب، لم يكن هناك تخصص أو قسم للأثار، إذ لم يكن من الوارد في ذلك الزمان تخريج طلاب متخصصين في الآثار بكل ما يحيط بها من شبهات ومخاوف، ولم يكن سوق العمل مهيئاً لتوظيف خريجي مثل هذا التخصص. ورغم ذلك سارع الدكتور الأنصاري إلى تأسيس جمعية التاريخ والآثار، يحدوه الأمل بأن تكون هذه الجمعية نواة ينبعث منها الاهتمام بالآثار، ويتبلور ذلك الاهتمام بأن تصبح الآثار تخصصاً أكاديمياً ضمن التخصصات التي تتيحها كلية الأداب لطلابها.

وشيئاً فشيئاً، بدأ الدكتور الأنصاري يؤسس لفهم جديد لمعنى وأهمية الآثار على نحوٍ يتجاوز ما كان متعارفاً عليه في البيئة المنغلقة السابقة. وكان قسم التاريخ هو القاعدة التي انطلق منها ليؤسس تخصص الآثار، ثم بعد ذلك يؤسس قسماً للآثار والمتاحف في كلية الأداب؛ وقد كان ذلك فتحاً كبيراً، وإيذاناً بعهد جديد تشهده الساحة الأكاديمية السعودية.

في الجامعة، انطلق الدكتور الأنصاري بحماسة في مجال العمل الأكاديمي، ليس فقط بوصفه أستاذاً يمارس التدريس وإجراء البحوث، وإنما

أيضاً كإداري أكاديمي؛ فقد تولى رئاسة قسم التاريخ ورئاسة قسم الآثار ووكالة عمادة كلية الأداب، وعمادة الكلية، والإشراف على مركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر بالجامعة، وكان حريصاً في كل تلك المواقع الإدارية الأكاديمية على تطوير الأداء، متسلحاً بما اكتسبه من معارف في دراسته بالخارج، ومستفيداً من تراكم تجاربه في المواقع المختلفة.

ولم ينغلق الدكتور الأنصاري على نفسه في برجٍ عاجيٍّ في دنيا الأكاديميا، بل خرج إلى الميدان. منقِّباً في المواقع الأثرية في مختلف مناطق المملكة، وكاشفاً عن كنوزها الآثارية التي ظلت على مدى قرون طويلة مطمورة وبعيدة عن الأعين، حتى ظن كثيرون أن هذه الجزيرة العربية ليست إلاّ بحاراً من الرمال، ولم تشهد حضارات ذات شأن، وأن كل ما يرِد من كتابات متناثرة في بعض الكتب القديمة عن ممالك غابرة في شبه الجزيرة العربية ما هو إلاّ أساطير لا يوجد ما يثبت وجودها على أرض الواقع!

قادته أبحاثه إلى موقع قرية الفاو التاريخية عاصمة مملكة كِندة، الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض؛ فترأس فريقاً علمياً للتنقيب في آثار القرية التاريخية، وتوالت أعمال التنقيب على مدى عدة مواسم، فكانت الاكتشافات مذهلة، وتبين أن منطقة الفاو كانت عامرة بالأسواق والمعابد والمساكن، ودلّت الأدوات التي عُثر عليها على مدى التحضر الذي شهدته تلك المنطقة، بما يكفي لإعادة كتابة تاريخ الجزيرة العربية، وطرق التجارة بين المراكز الحضرية التي كانت قائمة في الأزمنة الغابرة.

وقد مارس الدكتور الأنصاري دوراً توعوياً، خارج إطار عمله الأكاديمي، من خلال المحاضرات والندوات التي أقامها أو شارك فيها للتعريف بآثار الجزيرة العربية. فكان له حضورٌ مشهود في الملتقيات الثقافية والاجتماعية، وكان يوظف هذه الملتقيات لنشر الوعي بأهمية الآثار، وبما تختزنه بلادنا منها، وما ينبغي علينا جميعاً أن نقوم به تجاه هذا الإرث الآثاري حتى لو لم نكن من علماء الآثار. وكان كثيراً ما يكتب في الصحف عن ذلك، وكذلك يدلي بتصريحات لوسائل الإعلام المختلفة.

وقد تعرفتُ على الدكتور الأنصاري من خلال بعض الفعاليات الثقافية في المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) بالرياض، ومنتديات دار العلوم بالجوف (مركز عبدالرحمن السديري الثقافي لاحقاً)، لكن معرفتي اللصيقة به كانت عندما زاملته في الدورة الثانية من مجلس الشورى، حيث كانت تجري النقاشات تحت قبة المجلس، ثم اشتراكنا في عضوية بعض لجان المجلس، فعرفت الكثير من اهتمامات الدكتور الأنصاري التي لم تكن مقتصرة على التاريخ والآثار، وإنما كانت تتجاوز ذلك إلى قضايا الشأن العام، وقضايا الثقافة بمعناها الواسع. وقد جمعتنا، خلال عضويتنا في المجلس أثناء تلك الدورة، لقاءات جانبية مع زميلنا

رئيس مجلس إدارة مركز السديري الثقافي، فيصل بن عبدالرحمن السديري يكرم د. عبدالرحمن الطيب الانصاري رحمه الله خلال منتدى عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية، المنعقد بدار العلوم بالجوف، عام ١٤٣٤هـ (٢٠١٢م)، وإلى اليمين د. سلمان بن عبدالرحمن السديري.

في المجلس الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري، وكنا نناقش بعض أنشطة دار العلوم بالجوف (مركز عبدالرحمن السديري الثقافي)، فانبثقت فكرة إصدار مجلة فكرية محكّمة عن المركز بدلاً من مشروع آخر لم يُكتب له أن يرى النور، وهو إصدار مجلة باسم مجلة "الجوف" بعد أن توقفت مجلة "الجوبة" عند العدد رقم ١٣ الذي صدر بتاريخ أكتوبر ١٩٩٧م الموافق جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، والذي شارك فيه الدكتور الأنصاري بكتابة مقال بعنوان "تاريخ الجزيرة العربية القديم: دعوة إلى البناء"، وبإدارة ندوة بعنوان "الحضارات القديمة في شمال وشمالي غرب الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية وحتى عام ٥٧٠م". وقد شارك في تلك النقاشات التي تطورت وأصبحت تتم في مكتب الدكتور زياد السديري كل من الدكتور زياد والدكتور عبدالرحمن الأنصاري والأستاذ علي الراشد والدكتور سليمان الجريد وكاتب هذه السطور. وفي النهاية، تمخضت هذه النقاشات عن فكرة إصدار مجلة تعنى بالآثار، وهو ما يتناسب مع طبيعة منطقة الجوف الغنية بالمواقع الأثرية. وكان من الطبيعي أن يتم اختيار الدكتور الأنصاري لرئاسة تحرير المجلة التي سُمِّيت "أدوماتو"، وهو من الأسماء التاريخية القديمة لدومة الجندل بالجوف. واستمر الدكتور الأنصاري في رئاسة تحريرها وإثرائها وتوثيق العلاقات بينها وبين كبار الآثاريين السعوديين والعرب حتى العدد رقم ٣٥ الذي صدر في يناير ٢٠١٧م عندما حالت ظروفه الصحية عن الاستمرار في رئاسة تحريرها، فانتقلت الرئاسة إلى الدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل الذي كان

عضواً في هيئة تحريرها مع الدكتور عبدالله بن محمد الشارخ والدكتور محمد بن سلطان العتيبي. ومن حسن الطالع أن مجلة الجوبة، التي كانت قد توقفت عن الصدور في ذلك الوقت عادت بعد ذلك لتستأنف صدورها بتاريخ يناير ٢٠٠٦م الموافق محرم ١٤٢٧هـ في عددها الذي حمل الرقم ١٤.

وتقديراً لمكانة الدكتور الأنصاري، اختاره منتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية أن يكون الشخصية المكرمة للمنتدى في دورته السادسة، المنعقدة عام ١٤٣٤هـ ٢٠١٢م، التي كان عنوانها "آثار المملكة العربية السعودية: إنقاذ ما يمكن إنقاذه"، وقد قدمه رئيس مجلس إدارة مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية (مركز عبدالرحمن السديري الثقافي) الأمير فيصل بن عبدالرحمن السديري بقوله إن "هيئة المنتدى اختارت عالماً سعودياً ليكون شخصية المنتدى الذي يُكرم في هذا الحفل، وهو مثال للعالِم الذي بذل الكثير من الجهد والوقت في سبيل خدمة قطاع الآثار في المملكة، أستاذاً جامعياً، وباحثاً ميدانياً، منقباً ومكتشفاً وموثقاً ومؤلفاً للعديد من الكتب والمطبوعات في مجال الآثار والحضارة السعودية". وفي حفل التكريم، الذي أُلقِيَتْ خلاله العديد من الكلمات، كان تأثر الدكتور الأنصاري بالغاً، إذ علّق قائلاً: "لم أستطع أن أمسك نفسي من أن تنزل دمعاتٌ من عيني في هذه المناسبة!".

وفي ذلك الحفل، استرجع الدكتور الأنصاري بعض ذكرياته عندما عاد في عام ١٩٦٦م إلى أرض الوطن من جامعة ليدز بعد حصوله على درجة الدكتوراه قائلاً إنه كانت تحدوه آمالٌ عظام، وإنه يتمنى أن يتاح للمرأة "دخول قسم الآثار، ليس فقط لتدرس نصوصاً تاريخية، ولكن لكي تنقب عن الآثار. فالمرأة أصبر على التنقيب في طبقات الأرض من الرجل الذي يملّ وقد لا يتحمل، ولكن المرأة تتحمل وتستطيع أن تقوم بهذا العمل". وقد مَلَك الدكتور عبدالرحمن الأنصاري الشجاعة أن يعبر عن رأيه في دخول المرأة مجال الآثار في ذلك الوقت الذي لم تكن الظروف مواتية حين قال: "أشعر أن كثيراً ممن يستمعون إليَّ لا يرغبون في ذلك، ولكن أشعر أيضاً أن المرأة تستطيع وتستطيع وتستطيع". وقد تحققت آمال الدكتور الأنصاري بعد سنوات من تلك الكلمة التي ألقاها في قاعة دار العلوم بمركز عبدالرحمن السديري الثقافي بالجوف، وأصبح بوسع المرأة السعودية أن تدرس الآثار في الجامعات السعودية وتتخصص فيها، وتشارك أخاها الرجل في الكشف عن الكنوز الآثارية التي تضمها بلادنا في جميع مناطقها.

رحم الله العالِم الكبير، الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وجزاه خير الجزاء على ما بذله من جهود عظيمة في مجال الآثار، والتعليم الجامعي، والفكر والثقافة، وما قدّمه لوطنه من عطاءات في مختلف المجالات.

---

* اقتصادي، وكاتب سعودي.

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري في ذمة الله

■ د. خليل بن إبراهيم المعيقل*

في يوم الاثنين ١٤ شعبان ١٤٤٤هـ الموافق ٦ مارس ٢٠٢٣م فقد الوسط الأكاديمي في المملكة العربية السعودية واحداً من أعلام الآثار في المملكة والعالم العربي، ومن أقدم الأكاديميين، ومن أوائل من حصلوا على درجة الدكتوراة في علم الآثار في عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

تخرج الدكتور الأنصاري في جامعة القاهرة في مرحلة البكالوريس متخصصا في اللغة العربية عام ١٩٦٠م، وعاد إلى أرض الوطن، وعين معيداً بقسم اللغة العربية بكلية الأداب، وفي العام التالي ابتعث لدراسة الدكتوراة في جامعة ليدز بإنجلترا، وأثناء دراسة السنة الأولى التمهيدية قرر الأنصاري دراسة الكتابات الدادانية، فدرس نقوش مملكة دادان في العُلا، وحصل على درجة الدكتوراة في دراسات النقوش السامية.

عاد عام ١٩٦٦م إلى أرض الوطن، وعين أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود. إلا إن شغف الأنصاري بالآثار والتاريخ القديم وجهه إلى بداية تأسيس بنية أكاديمية للدراسات الآثارية بجامعة الملك سعود؛ فبدأ بتأسيس جمعية التاريخ والآثار بقسم التاريخ عام ١٩٦٦م، في السنة نفسها التي عاد بها من الابتعاث، وكانت هذه الجمعية هي التي التحق بها بعض زملاء الدكتور الأنصاري وطلابه. وبدأت تلك الجمعية تعنى بالآثار في المملكة من خلال الزيارات الميدانية التي تقوم بها لمواقع الآثار في مناطق المملكة المختلفة، وبدأت الجمعية بجمع القطع الأثرية التي تهدى لها، وكانت تلك القطع تعرض في أروقة كلية الآداب، وشكلت بداية الاهتمام بإقامة أول متحف للأثار في المملكة العربية السعودية.

في عام ١٩٦٢م شرع الدكتور الأنصاري وتحت مظلة جمعية التاريخ والآثار ببداية أول وأهم مشروع تنقيب في المملكة، في موقع الفاو(قرية ذات

كهل)، وقد أماطت أعمال التنقيب اللثام عن موقع أثري ومدينة قديمة يعود تاريخها إلى فترة القرن ألأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي، والتي كانت عاصمة لدولة كندة.

في عام ١٩٧٨م أسس الدكتور الأنصاري قسم الآثار والمتاحف، وأصبح رئيساً للقسم حتى عام ١٩٨٨م، حيث تولى القسم بقيادة الأنصاري تأسيس مدرسة أثارية سعودية خرّجت عدداً كبيراً من الطلاب المتخصصين بعلوم الآثار المختلفة، وتوسع القسم في أعمال التنقيب في موقع الفاو، وأضيف إليه موقع الربذة الذي يعود للعصر الإسلامي، وأصبح تخصص الآثار يدرس بالقسم من خلال مسارين أحدهما للأثار القديمة..

في صيف عام ١٤٠٠هـ، بدأت معرفتي بالفقيد الأنصاري، حيث تقدمتُ للقبول بهذا القسم الجديد، وكان من شروط القبول إجراء مقابلة شخصية للمتقدم، وكان رحمه الله يرأس لجنة المقابلة، ويحرص على اختيار الطلاب الذين لديهم الرغبة في دراسة هذا العلم الجديد. كانت لجنة المقابلة برئاسة الدكتور الأنصاري، وعضوية الدكتور وفيق غنيم، والدكتور غانم وحيدة. كان أول سؤال وجه لي من قبل الدكتور الأنصاري، لماذا ترغب دراسة الآثار، فأجبته إنني قادم من الجوف ذات الإرث الحضاري، وأود أن أدرس الآثار لخدمة وطني والاهتمام بأثار الجوف. فرد الأنصاري، ما دام لديك هذا الوعي فأهلا بك في قسم الآثار.

توطدت علاقتي بالدكتور الأنصاري خلال دراستي لمرحلة البكالوريس، وبعد تخرجي عام ١٩٨٣م تم تعييني معيداً بالقسم، وبدأت مرحلة البحث عن قبول لدراسة الماجستير والدكتوراة، كان رحمه الله شديد الحرص على إرسال المعيدين إلى أفضل الجامعات، وابرز أساتذة الآثار في العالم، وكان يحرص على ابتعاث المعيدين إلى دول مختلفة، بهدف تنويع المدارس العلمية، وتكوين علاقات علمية مع جميع الأقسام في الجامعات، لذلك حرص أن يطبق هذا المبدأ على مجموعتنا من المعيدين، وكنا خمسة.. ابتعثت انا إلى جامعة درم بإنجلترا، والزميل الدكتور عبدالعزيز الغزي إلى أمريكا، والدكتور عبدالله العمير إلى إسبانيا، والدكتور حميد المزروع إلى بريطانيا، أما الزميل الخامس فلم يباشر العمل وانسحب من الترشيح.

هذا التوجه الذي كان يتبناه الدكتور الأنصاري مارسه مع المعيدين الذين سبقونا ومع من جاء بعدنا، وقد أثمر بعد عودة المعيدين وحصولهم على درجة الدكتوراة، فتميز قسم الآثار بهذا التنوّع، وبالمدارس العلمية المختلفة التي أسهمت في تميز القسم وبناء علاقات علمية قوية مع جميع الجامعات العالمية.

بعد حصولي على درجة الدكتوراة وعودتي إلى قسم الآثار وتعييني أستاذاً مساعداً، توثقت علاقتي بأستاذي الدكتور عبدالرحمن الأنصاري من خلال الزمالة في القسم، والمشاركة في أعمال التنقيب

الأثري في موقع الربذة، وزيارة موقع الفاو. كان رحمه الله قريباً من الجميع، وكنا نرى فيه الأب الروحي الذي يرعى جميع منسوبي قسم الآثار من الأساتذة والموظفين.

كان يعاملنا بعد العودة من البعثة كزملاء، ولم يشعرنا أننا كنا طلابه في القاعات الدراسية وفي ميادين التنقيب الأثري، وعمل على تمكيننا من مفاصل العمل الأكاديمي، وإتاحة الفرصة للجميع للوصول للمواقع القيادية على مستوى القسم والكلية، وهذه صفات الكبار من الأساتذة الذين يرون في هذا التوجه دفعاً لمشروعهم الوطني، والمتمثل في خلق مدرسة أثارية سعودية أسهمت في تحقيق أهداف الدولة، لصون التراث الوطني، وحمايته، ودراسته، ونشرة.

المرحلة الثالثة من علاقتي بأستاذي الدكتور عبدالرحمن الأنصاري تمثلت بترشيحي لعضوية هيئة تحرير مجلة أدوماتو، بالتوافق بينه وبين سعادة الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري، مدير عام مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، حيث عملت أنا والزميل الدكتور عبدالله الشارخ مع الدكتور الأنصاري في التحضير لصدور مجلة أدوماتو تحت مظلة مؤسسة عبدالرحمن السديري، وبدعم كامل منها.

رأس الدكتور عبدالرحمن الأنصاري تحرير مجلة أدوماتو منذ صدور العدد الأول في شهر يناير عام ٢٠٠٠م حتى العدد الخامس والثلاثين الذي صدر في يناير ٢٠١٧م، عندما تخلى عن رئاسة التحرير بسبب مرضه. وخلال تلك الفترة، عملت مع أستاذي الدكتور الأنصاري في إدارة تحرير المجلة، وكنا نلتقي عدة مرات في الشهر، وقد أكسبتني تلك اللقاءات معرفته عن قرب، وكان يمنحني وزميلي الدكتور عبدالله الشارخ مساحة كبيرة للقيام بأعمال التحرير، وإبداء الرأي فيما يطرح على هيئة التحرير من أبحاث مقدمة للنشر، وكان يطلب منا إبداء الرأي عن مواضيع تلك الأبحاث ومدى ملاءمتها للنشر، واقتراح أسماء المحكمين.

العمل مع الدكتور الأنصاري في تحرير مجلة أدوماتو - خلال السبعة عشر عاماً التي ترأس فيها هيئة التحرير- أكسبني خبرة عملية واسعة، وقدرة على إدارة تحرير المجلة بعد أن ترجّل عن رئاسة تحريرها.

إن غياب الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري عن المشهد الآثاري السعودي والعربي سوف يترك فراغاً لا يعوّض، وسوف يظل أستاذنا حاضراً بيننا من خلال إرثه العلمي الذي يتمثل في كتبة التي تزيد عن الثلاثين كتاباً، وبحوثه العلمية التي تزيد كذلك عن الخمسين بحثاً.

رحم الله الدكتور عبدالرحمن الأنصاري رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته، وجعل كل ما قدمة من علمٍ صدقة جارية له إلى يوم الدين.

---

* رئيس جامعة حائل سابقا.

الأنصاري عالِمٌ وعَلَمٌ

■ د. سعد بن عبدالعزيز الراشد*

إنَ حديثي عن الفقيد الراحل الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري مبنيّ على صلة وثيقة به (رحمه الله) من العام الذي عاد فيه من بريطانيا، بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الكتابات والنقوش السامية، وهي علاقة أستاذ بتلميذه، والوالد بولده، والأخ بأخيه، والصديق بصديقه، أصبح بعد ذلك زميلاً له، ورفيق درب على مدى سنوات.

الأنصاري، واحد من أوائل المبتعثين السعوديين العائدين للمملكة بشهاداتهم العليا، كان لديهم أمنيات وطموحات لازمتهم، وهم في مراحل دراساتهم المبكرة في مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، أو الطائف أو جدة بوابة الحرمين. كانوا يتطلعون أن يكون في بلادهم جامعة، وتحققت أحلامهم مع إنشاء وزارة المعارف في عام ١٣٧٣هـ، وتعيين المغفور له خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز-أول وزير لها.

وفي تلك المناسبة خصص المعهد العلمي السعودي (تأسس عام ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، حصة التعبير ليكتب التلاميذ رسالة إلى سمو الوزير مهنئين ومعبرين عما يجيش في خواطرهم وتطلعاتهم من سموه، فكان أن كتب الأنصاري رسالة مؤرخة في (١٣٧٣/٥/٢٩هـ) الموافق (٣ فبراير١٩٥٤م)، جميلة في أسلوبها ومضمونها، ومما قاله في رسالته «إنك يا صاحب السمو محط الرجاء، ومناط الأمل في تأدية رسالتك على أطيب (وجه) تبلغ فيه هذه المملكة منتهى الرقي لنكون في مصاف الأمم الراقية إن لم نكن قادة للعروبة»، ومما قاله أيضاً «كما لا تنس من أن تجعل من مملكتنا باباً مفتوحاً لرواد العلم ينتهلون من ألوان الثقافة على أوسع نطاق مما لذ وطاب، وذلك لا يتأتى إلا مَتىَ فُتحتْ المعاهد والثانويات في كل مدينة وقرية، وفُتحتْ الجامعات متمشية في منهجها على هدف، هو نفع الوطن أولاً، والعروبة ثانياً، وإنّا يا مولاي ينقصنا كون بنات حواء لم يكن لهنّ من مناهل العلم رائد ولا من مستقى العلم مأرب... إذ أن معظمهم السواد من هذا الجنس لا يفهمن من أمور دينهن. ومن المتوقع في عهدكم... أن ينشر التعليم بينهن لكي ننشئ فتاة صالحة للوطن والعروبة... وأنه بإعدادنا للأم، إعداد لشعب، وهكذا نكون قد ارتقينا مرتقى صعباً بكل شهامة وخطى ثابتة بفضل توجيهاتكم، وما ذلك إلا إذا قبضتم على دفة الأمور بيد كلها إيمان وثبات وقوة وشجاعة وجأش؛ لتحقق بذلك ثقة المليك المفدى، وتؤدي واجب الشعب،

وتؤكد آمال الأمة. وفقكم الله في ظل العاهل المفدى، وأدام سموكم راعياً للنهضة الحديثة المباركة».

ولعل ما كتبه الأنصاري يعبر عن لسان حال زملائه الذي يجسد الوعي والطموح لجيل نشأ مع اكتمال كيان الوطن، المملكة العربية السعودية، وإرساء وحدته، وبداية النهضة التنموية.

وجاءت البشائر بصدور الأمر الملكي رقم (١٧ وتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٣٧٧هـ) بإنشاء جامعة الملك سعود. لكن الدكتور الأنصاري كان قد ابتعث لمصر لدراسة اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٣٧٦-١٣٨٠هـ) الموافق (١٨٥٦-١٩٦٠م) ويعود إلى أرض الوطن معيداً في كلية الآداب في جامعة الملك سعود.

كانت كلية الآداب قد استقرّتْ في مدرسة بنيت على الطراز الحديث -في حي الملز- وجَمعتْ على صغرها الفصول الدراسية والإدارة ومسكن الطلاب، لدرجة أن أول عميد لها (الأستاذ مصطفى السقا، رحمه الله)، كان يذهب إلى غرفة الطالب المتأخر في النوم ليوقظه ويحثّه على الدراسة. وبدأت الجامعة بعدد قليل من الطلاب لا يزيد عن واحد وعشرين طالباً، وحسب ما رواه معالي الدكتور عبدالعزيز الخويطر (رحمه الله) أمين عام الجامعة آنذاك، «أنه لما قيل لسمو الأمير (الملك فهد) وزير المعارف حينئذ إنه لا يصبح اقتصادياً افتتاح جامعة لواحد وعشرين طالباً، قال إننا نزرع نخلة لتظلل غداً آلافاً، وإذا لم تكن اليوم اقتصادية فغداً تكون»!

تتالى إنشاء الكليات في الجامعة عاماً بعد آخر، حتى اكتظت بعدد الأقسام في مختلف العلوم، وكان الهدف أن يكون في كل قسم نواة من السعوديين تكون مهمتها ليس فقط التدريس، ولكن معرفة الكفاءات التي يستعان بها في كل قسم، فنجحت هذه الخطة، وتطورت مع تطور الجامعة التي أصبحت من أرقى الجامعات.

تولى الدكتور الأنصاري تدريس تاريخ الجزيرة العربية القديم، والتاريخ الإسلامي المبكر. كانت أول محاضرة سمعتها منه- بدون استئذان- غيَرتْ مسار دراستي في مرحلة البكالوريوس. وبعد انتهاء المحاضرة وقفت في الخارج ريثما يغادر القاعة، قلت له يا دكتور عبدالرحمن أرغب في الانتقال من الجغرافيا إلى قسم التاريخ. رحب بي أجمل ترحيب، وبعد أن تبين له مدى جديتي وافق على انضمامي لقسم التاريخ. فقد أسرني حديثه في محاضراته، وأسلوبه المميز في سرد الأحداث التاريخية المطعمة بلمسات من الحضارة والآثار. كان تطرق إلى الرحالة الغربيين من إنجليز وألمان وفرنسيين ومؤلفاتهم، وعرج على الكتابات العربية القديمة وأشكال حروفها، ومضامين نصوصها. بدأنا نستوعب بالتدريج الخط المسند الجنوبي والشمالي، والكتابات الدادانية واللحيانية، والآرامية والنبطية، والمخربشات (الجرافيتية) التي أطْلق عليها كتابات البادية، والتي شاع اسمها في كتابات المستشرقين باسم (الثمودية).

كان الأنصاري يظل واقفاً أمامنا طوال مدة المحاضرة، ولا يجلس على مقعده المخصص إلاّ نادراً، ولا يملي علينا من كراس أو ملزمة، كل ما كان بيده ورقة صغيرة، فيها رؤوس

رئيس مجلس إدارة مركز السديري الثقافي، فيصل بن عبدالرحمن السديري، وإلى يساره د. عبدالرحمن الطيب الانصاري، شخصية منتدى عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية، المنعقد عام ١٤٣٤هـ (٢٠١٢م).

أقلام، يتتبعها بدقة، ويطلب- من الجميع المشاركة في المناقشة، ولا يُغفل أحداً. كان عدد طلاب القاعة لا يتجاوز العشرين طالباً، وجميعهم يُصغي، ويطرب لما يسمع، ويدون ما هو مكتوب على السبورة، ولا يغادر المحاضرة حتى يطلب من الجميع التحضير لموضوع محدد يلقيه على مسامع زملائه في المحاضرة القادمة.

وهكذا بدأت رحلتي مع التاريخ والآثار -ليست كمنهج دراسي محدد، ولكنها كانت مجرد تلميحات تمهيدية لمعرفة مصادر التاريخ القديم، إضافة إلى القرآن والسنة، والمصادر التاريخية العربية والأدبية ومنها الشعر الجاهلي.

أتذكر أني استعرت كتاب جرجي زيدان (تاريخ العرب) فوجدت فيه نقش امرؤ القيس المعروف للمختصين، فعكفت على رسم وتحبير كامل النقش، وتفكيك حروفه، ومطابقة أسطره، واجتهدت في معرفة مضامينه. وبعد يوم قدَمت ما أعددته على استحياء للدكتور الأنصاري، وبعد أيام استدعاني لمكتبه وناقشني فيما كتبت، وشكرني على اجتهادي، وشجعني على الاستمرار والمثابرة فقد يأتي اليوم الذي أراك فيه محاضراً في هذه الجامعة!

فاجأنا الدكتور الأنصاري بالتحضير لاجتماع عام لطلاب الكلية في المدرج رقم (٢٦) وكان العدد يزيد عن المئة طالب، وبحضور عدد من أساتذة الكلية، وأخبرنا أنَ الجامعة وافقت على تأسيس جمعية للتاريخ والآثار، ويكون لها هيئة إدارية، ولجنة فرعية للطلاب، وهي الواسطة بين الطلاب والهيئة الإدارية، وتدعى عند الحاجة إليها، وعليها المساعدة في تنفيذ مختلف أوجه نشاط الجمعية. تم الاقتراع على انتخاب الهيئة الإدارية للعام الدراسي ١٣٨٨/٨٧هـ-(١٩٦٨/٦٧م) برئاسة أ. د. عبدالعزيز صالح (رئيس قسم التاريخ) ويتولى سكرتارية الجمعية الدكتور الأنصاري،

وفي العام التالي تولى الرئاسة الدكتور الأنصاري.

أما اللجنة الفرعية الطلابية فقد فاز برئاستها الطالب سعد الناصر الراشد. كان شرفٌ عظيم أن أعمل عضواً فاعلاً مع قامة من العلماء أساتذتي في قاعة الدرس وزملاء في العمل التطوعي لخدمة التاريخ والتراث الحضاري لبلادنا العزيزة.

وهكذا، بدأت الجمعية نشاطها، في تنظيم الرحلات إلى المناطق القريبة من الرياض (الدرعية، والجبيلة، والعيينة، وسدوس) التي لم يكن الوصول إليها في ذلك الوقت بالأمر السهل، وقد أكرمني الله أن أكون من المتحدثين بجوار الدكتور الأنصاري، والشعفي، وعبدالرحمن الحجي، ونافع القصاب. لقد شعرنا أن هذه الرحلات التي توالت طوال مرحلة دراستنا الجامعية أثمرت في نشر الوعي الأثري والتاريخي، وإلقاء الضوء على مناطق تاريخية لها دورها الحضاري قبل الإسلام وبعده.

وتوالت رحلات الجمعية إلى مناطق أبعد من الرياض، فامتدت إلى الخرج والدوادمي وشمالي المملكة. واشتملت مناشط الجمعية إضافة إلى الحفلات والرحلات تنظيم المحاضرات وعرض الأفلام التاريخية والأثرية، والنشاط الإعلامي ومشاريع الجمعية. وكم كنت ممتناً عندما ألقيت بحثاً- وأنا في السنة الرابعة- بعنوان: « مدينة سامراء وآثارها الإسلامية» كان ذلك في ٨ رمضان ١٣٨٨هـ. علّق بعدها أستاذي الدكتور الأنصاري بما أثلج صدري ورفع من معنوياتي وخاصة عندما قال: «إنني أتنبأ لهذا الطالب أن نراه في المستقبل أستاذاً جامعياً في هذه الجامعة». تلك العبارات توضح الجوانب الإنسانية لأستاذ ومعلم عظيم في علمه وأخلاقه، وتعامله مع طلابه والتي لازمته في حياته العلمية والعملية والإدارية وحواراته الفكرية.

تعلمت أنا وزملائي في تلك المرحلة المبكرة، أدب الحوار والمناقشة، والاستماع، والتعامل مع المصادر العلمية ووسائل الإيضاح المتوافرة ومنها آلة السينما، والفانوس السحري.

ويعد موسم الجمعية الثاني في العام ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م) من المواسم التي تركت أثرها وآثارها العلمية والفكرية. قدم عميد الكلية الدكتور عزت النص بحثاً متفرداً بعنوان «التقديس وآثاره الجغرافية»، والدكتور عبدالرحمن الحجي عن «الآثار الإسلامية في الأندلس»، و«أضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي للحديث» للدكتور عبدالأمير محمد الأمين، و«المدرسة والتعليم في بلاد الرافدين» للدكتور محمود الأمين، و«تقويم جديد للدعوة العباسية» للدكتور فاروق عمر فوزي، وقدم الدكتور الأنصاري محاضرة بعنوان «لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية»، وهي أربع قبائل (عاد وثمود وطسم وجديس). وقد مهدت محاضرة الأنصاري هذه الأسس السليمة لتحقيق مواطن القبائل التي أطلق عليها (بائدة)، «وأن دراسة تاريخ القبائل البائدة إنما تدرس تاريخ فترة من تاريخ قبائل وسكان شبه الجزيرة العربية، ولذا يجب أن لا نصد عن دراسة هذه القبائل البائدة». وتسميتها بالبائدة -يقول الأنصاري- «إنما هي من وضع كُتّاب العرب، ولا أظن

في منتدى عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية، المنعقد بدار العلوم بالجوف، عام ١٤٣٤هـ (٢٠١٢م) بعنوان: آثار المملكة العربية السعودية إنقاذ ما يمكن إنقاذه. من اليمين د. سعد البازعي، د. عبدالراحد الحميد، د. عبدالله مصري، د. عبدالرحمن الأنصاري، د زياد الدريس.

أن شيئاً يبيد طالما أنه ترك أثراً يدل عليه، والآثار هي وسيلتنا إلى التوصل إلى معلومات ومعارف كثيرة عمن سبقونا وعما سبقتنا من حضارات»! واختتم محاضرته تلك بقوله: « لا نشك أن هناك دوراً حضارياً أدته هذه القبائل، ولكن هذا الدور الحضاري لا يمكن أن نقومه حق التقويم إلاّ إذا أجريت تنقيبات أثرية في الأماكن التي يظن أن فيها آثاراً لهذه الأمم. ويجب علينا أن نعضد دائرة الآثار بوزارة المعارف، وأن نقوم بحفريات أثرية تشاركها جامعة الرياض في ذلك، في مناطق متعددة في الجزيرة العربية، في وسطها وفي غربيها وفي شرقيها وفي شماليها. ويختم محاضرته بقوله: «وأنا أعتقد أن إجراء تنقيبات في الجزيرة العربية سيغير ويضيف كثيراً من الحقائق، لا بالنسبة للجزيرة العربية فحسب، ولكن بالنسبة للشرق الأدنى كله، إذ إن الجزيرة العربية كانت هي مصدر الجنس السامي الذي أضاف للإنسانية وللحضارة الشيء الكثير».

كانت إدارة الآثار السعودية قد تأسست بالأمر السامي رقم (٢٦٤٨٩) وتاريخ ١٣٨٣/١١/٨هـ، وصدر نظام الآثار بالأمر الملكي رقم م/٢٦ في ١٣٩٢/٦/٢٢هـ، وإنشاء المجلس الأعلى للآثار، وتولى الدكتور عبدالله حسن مصري بعد عودته بالدكتوراه في الآثار القديمة عام ١٩٧٣م، إدارة الآثار، وكان الدكتور الأنصاري عضواً في المجلس الأعلى للآثار من بداية تكوينه، واستمرت عضويته في المجلس حتى ضم وكالة الآثار والمتاحف بقرار من الدولة إلى الهيئة العليا للسياحة، ليتم اختياره عضواً في مجلس الإدارة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز (رحمه الله)، ثم يختاره صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار في اللجنة الاستشارية للآثار، واستمرت عضويته حتى اشتد عليه المرض. ولقد كان الدكتور الأنصاري خير معين مع الدكتور المصري في النهوض بإدارة الآثار ودورها العلمي، والميداني، وتأسيس البنى التحتية للآثار والمتاحف. وإزاء ذلك كانت الحاجة ملحة أن تستجيب الجامعة بإدخال شعبة لتدريس الآثار في قسم التاريخ، ثم رأى

المجلس الأعلى للآثار بعد ذلك أن تتحول شعبة الآثار إلى قسم للآثار والمتاحف، في عام ١٩٧٨م، وبهذا شهدت الآثار تحولاً كبيراً في المجال البحثي الجامعي والإداري والتنظيمي المؤسسي من قبل المجلس الأعلى للآثار.

أما تأسيس قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، فقد تم على أسس علمية ذات أبعاد للمستقبل، فعمل الدكتور الأنصاري مع زملائه المختصين في التاريخ والحضارة والآثار على معرفة تجارب المعاهد والأقسام الأكاديمية والبحثية المعنية بدراسات تاريخ وآثار الشرق الأدنى القديم والحضارة الإسلامية، في مختلف بلاد العالم بما فيها عالمنا العربي، وتم التواصل معهم بخصوص عزم الجامعة على افتتاح قسم للآثار والمتاحف، وهو الأول في الجزيرة العربية، فجاءت الردود الإيجابية المشجعة لهذه الخطوة، وتم الاستفادة من التجارب السابقة من الناحية العلمية والمنهجية، التي تتماشى مع الخطط الأكاديمية التي تتناسب مع خطة تأسيس القسم، الذي نهض وتطور واشتهر عالمياً، وتخرّج فيه أجيالٌ سلكوا طريق البحث العلمي باقتدار، ومنهم من شغل العمل المهني الأثري والإداري في إدارة الآثار، وكانوا على حسن الظن بهم.

كان اختيار المرشحين للابتعاث الخارجي للدراسات العليا يبنى على شروط وضوابط، منها مدى تمكن الطالب من مهارة البحث العلمي، واكتسابه الخبرة في العمل الميداني، والمردود العلمي والمهني المتوقع منه بعد التخرج، وكذلك التزامه بالتخصص والمؤسسة الأكاديمية المرشحة لقبوله فيها، سواء في أوربا أو أمريكا، وليس فقط الوجهة والمكان فحسب، بل التأكد من توافر الأكاديميين المؤهلين للإشراف العلمي، علماً أن خريجي قسم الآثار في الجامعة المبتعثين كان قبولهم ميسراً في دول الابتعاث نظراً لكفاءتهم العالية في التدريب الميداني وحصيلتهم المعرفية في مرحلة البكالوريوس.

ولد قسم الآثار والمتاحف في المبنى الرئيس لكلية الآداب الذي لم يتبق فيه متسع لاستيعاب الأقسام الجديدة؛ فاستؤجر مبنى ملاصق للكلية بالمشاركة مع قسم الدراسات الاجتماعية، لكنه لم يستوعب متطلبات قسم الآثار، فاستجابت الجامعة لاستئجار مبنى مستقل، وتم تجهيزه إدارياً وفنياً ومكتبة متخصصة في الآثار وعلوم المتاحف، وبعدها انتقل القسم إلى حرم الجامعة الجديد في الدرعية.

وخلال هذه التحولات المكانية كان القسم يتطور ميدانياً وعلمياً وعملياً، وما هي إلا سنوات معدودة ليشهد القسم عودة الطيور المهاجرة للعلم، وقد نالوا الشهادات العليا في اختصاصات متنوعة في الآثار.

كانت حفائر قرية الفاو مدرسة فريدة للكشف الأثري والتدريب العملي الميداني للأثاريين الشباب، وكذلك موقع الربذة الإسلامي. وقد شكلت المكتشفات الأثرية في الفاو والرَبذة مجموعة مهمة لمتحف الجامعة، والمتحف الوطني على حد سواء؛ كما شكلت تلك المعثورات مع المكتشفات في عدد من المواقع الأثرية الأخرى مادة مهمة لمعرض روائع آثار المملكة، الذي أقيم في عديد من المتاحف العالمية؛ في أوربا، وأمريكا،

والصين، واليابان، وكوريا الجنوبية، وغيرها من المحطات.

وللدكتور الأنصاري دور كبير في بث الوعي الأثري في المجتمع السعودي، من خلال البرامج الإذاعية، والتلفزيونية، والصحافة، ومحاضراته في الأندية الأدبية والرياضية، والأكاديميات العسكرية، والصوالين الأدبية، والمدارس، وخاصة خلال رحلات جمعية التاريخ والآثار. لقد ترك الأنصاري ذكريات عطرة في المجتمع السعودي، وقد لمست هذا عند زياراتي للكثير من القرى والمدن في مناطق المملكة، إذ وجدت كبار السن يذكرون زيارات الأنصاري للمواقع الأثرية والتاريخية في ديارهم. ففي تلك الرحلات التي تنظمها جمعية التاريخ والآثار، كانت المحاضرات العامة التي يقدمها تركز على الآثار والكتابات والنقوش، يحضرها أبناء المناطق بمختلف مشاربهم ومراحلهم العمرية، وقد تركت تلك المحاضرات أثرها، وما تزال راسخة في ذاكرة أجيال تلك الفترة.

وللدكتور الأنصاري مواقف مشرّفة في الندوات والمؤتمرات العلمية الدولية والقارية والإقليمية، وقد رافقته في العديد منها، فقد كان يؤمن برسالته التي يحملها وهي إبراز الهوية التاريخية والحضارية التي تعتز بها المملكة العربية السعودية، وما شرّفها الله به بأن تكون أرضها مهبط الوحي، والبيت الحرام، والحرمين الشريفين، ومهوى أفئدة المسلمين من كل فج، وقبلتهم، وإيمانه الصادق المبني على أسس علمية أن الجزيرة العربية هي مركز الحضارات الإنسانية المبكرة. ولهذا كان دوماً يركز على الوحدة الحضارية للجزيرة العربية، والنسيج الحضاري المشترك في المناطق التي امتدت إليها الحضارة العربية والإسلامية، وقد أسهم في الاشراف على عمل موسوعي تبنته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الأليكسو)، فصدر كتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية.

كان الدكتور الأنصاري قوي الحجة في مناقشاته مع العلماء الغربيين وغيرهم عندما يجد أخطاءً تروج عن تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. ويُحَب للدكتور الأنصاري مبادرته الفريدة في تبني جامعة الملك سعود تنظيم ندوة تاريخ الجزيرة العربية، تقام على دورات متتابعة، وتتناول تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها من أقدم العصور مروراً بالعصور التاريخية قبل الإسلام، وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، والأموية والعباسية، وما بعدها من فترات تاريخية؛ وقد استقطبت دورات ندوة تاريخ الجزيرة العربية المتوالية مئات الباحثين من جامعات ومراكز بحثية من أوربا وأمريكا والصين وجنوب غربي آسيا وإفريقيا والعالم العربي والإسلامي. كما تحققت أمنية الدكتور الأنصاري بتأسيس مجلة علمية آثارية في المملكة العربية السعودية تكون وعاءً للبحوث والدراسات المتخصصة في التاريخ والحضارة، يشارك فيها المختصون من أنحاء العالم، فكانت ولادة مجلة أدوماتو -مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بآثار العالم العربي- تتولى رعايتها وإصدارها مؤسسة عبدالرحمن السديري. وبفضل الله استوت المجلة على سوقها وذاع صيتها وانتشرت عالمياً.

وللأنصاري إسهام كبير في الإشراف والتحرير والمراجعة لكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، الذي تبنته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- وصدر في سبعة

مجلدات عام ٢٠٠٧م، وشارك في إعداده أكثر من (٣٠٠) من خيرة المؤرخين والباحثين العرب.

وكان الأنصاري في مقدمة أعضاء اللجنة العلمية للكتاب الموسوعي (فروسية) الذي صدر في مجلدين كبيرين باللغة الإنجليزية (عام ١٩٩٦م)، ومثلهما باللغة العربية (٢٠٠١)، ويحكي قصة الخيل عبر العصور وفنون الفروسية في تاريخ المشرق والمغرب، وكتب بحثاً عن «الحصان في آثار قرية الفاو» وكذلك عضويته في اللجنة التحضيرية لمعرض فروسية برئاسة صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود، وصاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز (رحمه الله) الذي افتتح برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز(ولي العهد آنذاك) ودعم وتشجيع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز (أمير منطقة الرياض آنذاك).

وفي الندوة المصاحبة للمعرض تحدث الدكتور الأنصاري مشيراً إلى أن الخيل مع أهميتها في التاريخ، إلاّ أن الجمال (الإبل) كانت أهم من الخيل عند الشعوب، لأن الخيل لا يقتنيها إلا الأثرياء، والاهتمام بها مكلف في تربيتها، وتدريبها، والإنفاق عليها، كما أن الخيل يقتصر استخدامها في معارك الكر والفر، وفي الأمور المستعجلة، ولكنها لا تتحمل اجتياز الصحارى، أو صعود الجبال، أما الجمل فهو سفينة الصحراء، وفيه من المنافع ما لا حصر لها، وطرح الدكتور الأنصاري فكرة إصدار عمل موسوعي عن الجمل عبر العصور، وقد لقيت الفكرة استحسان الحضور من العلماء والمهتمين بتراث الجزيرة العربية وحضارتها. وتحقق المقترح بالتعاون بين مؤسسة ليان الثقافية ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة باصدار عمل موسوعي «مجلدان باللغة الإنجليزية (٢٠٢٠)»، ومثلهما باللغة العربية. وقد تم إهداء هذا العمل الموسوعي باسم مؤسسة ليان الثقافية ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة للأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، رائد العمل الأثري في المملكة العربية السعودية تقديراً ووفاءً لخدمته لحضارة المملكة وتراثها. وقد تصدر العمل بحث للدكتور الأنصاري -مشاركة مع تلميذه الوفي الدكتور سالم بن أحمد طيران بعنوان (الجمل في حضارة قرية الفاو)، ومن محاسن الصدف أن يصدر هذا العمل متزامناً مع مبادرة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز (رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني-سابقاً) استحداث جائزة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري لخدمة آثار المملكة. وأملنا استمرارية تنظيم هذه الجائزة لتبقى منصة عالمية للبحوث والدراسات المعنية بآثار المملكة والجزيرة العربية، وبخاصة ونحن نشهد نقلة نوعية للبحوث والاكتشافات الأثرية في عموم مناطق المملكة في عهدنا الزاهر.

رحم الله الدكتور عبدالرحمن الأنصاري وجزاه الله خير الجزاء على ما قدمه من جهود، وما تركه من إرث وموروث تاريخي وحضاري للأجيال القادمة.

---

* مؤرخ وعالم آثار سعودي، وكيل لوزارة المعارف للآثار والمتاحف سابقًا.

عبدالرحمن الأنصاري الذي أعرف

■ أ. د. زيدان عبدالكافي كفافي*

كان ذلك صيف عام ١٩٨٩م، عندما رنّ جرس هاتفي، وكنت حينها أقضي إجازة تفرغ علمي بجامعة برلين الحرة بألمانيا، وكان المتحدث الأستاذ والصديق الدكتور عاصم البرغوثي أطال الله عمره، فاجأني بقوله «يسلم عليك الدكتور عبدالرحمن الأنصاري» ويعرض عليك العمل بقسم الآثار في جامعة الملك سعود. وهنا صمتّ لبرهة، وكأنني قلت لنفسي فكّر قبل الإجابة؛ لم يستغرق الأمر طويلاً، فأبلغته بالموافقة.

غادرت برلين إلى عمّان، حيث قضيت بعض الوقت مشرفاً على حفرية أبو الثواب، لكن وجب عليّ مغادرة عمان في شهر أيلول بعد أن حصلت على إجازة دون راتب من جامعة اليرموك، وحطت بنا الطائرة في مطار الرياض. في اليوم التالي رافقت الدكتور عاصم البرغوثي لمقابلة عميد كلية الآداب في جامعة الملك سعود «الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري»، ومقابلة رئيس القسم «الأستاذ الدكتور أحمد الزيلعي»، وبقية أعضاء القسم. كان الأنصاري علماً معروفاً بعلمه بين الآثاريين، فهو من أدخل تدريس الآثار للسعودية، وأنه يرأس فريق التنقيب في الفاو، فعرفته قبل أن أقابله شخصياً. ومنذ ذلك اليوم بدأت علاقتي مع الدكتور الأنصاري تأخذ بعدين؛ أكاديمي، وشخصي.

عندما ولجت لمكتبه مقابلاً إيّاه للمرحلة الأولى، هالني ابتسامته الدائمة ووجهة المنفرد؛ فرحب بي أيما ترحيب، وتحاورنا بأمور الآثار، وأعلمني أنه شارك في حفريات القدس التي أشرفت عليها كاثلين كنيون في بدايات ستينيات القرن الفائت. كما درس اللغة العربية في الجامعات المصرية، وأكمل دراساته في اللغات السامية القديمة بجامعة ليدز (حسب ما أذكر) ببريطانيا.

كان مكتب عميد كلية الآداب بالطابق الثاني، انتهى الاجتماع معه، وأخذني

الدكتور عاصم البرغوثي إلى الطابق السفلي حيث قسم الآثار، ودفع بي إلى مكتب رئيس القسم الدكتور الزيلعي، وزاد هذا الرائع الترحيب ترحيباً. وبعد هذا اللقاء اصطحبني الدكتور عاصم في جولة على أعضاء هيئة التدريس بالقسم، ومن ثم المتحف، والمختبرات. وكنت حيث أذهب أجد عضو هيئة تدريس أو فنيا أو إداريا عربيا من غير الجنسية السعودية، فقد جمع الأنصاري في القسم توافقاً عروبياً غير مسبوق. وبالطبع انعكس هذا التجمع على المنهج التدريسي وطبيعة التدريس في القسم؛ وبخاصة إذا ما علمنا أن أعضاء هيئة التدريس خريجو جامعات عالمية وعربية معروفة ومرموقة. وإذا كان النبض عروبياً، فإن الدم سعوديّ، إذ قرر الأنصاري بناء جيلٍ من أبناء وطنه، يحملون رايته؛ فكان يدفع بعديد من الشباب السعودي إلى الخارج لدراسة التاريخ القديم والآثار واللغات.

لم يخلع الأنصاري عباءته السعودية، بل بقي يحملها على كتفيه مباهياً ومعتزاً بها.

الأهم من المعلومة هو نشرها والتعميم بمعرفتها، وحتى يتم هذا.. فقد عقد الدكتور الأنصاري العديد من المؤتمرات التي تتحدث حول آثار العالم العربي بشكل عام، والجزيرة العربية بشكل خاص. إضافة لهذا فقد حرص على تأسيس دارٍ للنشر (دار القوافل) في الرياض، نشرت العديد من الكتب التي تعنى بتاريخ الجزيرة العربية وآثارها بشكل خاص. كما أنني ما أزال أذكر اهتمامه بمنهج البحث العلمي في كليته، وعقدَ مؤتمراً حول هذا الموضوع، وشرفني بأن أشاركه بحثاً عنوانه «تأصيل منهج البحث الأثري: المشرق العربي أنموذجاً»، ونشر هذا البحث في مجلة «العصور». ولم يكتف الأنصاري بهذا، بل وخلال ترؤسه لمجلة أدوماتو التي تصدر عن «مركز عبدالرحمن السديري الثقافي» عقد مؤتمرات تخص الآثار العربية في مدينة سكاكا/ الجوف. وكأن الأنصاري كان يريد أن يقول بهذا «أيها العرب، الجزيرة العربية هي الأصل والمكان»، دون الافصاح عما بداخله. وكان الأنصاري من العلماء العرب الذين دفعوا تجاه تأسيس «مجلس اتحاد الآثاريين العرب»، فانتخب نائباً لرئيس المجلس.

وأما في العمل الميداني، ففي أحد الأيام طلب مني مرافقة الدكتور عبدالعزيز الغزّي/ عضو هيئة التدريس في القسم آنذاك، لزيارة موقع اسمه «الثمامة»، وكانت سعادتي غامرة بهذه الزيارة. إذ إن الدكتور حامد أبو درك كان قد أجرى تنقيبات فيه، فاطلعنا على بعض المظاهر العمائرية، وجمعنا كسراً فخارية، وكتبنا تقريراً مشتركاً حول نتائج هذه الزيارة.

أما الزيارة الميدانية الأهم، فهي الرحلة التي قام بها قسم الآثار والمتاحف عام ١٩٩٠م لزيارة الحفرية الأثرية إلى موقع الفاو. إذ ركب المشاركون باصاً نقلنا من الرياض ليقطع مسافة حوالي ٧٠٠ كم إلى المنطقة الواقعة للجنوب الغربي من العاصمة

أ. د. عبدالرحمن الانصاري، رحمه الله.

الرياض. وكم كانت هذه الرحلة مفيدة لي، إذ تعرفت على مناطق جغرافية قرأت عنها، لكنني لم أحظ برؤيتها. وعندما وصلنا موقع الحفرية كان باستقبالنا وأعضاء الفريق، أذكر من بينهم الدكتور عاصم البرغوثي، والمرحوم الدكتور محمود الروسان اللذان شاركا في معظم إن لم يكن جميع مواسم التنقيب التي جرت في الفاو في سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن الفائت.

بدأ الأنصاري بشرح ما اكتشف؛ المعابد والمقابر، والسوق التجارية، والكتابات. كان يقدم المعلومة حول كل أثر في الموقع، وكأنه يقول هنا «قرّية» عاصمة مملكة كنده العربية. لكم أن تروا كيف أن هذه المملكة التي أنشئت على أطراف الربع الخالي قد كان لها دورٌ عظيمٌ بالاتصالات الحضارية العالمية، بشهادة المكتشفات الأثرية والكتابات المكتوبة بخطوط مختلفة، وبخاصة العربية الجنوبية المسندية. وأكثر ما أسعدنا أن كثيراً من الزملاء السعوديين قد عملوا بالحفرية حين كانوا طلاباً بقسم الآثار والمتاحف، وبدأ كل منهم يسرد ذكرياته خلال مشاركاته في الحفرية. وعندما أقبل الليل، دعانا إلى جلسة نقاشية حول ما رأيناه في الحفرية، وطلب إلينا أن ندلي بدلونا، أي كان يطلب المشورة العلمية من كل منا.

أما علاقتي الشخصية مع أبي محمد، فكانت علاقة الأخ الكبير والصديق الوفي، طيلة المدة التي عرفني بها. فقد حدث أن نشرت كتاباً عام ١٩٩٠م، أي حين كنت أعمل في قسم الآثار بجامعة الملك سعود عنوانه «العصور الحجرية في الأردن»، فأهديته نسخة منه. بعد مدة طلب مني نسخة أخرى، وبعد أن أحضرتها، طلب إلي أن أرافقة لزيارة معالي وزير التعليم العالي (أذكر أنه العنقري) وطلب إلي أن أقدم نسخة الكتاب لمعاليه بنفسي، وهذا يدل على مدى اعتزازه

بي. بل أكثر من ذلك، أذكر فيما أذكر، أنه قال لي «يسعدني جداً أن تكتب كتاباً عن تاريخ الجزيرة العربية وآثارها قبل الإسلام، وأحمد الله أنني حققت له هذه الأمنية، ونشر لي كتاب بهذا العنوان عن طريق مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في الرياض عام ٢٠١٧م. وأكثر من هذا، فقد اختارني عضواً للهيئة الاستشارية لمجلة «أدوماتو»، كما أنه أشركني بجميع المؤتمرات التي عقدها مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في سكاكا، وأتشرف بأنني عضو شرف فيه. هذه المشاركات هي التي ساعدتني كثيراً بالاقتراب كثيراً من تاريخ الجزيرة العربية وآثارها قبل الإسلام.

أثناء إقامتي وعائلتي بالرياض، تشرفت بزيارة المرحوم أبا محمد لبيتي أكثر من مرة سائلاً ومطمئناً، عن أحوالي وعائلتي. وما أزال أذكر تلك السهرة في البر، والتي كانت التجربة الأولى لي بمثل هذه السهرات الممتعة. وعندما هممت بالعودة إلى جامعة اليرموك، زرته أنا وبصحبة المرحوم الدكتور محمود الروسان طالبين الإذن بالمغادرة، فما كان منه إلاّ أن عرض علينا البقاء وحفّزنا بزيادة الراتب. هكذا تمسك بنا المرحوم، كان يحب الجميع، والجميع يحبه.

وعلى الرغم من مغادرتي لجامعة الملك سعود، فقد تواصل حبل العمل والود مع الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري. فقد زارنا في الأردن غيرَ مرة، وزرناه في السعودية مثلها. ظل حبل الود الأنصاري ممدوداً مع جميع من عملوا بقسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود. وبقي الأمر هكذا حتى علمنا أن الهرم السعودي يعاني من المرض، وبقينا على تواصل مع الأخوة السعوديين والعاملين معه سائلين عن أحواله، داعين له بالشفاء والعافية، لكن كانت يد القدر أقوى من دعائنا.

وهكذا، غاب جسد عبدالرحمن الأنصاري عن أنظارنا، لكنه بقي ساكناً في قلوبنا.

رحم الله فقيدنا أستاذنا العلاّمة الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وأسكنه فسيح جناته.

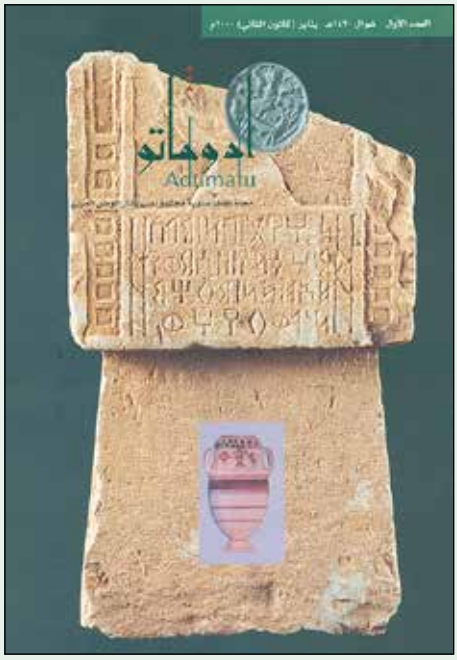

صدر العدد الأول من مجلة أدوماتو عام ٢٠٠٠م، ورأس تحريرها الدكتور عبدالرحمن الأنصاري لمدة ١٦ عاما.

* عالم أثاري، ورئيس جامعة اليرموك سابقا.

أفولُ نجم
خواطر في رحيل الأنصاري

■ أ. د. العباس سيد أحمد محمد علي*

يقول علم الفلك إن نجوماً كانت تسبح بعيداً في فضاء هذا الكون، نرى الآن ضوءها بعد أن غابت عن أفلاكها. غير أن الضوء ما يزال يواصل مساره ليكمل طريقه في البعد الشاسع بين مصدره ودنيانا. وهناك نجوم أخرى قابعة في أماكنها في الوجود البعيد، لكن وجودها وعطاءها الكوني، لا يغيبان عنا، لا أثراً ولا تأثيراً. ولعل الحال كذلك في عالم البشر الذين مضوا وما تزال هالة أضوائهم تنير دروب العتمة..!

أستحضر هذا الابداع الإلهي وأنا أعيش وقت أفول نجم من سماء الدراسات الحضارية، ظل يرسم ويضئ مسار المعرفة، بعزيمة نافذة وصبر متصل، أسطع ضوءًا وأبهى بريقاً عند كل عثرة.

كان مولد النجم الطفل نحو منتصف العقد الرابع من القرن الماضي (١٩٣٥م)، والعالم يعيش آثار حرب كونية أولى. وقبل سنوات من حرب كونية أخرى، تسببت في ضائقة اقتصادية هي الأضخم في التاريخ البشري. في ذلك المناخ الموحش، والعالم المثالي يتفتت من حوله، تفتحت عينا النجم الوليد على عالم لم تكن قدماه قادرة على ولوج وحله. لكن حضوره في مدينة رسول الأمة، وفي كنف أسرة تعرف مواقع الفضيلة وتفيض بقيمها، نشأ الفتى برؤية مبكرة لحقائق الأشياء وحتمية الصراع، رغم حداثة تجربته، وطراوة جسده. تلك الشُّحنة التربوية شكّلت سنداً ليضع الطفل قدميه على بساط المعرفة الأولية، متحسساً طريقه في مراحله التعليمية المبكرة إلى تكملة مشوار النشأة، وهيأته إلى ولوج مرحلة التكوين المعرفي في منتصف العقد السادس (١٩٥٦م)، حين التحق بجامعة القاهرة لدراسة اللغة العربية وآدابها، وبحورها؛ تاريخاً، وخطاً، وشعراً، ونثراً، وبلاغةً. هناك

كانت النقلة المعرفية الثانية التي دخل بها حاملاً تعاليم ترسيخ العقيدة، ومعرفة دروب الفضيلة من مرحلته السابقة إلى أخرى جديدة، مازجاً معها مرحلة حافلة بتفاصيل الماضي البشري وحقبه، لتضعه في ختامها عند أبواب جامعة ليدز البريطانية على مشارف العالم الغربي (١٩٦٠م)، لتوسم حياة الفتى الشاب بمقدرة على رسم خريطة دربه؛ متسلحاً بتباين ثقافي استبقى ما يلائم ما جاء به، مزيجاً من اتساع الرؤية بعداً وعمقاً. وحين لامست قدماه أرض بلاده كان يحمل حلماً واضح المعالم، نيّر الرؤية! ليس حصراً في فنون اللغة العربية، فتلك شهادة وثقتها جامعة "ليدز"، وإنما فكراً ورؤية في متطلبات المعرفة، ودروب النهضة؛ إنشاءً وابتكاراً.

التحق الأكاديمي الشاب بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) (١٩٦٦م)، ليشغل عدة مناصب عليا إلى جانب ترقيات أكاديمية تلاحقه وفق منجزاته البحثية، وفيه أنشأ فرعاً لعلم الآثار (١٩٧٦م). وعلى مستوى الكلية، شغل عدداً من وظائفها العليا حتى أصبح وكيلاً ثم عميداً لها لدورتين. وفي رحاب الجامعة عمل في عدد من مجالسها. وأنشأ قسماً منفصلاً للآثار وترأسه عام (١٩٧٨) كما ترأس قسم التاريخ قبله. ونقل العمل الآثاري إلى مواقع الفاو والربدة كأبرز موقعين أثريين لحقبتي الإسلام وما قبل الإسلام (١٩٧٢م).

لقد حفلت مسيرته بإنجازات ليس هنا مكان لحصرها. وفي مجال التأهيل أشرف على عدد من طلاب الدراسات العليا الذين حملت أكتافهم وما تزال عبء ذلك التخصص في هيئة الآثار والجامعات الأخرى، رفقة من التحقوا بالقسم من البلدان العربية. كذلك أشرف على الخطط الدراسية في مراحل البكالوريوس والدراسات العليا. وامتدت خبرته ليخدم عضواً في مجلس ولجان مجلس الشورى(١٩٩٣-٢٠٠١م) ومكتب المنظمة العربية للثقافة والعلوم (١٩٧٩م). والمجلس الأعلى للأثار.

كذلك سطع بريقه ليصبح أحد مؤسسي اتحاد الآثاريين العرب، وعضواً في اتحاد المؤرخين العرب. وأسهم في الكثير من

أمير المدينة المنورة يكرم عالم الآثار الراحل الدكتور عبدالرحمن الأنصاري بحضور ابنته وابنائه

اللجان على النطاق المحلي والإقليمي.

وفي مجال النشر والتأليف، له ما يزيد عن أربعين كتاباً أكاديمياً وثقافياً، ومثلها أو يزيد أبحاث في دوريات محلية وإقليمية وعالمية، كما أسهم في العديد من المؤتمرات واللجان والندوات العلمية، ونال جوائز تكريم ودروعاً وأوسمة يقصر عنها الحصر.

ما كان دربك كله أزاهر ورياحين! وإنما حفته أحياناً نجود ووهاد. لكنها عزيمة النفس وسلامة المقصد وإرادة الحق.

أقف اليوم أمام الفاجعة أيها الأخ الفقيد، أنقّب عن وسيلة عزاء في حقكم، فأجد نفسي معدماً حتى من الكلمة. وأتوسل إلى ابن نويرة والخنساء وكل القابضين على نواصي الكلم من ملوك الرثاء والقريض، لعلهم يعينوننا على ما تجاوز مقدراتنا. "وأعرف أني أنادي بواد". وحين ألتفت إلى ذرات الرمال التي احتوت جسدكم الطاهر، والعبرة في الحلق، تتقطع الكلمات "أيا قبر.. هذا الضيف.. آمال جيل.. فهلل وكبر.. والق ضيفك جاثياً". وأنحو تجاه إنجازاتكم لأبلغ شأوها، وهي بدورها عبثاً تلاحق شموخ شخصكم؛ فهنيئاً لكم بها لما أنجزتم لآخرتكم، وهنيئاً لنا بها لما حفلت به دنيانا.

رحيلك أيها الأخ، رحيل إنسان طاهر القلب واليد واللسان، رحيل عالم فذ، وأكاديمي بارع قدير، ورحيل ابنٍ بارٍ بمعارفه، حفيّاً بأصدقائه، مخلصاً لطلابه، محباً لوطنه.. رحيل نجم أفل، وما يزال يضيء درب القافلة ومسار العتمة.

رحمك الله "أبا محمد" رحمة واسعه، وأسكنك الفردوس الأعلى.

---

* أكاديمي في الدراسات الآثارية – السودان.

عَلَمٌ وعالِم في الآثار
البروفسور عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري

■ د. عبدالله حسن مصري*

عند الحديث عن شخصية ومناقب الراحل الكبير الدكتور عبدالرحمن الأنصاري (رحمه الله)، لا يحسن الفصل بين سماته الإنسانية والأخلاقية، وبين تفوقه العلمي البارز ، عبر عقود عديدة من حياته المديدة والمثمرة. عرفته منذ نيّف وخمسين عاماً في مستهل مشواري العملي في مجال الآثار والمتاحف كمسؤول إداري أول لهذا الجهاز في وزارة المعارف، وذلك في العام الهجري ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في عهد وزيرها المغفور له الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. ومما يشد انتباه المرء في شخصية أبي محمد عند المقابلة هو تواضعه الجمّ، وحسن المعاملة، والبشاشة في المظهر، وصدق المشاعر في المخبر، كما أنه يتميز بالهدوء التام عند الحديث الجاد في العلم والتخصص. ومنذ لقائنا الأول، تأسس عندي احترام وتقدير كبيران لشخصيته، تطورا إلى صداقة وزمالة عملية حقيقية، في كافة مستويات النشاط في الآثار.

وفي هذه الكلمة الموجزة عن الدكتور الأنصاري يقتصر حديثي عن تجربتي الشخصية معه -رحمه الله- وينحصر ذلك في ثلاثة محاور:

أولاً: المجلس الأعلى للآثار، وهو السلطة العليا لرسم وتخطيط سياسة المملكة في مجال الآثار والمتاحف والإشراف عليها، ويرأسه وزير المعارف (آنذاك)، ويضم أعضاء من وزارات على مستوى وكيل وزارة، إضافة إلى عضوية من ذوي الخبرة والاختصاص، وكان الدكتور الأنصاري من أوائل الأعضاء في هذه الفئة، واستمر ذلك لفترة طويلة تطورت خلالها علاقتنا المهنية والشخصية بشكل كبير، انعكس على أداء المجلس وفعالية النشاط الأثري بفضل التعاون والتفاهم بيننا حول سبل إقناع بقية الأعضاء عند البت في مواضيع الاهتمامات الملحّة المعروضة على المجلس .

ثانياً: من أبرز نتائج هذا التعاون والتفاهم الوثيق مع الدكتور الأنصاري في إطار مجلس الآثار أنه أثمر عن نجاح خطة إقناع رئاسة جامعة الرياض (الملك سعود) في كلية الآداب لتأسيس قسم مستقل للآثار في كلية الآداب بعد أن كان فرعاً في قسم التاريخ. وباختصار.. فقد تم ذلك بعد التفاهم بيننا على أن تصدر

إدارة الآثار بوزارة المعارف خطة التزامها بتوظيف عشرين متخرجاً سنوياً، -على الأقل- إذا وافقت الجامعة على افتتاح قسم الآثار، وقد صادق المجلس الأعلى للآثار على تلك الخطة، وخوطبت رئاسة الجامعة بمضمون التوصية، وجرى افتتاح القسم الذي تطور فيما بعد وأضحى كلية السياحة والآثار حالياً.

وقد سبق ذلك أن أقنعني المرحوم الدكتور الأنصاري بأن أوافق على الإسهام في تدريس مواد تتعلق بالتاريخ القديم وعلم الأنثروبولوجيا لطلاب قسم التاريخ لفرع الآثار. وبالفعل مارست التدريس على مستوى محاضر غير متفرغ لمدة تزيد عن التسعة أعوام زادت في تعميق العلاقة بيننا، وعقب تأسيس قسم الآثار أسهمت في استقطاب مختصين في الآثار للتدريس في القسم بالتعاون مع الدكتور الأنصاري، ومنهم الدكتور جمال مختار عالم المصريات، والدكتور غانم وحيدة أخصائي العصور الحجرية القديمة (رحمهما الله).

ثالثاً: ومن أوجه التكاتف والتعاون المباشر مع الدكتور الأنصاري أن مجلس الآثار أصدر توصية مهمة في بداية أعماله، تخص تطوير الكفاءات البشرية الوطنية في مجال الآثار والمتاحف، وذلك باعتماد ابتعاث (٤٠) موظفاً للدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه)، وهم على سلك وظائف التعليم، ومن خريجي درجة البكالوريوس، وإلزامهم بعد موافقتهم بالتخصص في مجال الآثار بشتى فروعه، وعلى أن يتم ابتعاث نصف العدد إلى بريطانيا والنصف الأخر إلى أمريكا.

وقد تكونت لجنة ثنائية من الدكتور الأنصاري ومني شخصياً، وقمنا بتنظيم خطة لتنفيذ مقتضيات قرار مجلس الآثار استغرقت نحو نصف العام، واشتملت الخطة على الإعلان لكافة منسوبي التعليم الجامعيين من مدرسي التاريخ في جميع إدارات التعليم بالمملكة، وكان هناك تجاوب كبير يُعدّ بمئات الحالات.. أفرز عدداً أولياً من بينهم يقارب المائة، استدعيناهم إلى الرياض، وأجرينا مقابلات شخصية مكثفة، واخترنا من بينهم العدد المطلوب للبعثة.

وقد تم بالفعل ابتعاث المجموعة بكاملها في أواخر التسعينيات الهجرية (السبعينيات الميلادية)، وقد تخرج معظمهم بدرجتي الماجستير والدكتوراه، وكانوا هم اللبنة الأساس للكوادر الوطنية المتخصصة في مجال الآثار والمتاحف.

إن ما سبق تدوينه من ثمرات التعاون والمؤازرة مع الراحل الدكتور الأنصاري لهوَ غيض من فيض واسع، اشتمل على الكثير من التفاصيل التي لا يسع المجال لذكرها. رحم الله الفقيد واسكنه فسيح الجنان، وتبقى ذكرى اسهاماته الرائدة نبراساً لأجيال المستقبل على العمل الجاد.

---

* وكيل سابق بوزارة المعارف لشئون الآثار، عضو في العديد من المنظمات المحلية والدولية.

البروفيسور عبدالرحمن الأنصاري
وقليل مما عرفته عنه رحمه الله

■ أ. د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي*

لم يحظ أحد من الآثاريين الرواد في بلادنا بمثل ما حظي به الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بن محمد الطيب الأنصاري من الشهرة، والمكانة العلمية، وكثرة العطاءات، وتعدد الإنجازات، وتنوّع الميادين التي شملتها إنجازاته وعطاءاته؛ مؤرخًا، وعالمًا آثاريًا، وأستاذًا مربيًا، وإداريًا ناجحًا، ورئيس فريق عمل، وباحثًا منقبًا، وكاتبًا مبدعًا.

ذلك أن الدكتور عبدالرحمن الأنصاري حينما عاد من بعثته في بريطانيا حاملاً شهادة الدكتوراه في الكتابات العربية القديمة، عُين أستاذًا مساعدًا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم التاريخ بالكلية نفسها، للعمل مدرسًا للتاريخ القديم والنقوش السامية القديمة، ومنذئذ عُرف الأنصاري أستاذًا في فَنِّه، متضلعًا في مادته، متحمسًا في تدريسها، محبًا لطلابه، مشجعًا للمبّرزين منهم، يمحضهم النصيحة، ويمطرهم بالثناء والتشجيع، ويحثهم على البحث، والاستقصاء، والمثابرة، وحبّ الرحلات، والاستكشاف. فأثّر فيهم، وتأثروا به، وغدا الإعجاب به، وبسيرته، وبرحلاتهم معه في أرجاء المملكة حديث الذكريات بينهم، حتى وفاته، رحمه الله. وستظل تلك الذكريات حاضرة في أذهانهم ما داموا يمشون على هذه البسيطة، فما منهم إلا وقد أصبح أستاذًا في جامعة، أو معلمًا في مدرسة، أو مسؤولاً في أحد المرافق الحكومية أو الأهلية، أو ناجحًا في الحياة العامة بمختلف قطاعاتها.

ولم يكتف الدكتور عبدالرحمن الأنصاري بما حققه من نجاح في عمله أستاذًا جامعيًا، وإنما سلك مسلكًا آخر جديدًا، وهو لا يزال في مقتبل حياته الوظيفية، ذلك هو اهتمامه بالآثار، وبالرحلات الأثرية، والكشف الأثري، فاصطحب طلابه في رحلات أثرية استكشافية إلى مختلف مناطق المملكة، وأسّس جمعية التاريخ والآثار السعودية التي استقطبت أعدادًا كبيرة من المتخصصين والمهتمين والهواة من داخل الجامعة وخارجها، وبرز بوصفه عالم الآثار الوحيد المتخصص من أبناء المملكة العربية السعودية في زمانه، ونشط نشاطًا ملحوظًا في الكشف والتنقيب حتى أصبح معدودًا في علماء الآثار البارزين، وتخطّت شهرته الأوساط المحلية إلى عوالم أخرى خارجيّة.

كل ذلك والدكتور الأنصاري، رحمه الله، معروف بعمق انتمائه، واعتزازه بوطنه، وحبّه له، وغيرته على تاريخه، وتراثه الحضاري، فكان من أوائل الرواد الذين تخصّصوا في تراث هذه البلاد اللغوي والأثري، ذلك التراث الذي كان التخصّص فيه حكرًا على المستعربين الغربيين إلى عهد ليس بالبعيد حينما أصبح الدكتور الأنصاري عالمًا من علماء النقوش والكتابات السامية القديمة في الجزيرة العربية. وغدا العالم المتمكن، والباحث الأصيل، والأكاديمي المتفاني في التاريخ والآثار. ووضع حجر الأساس للدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية حينما أسس شُعبة للآثار في قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الملك سعود، ثم قسمًا مستقلاً للآثار، هو قسم الآثار والمتاحف الذي وضع لبنته الأولى في الجامعة نفسها قبل نحو خمسة وأربعين عامًا، ورعاه حق الرعاية حتى استوى على سوقه، وأصبح واحدًا من أهم الأقسام الأثرية في العالم العربي.

وما من شك أن الأوساط التاريخية والحضارية والثقافيّة والتراثيّة فقدت بفقد الأنصاري عالمًا موسوعيًّا ورائدًا من رواد الآثار له بصماته التي لا تمحى على آثار الجزيرة العربية عامة والمملكة العربية السعودية خاصة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله بقبول حسن وأن يتغمده بالرحمة والمغفرة وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وأن يعظم الأجر لأسرته ولنا جميعًا بفقده.

سمو الأمير سلطان بن سلمان يعود الدكتور الأنصاري في منزله.

الأنصاري.. مؤسس المدرسة الآثارية السعودية

■ أ. د. علي إبراهيم الغبان*

وضع الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، رحمه الله، اللبنة الأولى لتأسيس المدرسة الآثارية السعودية عندما أدخل علم الآثار كاختصاص يدرس في جامعة الملك سعود في ستينيات القرن الماضي، فور عودته من بريطانيا حاملاً شهادة الدكتوراة في هذا العلم، وفي الوقت نفسه عمل على توعية المجتمع السعودي وتعريفه بعلم الآثار وأهميته في فهم التراث الوطني وإبرازه محليا ودوليا، والفوائد التي سوف تتحقق للوطن من خلال العناية بالآثار والمحافظة عليها.

وكان يحرص على النشر عن ذلك التوجه في الصحف والمجلات المحلية، ويتحدث في الإذاعة والتلفزيون، ويقدم معلومات مبسطه عن علم الآثار والتراث الوطني، أسهمت في تغيير كثير من المفاهيم السائدة، آنذاك، حول العناية بالآثار والاهتمام بها. وعلى مستوى الجامعة، أسس شعبة لدراسة الآثار في قسم التاريخ بكلية الآداب، واستقطب لها نخبة من تلاميذه، ثم وسع هذه الشعبة لتصبح قسماً للآثار والمتاحف في الكلية تولى رئاسته ورعايته، ومارس العمل الأثري الميداني، فنظم زيارات مسحية للآثار في عدد من المناطق، وقام بالتنقيب في موقع الفاو الأثري، وأخذ يبعث المميزين من خريجي قسم الآثار ليواصلوا تعليمهم العالي في مختلف تخصصات الآثار في أقوى الجامعات العالمية، وحرص في اختياره للمبتعثين أن يمثلوا مختلف مناطق المملكة؛ وفي الوقت نفسه كان يبعثهم إلى مختلف مدارس الآثار العريقة في العالم، فبعث بعضهم إلى المدرسة البريطانية التي تخرج منها، وبعث آخرين إلى المدارس الفرنسية والألمانية والأمريكية بل وحتى الأسترالية؛ كما عمل على تأسيس برنامج للدراسات العليا في علم الآثار في جامعة الملك سعود، خرّج العديد من المختصين من الشباب والفتيات وأشرف بنفسه على العديد منهم.

وهكذا نجده قد عمل في تأسيس المدرسة الآثارية السعودية، وفق خطة محكمه وضعها لنفسه وظل ملتزماً بتحقيقها طوال حياته، ولم تصرفه عن هدفه أية مغريات أخرى، وقد أطال الله في عمره وشاهد ثمرة جهده، فالتف حوله أكثر من خمسين عالما وعالمة آثار من السعوديين والسعوديات من تلاميذه، كلهم يعترفون له بالريادة، فاستحق بجداره لقب مؤسس مدرسة علم الآثار السعودية، وهي أول مدرسة لعلم الآثار في الجزيرة العربية أيضا.

* أحد تلاميذ الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري.

ذكريات مع أستاذنا الأنصاري

■ د. عبدالناصر بن عبدالرحمن الزهراني*

رحم الله شوقي حين قال:

الحقُّ نادَى فاسْتَجَبْتَ ولم تَزل ... بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِداء
خلَّفْت في الدنيا بيانًا خالدًا ... وتركْت أجيالاً من الأبناءِ
وغدًا سيذكرك الزمانُ ولم يَزلْ ... للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاء

فارقنا أستاذنا ومعلمنا الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، بعد صراع مع المرض امتد نحو ست سنوات، وكان قبلها كثير العطاء حاضراً كل المناسبات العلمية والاجتماعية. تاركاً سيرة عطرة، وذكرى طيبة في نفوس محبيه ومجتمعه، وروحاً نقية، وميراثاً من العلم والخلق الرفيع، والعطاء، ولا يُذكر قسم الآثار إلاّ وروح الأنصاري ظاهرة فيه.

عرفت أستاذي عبدالرحمن الأنصاري في عام ١٣٩٩هجري ١٩٧٩م حين قدمت من الدمام لأسجل في جامعة الملك سعود (الرياض في ذلك الوقت)، في قسم الآثار وكان هو مَن يستقبل الطلاب الجدد، وكان لي شرف مقابلته في تلك السنة، ومنها عرفته. درست على يديه مقرر تاريخ الجزيرة العربية الذي حبب إلينا هذه الأرض وهذا التاريخ، وكنت معه طيلة هذه الفترة، وحتى في البعثة الأثرية فقد كنت على اتصال دائم به. كان هو سبب تخصصي لترميم الآثار، عند تخرجي من الجامعة قال لي: عبدالناصر نريدك معنا في قسم الآثار تخصص ترميم ولم تكن مقررات ترميم الآثار تدرس بعد، كان فقط مقرراً واحداً فقط، وكان متابعاً لي إلى أن ابتعثت، ثم وأنا في البعثة حدثت لي بعض المشكلات وكان معي، وطلب مني تغيير الجامعة، ففيرت إلى جامعة كاردف، وكان من متطلباتها إعادة دراسة البكالوريوس، حيث إن الشهادة التي أحملها من جامعة الملك سعود آثار إسلامية (دراسات إنسانية)،

كاتب المقال مع الدكتور عبدالرحمن الأنصاري.

ودراسة الترميم في هذه الجامعة علمي (Science)، وأخبرت الدكتور عبدالرحمن رحمه الله بذلك، فقال لي وبحزم: نحن نريدك في القسم مرمماً فأعد دراسة البكالوريوس ثم أكمل الدراسات العليا، ولعل إصراره لي لدراسة الترميم يعود إلى قصة حدثت له وهو في الثانية عشرة من عمره، حين كان طالباً بمعهد المدينة العلمي، ففي رحلة مدرسية إلى جبل أحد لشرح الغزوة، إذ بأحد الطلاب يعبث في الأرض فجاءت يده على شيء فنزعه فإذا به سيف وبمجرد أن رفعه من الأرض تحوَّل بين يديه إلى ذرات مفتتة لطول المدة الفاصلة بين الزمنين.. فقد يكون من ذلك الحين وهو يفكر فيمن يحافظ على هذه القطع الأثرية التي بمجرد لمسها تتحول إلى فتات.

حينما عدت من البعثة قابلته وهنأني بحصولي على الدكتوراه ودعاني إلى منزله لتناول طعام العشاء مع ثلة من الزملاء.

كانت فكرته في العملية التعليمية في قسم الآثار أشبه بالهرم المقلوب، بمعنى أن يدرس الطالب كل شيء عن الآثار في الوطن العربي ثم يركز على آثار المملكة العربية السعودية خلال السنوات الأربع التي يدرسها الطالب في قسم الآثار. وأما عن استقطاب أعضاء هيئة التدريس، فكان يفضل أن يكون مزيجاً من الوطن العربي والأجنبي، ولم يكن يركز على جنسية دون أخرى، فكان يدرسنا أساتذة من العراق ومصر وسوريا والأردن ولبنان، وفلسطين والسودان، وأيضاً من المملكة المتحدة.

أما عن حياته المهنية بعد الدكتوراه فقد أسس جمعية التاريخ والآثار، التي هي نواة شعبة الآثار ثم قسم الآثار والمتاحف، وكان

أول عميد سعودي لكلية الآداب في جامعة الملك سعود، أسس ورأس قسم الآثار.

يعدّ الدكتور الأنصاري من رواد العمل الأكاديمي والأثري في المملكة العربية السعودية، فقد أسس لدراسة علم الآثار من خلال إنشاء تخصص الآثار ضمن قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، عندما كان رئيساً لقسم التاريخ، ثم أنشأ قسم الآثار والمتاحف، وهو القسم الأكاديمي الأول في نوعه على مستوى المملكة العربية السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي واليمن. ويمكن القول إن أهم الأعمال التي قام بها الدكتور الأنصاري هو قيادته لأعمال التنقيب الأثري في قرية الفاو في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٩٥م.

أما عن إنتاجه العلمي، فقد كتب أكثر من أربعين بحثاً علميا نشرت في مجلات علمية محلية وعالمية، وألف أول كتاب عن أعمال التنقيب الأثري في قرية الفاو عنوانه «قرية الفاو: صورة للحضارة العربية قبل الإسلام»، استعرض فيه نتائج المواسم الستة الأولى من التنقيب الأثري في ذلك الموقع الأثري المهم. وبعد أن تقاعد من العمل الرسمي في الدولة أسس «دار القوافل للنشر»، أصدر فيها سلسلة «قرى ظاهرة على طريق البخور»، صدر منها ثلاثة عشر كتاباً: نجران: منطلق القوافل؛ العلا ومدائن صالح؛ (الحجر): حضارة مدينتين؛ حائل ديرة حاتم؛ الطائف: إحدى القريتين؛ خيبر: الفتح الذي سُر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ الحضارة العربية الإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية؛ تيماء ملتقى الحضارات؛ الجوف: قلعة الشمال الحصينة؛ عسير: حصن الجنوب الشامخ؛ الباحة: الجمال الباسم؛ القصيم: تاريخ وحضارة وتجارة؛ القطيف والأحساء: آثار وحضارة؛ الرياض: عروس المدائن.

وصدر له مؤخراً نتائج أعماله التي قام بها في قرية الفاو الأثرية في خمسة مجلدات:المجلد الأول عن التنقيبات الأثرية في ثلاثة أجزاء؛ والثاني عن التسلسل الطبقي؛ والثالث عن الفخار؛ والرابع عن المسكوكات؛ والخامس عن الفنون المعدنية. وما كان لهذه المجلدات أن ترى النور لولا أن قيض الله لها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله، الذي أحاطها برعايته حتى نشرت.

أما عن الجوائز التي نالها خلال فترة حياته، فقد حصل على جوائز عديدة من أهمها الجائزة التي أعلن عنها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، والتي تحمل اسم الدكتور عبدالرحمن الأنصاري، وكنت أحد أعضاء لجنة هذه الجائزة عندما كنت عميداً لكية السياحة والآثار، والتي كانت باقتراح من سمو الأمير سلطان بن سلمان في منزل الدكتور عبدالرحمن أثناء زيارة سموه وبعض محبي الأنصاري، وقد اقترح سموه هذه الجائزة

تقديراً وعرفاناً بالدور الكبير والرائد الذي بذله الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري طوال تاريخه العلمي والمهني في استكشاف الكثير من المواقع الأثرية في المملكة. وقد تبنتها الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني، في ذلك الوقت، بمشاركة جامعة الملك سعود، وجمعية الآثار السعودية، بمسمى «جائزة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري لخدمة آثار المملكة العربية السعودية». وتهدف هذه الجائزة إلى العناية بالآثار حفاظاً على هويتها الوطنية وإبرازاً لعمقها الحضاري ولتوظيف إرثها في الحياة المعاصرة، والإفادة منه ثقافياً واقتصادياً وتلمساً لسبل المحافظة عليها وتنميتها ورفع الوعي بأهميتها. وتُمنح الجائزة لشخصيات لهم أثر على الساحة الأثرية والعمل الأثري الذي يخدم آثار المملكة.

حينما نتحدث عن الدكتور عبدالرحمن الأنصاري رحمه الله، فإننا مهما تحدثنا عنه فإننا لن نحيط بكل أعماله وقصصه مع الآثار، فله قصص كثيرة في رحلاته العلمية ونشاطات إدارية، وحكايات في حياته الاجتماعية.

وأخيراً، فإنه يعز علينا فراق من نحب ويعز علينا فراق أستاذنا الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، ومهما كتبنا من كلمات رثاء، وسطرنا من حروف، لن نوفيه حقه لما قدمه من عطاء ووقت وجهد وتفانٍ في سبيل تطور علم الآثار.

رحم الله أستاذنا الدكتور الأنصاري، وغفر له، واسكنه فسيح جناته.

---

* عميد كلية الآثار بجامعة الملك سعود سابقا.

في ذكرى أستاذي
الأستاذ الدكتور / عبدالرحمن الأنصاري

■ د. علي صالح المغنّم*

عرفت أستاذي الدكتور عبدالرحمن الأنصاري جميل الخلق، تهواه القلوب، يسعدها لقاؤه، ويفرحها تعامله الحسن، وروحه المَرِحة، وحديثه الطيب العذب! وفيٌّ لوطنه ومواطنيه وللحياة والإنسانية جمعاء، يألف ويؤلف! صاحب فكر وطني، مخلص، يحب الأوفياء ودعاة الخير والسلام! يقول ابن القيم رحمه الله: «إذا تقاربت القلوب، فلا يضرها تباعد الأبدان» فسلامنا بقدر احترامنا، وتقديرنا ممزوج بودنا ووفائنا لأستاذنا الكريم -رحمه الله-؛ أن يسعد الله قلبه الطيب ويشكر الله تعامله معنا؛ لقاء وفائه وإخلاصه المحمود وعمله المشكور!

اللهم رحماتك لروح علَّمتنا كيف نتأمَّل في الآفاق وفي ماضينا ونعتبر، وكيف نحب إرثنا وهويَّتنا الحضاريَّة وقيمنا الإسلامية السامية التي أبهرت العالم، ونحفظها ونصونها؟ تحية لمن امتلك براءة القلب منذ تقلَّد زمام العمل الآثاري في زمن عزَّ فيه حبَّ الآثار والبحث في مجالاته؛ وتحية أخرى لروحه الطموحة التي أثمر صفاؤها صياغة أرواح محبَّة لآثارنا وتراثنا وحضارتنا، وفخورة بإنجازاتها المبهرة.

أتقن أ. د. الأنصاري فنَّ العيش مع نفسه والتعايش مع الآخرين، إذ وثق بالله وقدره، فكان ممن شملتهم رحمته في السر والعلن مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فاستجاب لهُمْ ربُّهُم﴾؛ لهذا نحسبه -والله حسيبه- رجلًا أصلح الله قلبه وفكره، محبًا تقيًّا نقيًا لم يعرف الحقد والحسد في حياته المعاشة أبدًا! هو سلام كالغيث في علمه وعمله، تحيا النفوس الطموحة للعلم وأهله بعلمه الغزير وعمله المخلص، كما تحيا بالغيث قيعان عطشى! يذكّرني لقائي الأول به بكلية الآداب-جامعة الرياض-عام ١٣٩١هـ، بذاك الأستاذ الشاب الطموح، الوطني، المنتمي لوطنه ومواطنيه، والمتفائل بمستقبل زاهر لهما؛ لقاء غرس في نفسي شغفًا بالأدب والتاريخ والتراث الحضاري، ورسم في ذاكرتي معالم طريق ما كنت سالكه لولا شغفي برسوم حروف تاريخية لخط نص مسند، عرفت من خلال عرضه وحديثه الشيِّق عنها أهمية التاريخ في تهذيب حياة الإنسان! يحيي الحب في النفوس ويرتقي بفكر الإنسان وقلبه، من خلال علمه

بمجريات الحياة، وتقلبات وتجارب الإنسان، بين القطيعة، والتقارب، والخلوص منها لقلوب متحابة، تربطها الأخوّة والألفة!

كان-رحمه الله- صالح السريرة، يحسن الظنّ بتوفيق الله له، ثم بقدرات طلَّابه؛ لذلك صلحت علانيته، وسعدت، وأسعدت رحلة حياته العلمية؛ متفائل.. لهذا أوجد لحياته معانٍ جميلة تغمرها الخيرات وتحفها البسمة والسعادة؛ وجدت ذلك من خلال رحلة جمعتني به في إحدى فعاليات مملكة البحرين، كان فرحًا سعيدًا وفخورًا بإنجازات طلابه البحرينيين وتحمُّلهم أعباء العمل الآثاري هناك! ورافقته للتجول في سوق البحرين الشعبي؛ فلاحظت البسمات ترتسم على محيَّاه، والسعادة تغمره، عندما يرى معارض الصناعات الحرفية التراثية وتسويقها، فرِحًا ومؤشراً لديمومتها لكونها تشكِّل وجهات سياحيَّة جاذبة! عند ذلك يهتف دائمًا بالإعجاب «يا الله» تعبيرًا عن إعجابه بقدرة علم الآثار كمورد اقتصادي لسياحة جاذبة في جميع حالاتها!

وللأستاذ الدكتور عبدالرحمن الأنصاري رحمه الله جهود وإنجازات مشهودة في مسيرة علم الآثار، بداية التأسيس والتنقيب عن الآثار ودراستها، وقيادة أعمال التنقيب الآثاري في قرية الفاو، وله كتب وأبحاث في مجلات التاريخ والآثار؛ جعل الله جهوده وآثاره في ميزان حسناته.

ومن خلال مشاعر أساتذة علم التاريخ والآثار والمختصين بدراسات علم الآثار وأصدقائه وطلابه وزملائه ومحبيه يشعرونك بوجوده-رحمه الله بينهم داخل فكر وقلب كل فرد يستمع أو يتحدث إليهم! وعند حضور المؤتمرات والنشاطات والفعاليات التي تقيمها الجامعات والندوات والمحافل الدولية المهتمة بالآثار والتراث والثقافة، يجدون شخصه وأعماله وشغفه واهتماماته ماثلةً في تلك المناسبات، وكأنها تدين لهذا العالم والقامة العلمية الفذَّة بالتقدير والاحترام. فشكرًا لقسم الآثار وللجمعية السعودية للدراسات الآثارية، ولمركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها بجامعة الملك سعود.

كان له دور مشهود في تأسيس الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية التي نجني ثمارها لمدة تزيد عن خمسة وأربعين عامًا. واضطلع أستاذ علم الآثار ومؤسسه في السعودية وعضو مجلس الشورى عبدالرحمن الأنصاري-رحمه الله- بأعمال بحوث ميدانية كثيرة بجزيرة العرب داخل المملكة وخارجها بحثًا عن الآثار وتوثيقها وحفظها، والتعريف بها والتوعية بإبراز أهميتها، كونها تؤصل الجذور، وترسخ الهوية الوطنية، لكل شعب من الشعوب، وارتباط جذورها بالأرض؛ فالأعمال الآثارية تبحث عن هوية الإنسان في أرضه «من أنت»!؟ سؤال يكرره دائمًا -رحمه الله- في محاضراته. إنه المؤرّخ عالم الآثار الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري، فقد كان علمًا من أعلام المملكة منذ بدايات مسيرتها العلمية الثقافية الناهضة المؤثرة؛ وستبقى

الأمير فيصل بن عبدالله يدشن كتاب "الجمل عبر العصور"

ذكراه حاضرة في الذاكرة الثقافية الوطنية.

وقد علَّقت كريمة الفقيد الأنصاري -رحمه الله- الدكتورة لبنى الأنصاري أنَّ ممَّا زادها فخرًا واعتزازًا بإنجازات والدها وأثَّر في مشاعرها مقال سمو الأمير فيصل بن عبدالله آل سعود الذي تضمَّن تقدير سموِّه الكريم لهاجس الدكتور الأنصاري بطباعة كتاب الجمل التوثيقي؛ إذ كان إنجاز ذلك الهاجس تجسيد وفاء من سموِّه الكريم لوالدها؛ وقد عدّ سموَّه إنجاز الكتاب وإخراجه إنجازًا مهمة كانت هاجس الفقيد، رحمه الله.

واشادت الدكتورة لبنى بهذا العمل الرائع وبأنَّه لمسة «وفاء الأوفياء» ومنظومة في رثاء والدها يتغنى المهتمون بموسوعة علمية ثقافية عن سفينة الصحراء وثقافتها، تراثاً وتاريخاً. جاء إصدار موسوعة «الجمل عبر العصور» فرصة لدعوة محبي الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري -رحمه الله- لحضور حفل التدشين الذي نظمته مؤسسة ليان الثقافية، ومكتبة الملك عبدالعزيز العامة، مساء يوم الثلاثاء ١٢ شوال ١٤٤٤هـ (٠٢ /٠٥ /٢٠٢٣م)، والتعرف على المعرض المصاحب له في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بحي المربع في مدينة الرياض.

وأعربت عن امتنانها بالقول إن كُّل كلمات الشكر والعرفان لا تفي المنظمين حقهم. أسأل الله أن يجعل هذه الجهود الراقية والاستثنائية والمميزة في ميزان حسناتهم وأن يحفظ مملكتنا ملكًا وحكومةً وشعبًا وأن يديم الله على بلادنا نعمة الإسلام والأمن، للارتقاء بالآثار والثقافة والتراث في المملكة العربية السعودية.

اللهم اغفر لصاحب الذكرى الطيبة عبدالرحمن الطيب الأنصاري، وارض عنه واجعله من أهل الفردوس الأعلى.

---

* وكيل وزارة التربية والتعليم المساعد للمتاحف سابقا.

عبدالرحمن الطيب الأنصاري
١٣٥٤-١٤٤٤هـ (١٩٣٥-٢٠٢٣م)

■ محمد عبدالرزاق القشعمي*

عرفت الدكتور عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري خلال تردده على النادي الأدبي بالرياض، وحضور مناسباته الثقافية. وازدادت معرفتي به وقربي منه من خلال مشاركته وعضويته للجنة العلمية التي كانت تعمل على إنجاز (موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث.. نصوص مختارة ودراسات) التي نشرتها دار المفردات للنشر، إذ كُلِّفتُ بالمشاركة بإعداد تراجم الكتاب المذكورين بالموسوعة.

كنت وقتها أعمل بمكتبة الملك فهد الوطنية، فدعوته لزيارتها، لتسجيل ذكرياته ضمن برنامج (التاريخ الشفوي للمملكة)، فرحب مشكورًا، وتمت الزيارة في ١٤٢٠/٧/٢٨هـ، وعلى مدى ثلاث ساعات، استعرض المحطات المهمة في حياته؛ بدءًا من ولادته، وطفولته بالمدينة المنورة، ودراسته بها، ثم ابتعاثه للدراسة الجامعية بمصر، ثم الدراسات العليا بإنجلترا، وعودته لجامعة الملك سعود وتأسيسه لقسم الآثار، والتثقيف في الأماكن الأثرية ومنها منطقة (الفاو) وآثار الجوف، وقدوم الحضارة من الشمال للجنوب. وعن محاضرته أو الندوة التي شارك فيها بلندن وشكك بوجود قبيلة قحطان؛ ما أثار حولها كثيرًا من الردود والاستنكار، وأخيرًا عضويته بمجلس الشورى. ثم افتتاحه مكتبًا للدراسات التاريخية، وتأليفه للكتب المعنية بالآثار، ومشاركته بالإشراف على مجلة المنهل بعد وفاة صاحبها عمه، عبدالقدوس الأنصاري.

اتصل بي بصفته عضوا بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكان مقرها تونس، وكانت المنظمة تصدر (موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين)، وكان ممثلًا لجامعة الملك سعود مع ممثلين من تونس، وسوريا، ومصر، وقازاخستان، والهند، وطهران، والأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ويشرف على الموسوعة الدكتور المنجي بوسنينة، المدير العام للمنظمة. وطلب مني المشاركة بالكتابة عن المغتربين من أبناء الجزيرة العربية منذ تأسيس المملكة العربية السعودية وهم: عبدالله القصيمي، وعبدالرحمن منيف، وسليمان الدخيل؛

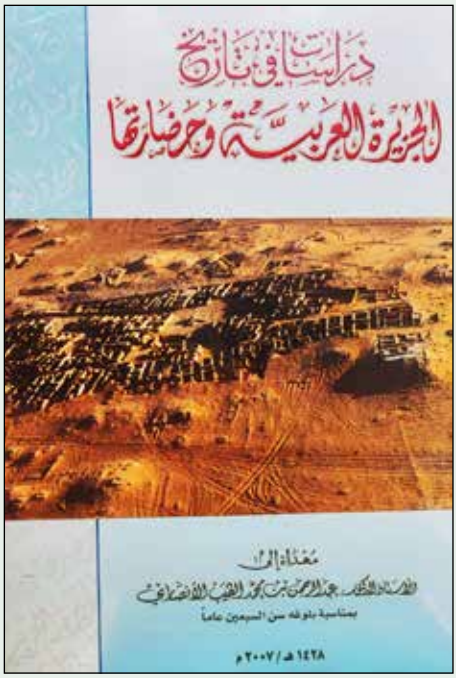

فكتبت ما تيسر، وبعد فترة طلب مني الترجمة لعدد آخر من أبناء المملكة، وهم: عبدالله عريف، وأحمد السباعي، ومحمد الطيب الساسي، ويوسف ياسين، وكانت الموسوعة تصدر عن دار الجيل ببيروت، وقد صدر مجلدها الأول عام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)، صدر منها حتى حرف العين في نحو ٣٠ مجلدًا.

استمر تواصلي مع الدكتور الأنصاري بزيارته في مكتبه، أو عن طريق مندوب يزودني بما صدر من مكتبه، ويطلب بعض ما صدر من سلسلة (هذه بلادنا) عندما كنت أعمل برعاية الشباب، أو بعض إصدارات المكتبة، وبالذات المعنية بالآثار والتاريخ.

وقد سألني بُعيد وفاة الأستاذ عبدالكريم الجهيمان عن مصير مكتبته، فقلت له: قد تهدى لمكتبة الملك فهد الوطنية أو جامعة الملك سعود، فقال: إنه لا يفضل ذلك، إذ إن المكتبة والجامعة بهما كثير من المكتبات الخاصة، وأنه يفضل لو تهدى لجامعة شقراء لكونها حديثة النشأة، ولكون شقراء مسقط رأسه، وأضاف: إنه كتب وصيته، وأوصى بمكتبته لجامعة المدينة المنورة، حيث ولد.

وقد أحسن زملاء الدكتور الأنصاري وتلامذته عندما تنادوا لإصدار كتاب بعد تقاعده أسموه (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها)، أشرفت عليه لجنة برئاسة الدكتور أحمد الزيلعي بمناسبة بلوغ الدكتور الأنصاري السبعين من عمره.

كما شارك الأنصاري بموسوعة الأدب العربي السعودي مع الفريق العلمي بالمجلد الأول- مقدمات عامة، وبالمجلد السادس- السيرة الذاتية.

جاء في ترجمته بالموسوعة: «.. حصل على البكالوريوس من قسم اللغة العربية بكلية الأداب جامعة القاهرة ١٩٦٠م، كما حصل على الدكتوراه من جامعة ليدز بإنجلترا ١٩٦٦م، وعمل بالتدريس في قسم التاريخ، ثم قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب- جامعة الملك سعود، وشغل مناصب رئيس قسم التاريخ، ثم قسم الآثار، فوكيلا ثم عميدا كلية الآداب، وبعدها الإشراف على مركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الملك سعود.

وخلال عمله بالجامعة أشرف على تأسيس فرع الآثار في قسم التاريخ بكلية

الأداب، وإنشاء جمعية التاريخ والآثار عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)، ورأس الندوة العلمية الثالثة لدراسة تاريخ الجزيرة العربية التي عقدت بالجامعة، ومديرًا للتقنيات الأثرية لمنطقة الفاو.

كما اختير الدكتور عبدالرحمن الأنصاري عضوًا بمجلس الشورى لدورتيه الأولى والثانية، وهو عضو في كثير من اللجان العلمية، المحلية والعربية والعالمية؛ مثل: المجلس الأعلى للآثار بالمملكة، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والهيئة الدولية لكتابة تاريخ الإنسانية التابع لمنظمة اليونسكو.

أوسمة وجوائز:

حاز الأنصاري على أوسمة وجوائز منها:

- وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٢م.
- جائزة مؤسسة التقدم العلمي الكويتية عام ١٩٨٤م.
- وشاح الثقافة والفنون من وزارة الثقافة بالجمهورية اليمنية ١٩٩٨م.
- درع اتحاد الآثاريين العرب - الجامعة العربية.. القاهرة ٢٠٠١م.

ترجم له أحمد سعيد بن سلم في (موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال مائة عام) وذكر أنه درس بالمدينة المنورة حتى نهاية المرحلة الثانوية، وإن أطروحته للدكتوراه من جامعة ليدز بإنكلترا بعنوان (تاريخ قبل الإسلام).

وذكر من مؤلفاته:

١- ظاهرة الهروب في أغاريد طاهر زمخشري صدر على ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢- ظاهرتان في حياة أبي الطيب المتنبي.. نسبه وتنبؤه، صدر عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٣- مصادر تاريخ الجزيرة العربية - بالاشتراك - صدر عام ١٣٩٩هـ.

٤- قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية. طبع باللغتين العربية والإنجليزية، صدر

عام ١٤٠٢هـ.

٥- العلا والحِجر صورة من الحضارة العربية، صدر عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

وترجم له في (موسوعة الشخصيات السعودية) من مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، واضافة لترجمته.. رئاسته لمجلس إدارة الجمعية الوطنية الخيرية للمتقاعدين ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وكتب عنه محمد بن صالح عسيلان في (إشراقات طيبة) وعلى مدى ٢٥ صفحة، استعرض سيرته ومسيرته العلمية، وضمّنها مقابلة معه، قال فيها إن والده توفي وهو في التاسعة من عمره، وأن قدوته ابن عمه عبدالقدوس الأنصاري. وأشار فيها إلى أنه عضوٌ بمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، وعضو بمجلس أمناء جائزة الملك عبدالله للترجمة، وعضو الهيئة الاستشارية لوزارة الثقافة والإعلام.. إلخ؛ وأنه نال جائزة الأمير (الملك) سلمان للريادة في تاريخ الجزيرة العربية،

من مؤلفاته وبحوثه:

- المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية عام ١٣١٩ - ١٤١٩هـ.
- قرية الفاو وصورة للحضارة العربية القديمة قبل الإسلام.
- كتابات من قرية الفاو، مجلة كلية الآداب. جامعة الملك سعود.
- منطقة الجوف في عصور ما قبل الإسلام - مجلة الجوبه، مؤسسة عبدالرحمن السديري».

وقد أصدرت وزارة المعارف- وكالة الآثار والمتاحف - سلسلة أثار المملكة - لعدد من مناطقها -، وقد تولى الأنصاري رئاسة لجنة الإشراف العلمي. وفي عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، أصدرت مؤسسة عبدالرحمن السديري مجلة آثار باسم (أدوماتو)، الاسم القديم لدومة الجندل، وهي مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بأثار الوطن العربي، فرأس تحريرها عالم الآثار السعودي الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري. كما أصدر الدكتور الأنصاري سلسلة (قرى ظاهرة على طريق البخور) صدر منها:

- حائل ديرة حاتم.
- نجران منطقة القوافل.
- تيماء ملتقى الحضارات.
- الطائف إحدى القريتين.
- عسير حصن الجنوب الشامخ.
- القطيف والأحساء (أثار وحضارة)،
- الباحة (الجمال الباسم)،
- خيبر: الفتح الذي سرّ به النبي صلى الله عليه وسلم.
- الجوف (قلعة الشمال الحصينة).

* باحث سعودي، كتب المقال لمجلة الجوبة قبل وفاة العلامة الدكتور عبدالرحمن الأنصاري رحمه الله.

والدي الحبيب.. رحمه الله

■ أ. د. لبنى بنت عبدالرحمن الطيب الأنصاري*

أصيب والدي بداء أقعده عن المشي والحركة في سنوات حياته الأولى، ولكن أصحاب الهمم العالية أقوى من أي داء. شفاه الله من ذلك الداء ومنَّ عليه بحفظ القرآن كاملاً في الكتّاب في سن السابعة، وكم كان والده الشيخ محمد الطيب الأنصاري - شيخ الحرم النبوي- فخوراً بابنه وقد أتم حفظ القرآن، ولكن شاء القدر أن يكون هذا هو النجاح الوحيد لابنه الذي يشهده، فقد توفي جدي حينما كان والدي في سن التاسعة، ولم يبق له من إرث والده سوى السيرة العطرة التي كانت نبراساً له، ومكتبته التي تزخر بأمهات الكتب وبالكتب التي ألفها جدّي.. وبعضها كان بخط يده.

شعر والدي حينها بمرارة اليتم والفقر، والتي لم يخففها عنه إلا والدته الشابة السيدة عائشة شويل، التي رفضت الزواج، وعكفت على رعاية أبنائها وتنشئتهم وتعليمهم.

رفض والدي أن يبيع مكتبة جدّي رغم الفقر الذي عانوا منه، وتعاونت جدتي مع والدي على أن يجلبا للأسرة ما يسدّ رمقها ويحفظ ماء وجهها في المجتمع. فعلى سبيل المثال، كانت جدّتي تخيط بيديها قطعاً من الملابس يرغب المعتمرون وزوار المدينة المنورة بها، وتطلب من والدي أن يبيعها في الحرم، ولعله بذلك تعلم كيف يجمع بين العلم والعمل، وكيف يعتمد على نفسه، فكان عصامياً من الدرجة الأولى، واكتسب مهارات التعامل والتفاوض. ولا تخلو ذكرياته مع جدتي في هذه المرحلة من حياته من مواقف كثيرة علمته فيها وبقوة مكارم الأخلاق. ونجحت جدتي، ونجح والدي، وتفوق في دراسته، وكان من النخبة، فابتُعِث لجامعة القاهرة للحصول على البكالوريوس، ثم لجامعة ليدز في بريطانيا للحصول على الدكتوراه، ثم عاد مكللاً ليكون من أوائل أعضاء هيئة التدريس السعوديين.

منذ أو وعيت على الحياة، بدأت ذكرياتي مع والدي، ولكنه على مر السنين كان لي

أكثر من والد؛ فقد كان صديقي، ومعلمي، ومصدر الدعم العلمي، والمعنوي، كما تنوعت مشورته لي حسب احتياجاتي عبر السنين.

اجتهد والدي في أن يكون خلقه القرآن، فحرص على "تقوى الله"، وأوصانا دائماً بها، حتى عندما اشتد عليه المرض وكان بالكاد يستطيع أن يتحدث، كان يوصينا بتقوى الله. كان في مرضه صابراً حامداً شكوراً، وكان من قبل ذلك في حياته مستقيماً وصادقاً وواضحاً وكريماً ورحيماً بالآخرين.

كان أنموذجاً حياً لما يجب أن يكون عليه أبناء أمة "إقرأ"، فكان واسع الاطلاع وواسع الأفق، ومحباً للبحث، والتساؤل، والفهم، والنقد، وكان حريصاً على أن نكون كذلك. كان العلم قيمة مهمة بالنسبة له، وكان يرى هو ووالدتي أن الاستثمار في تعليم أبنائهما هو الاستثمار الأهم في حياتهما. لم يحرص على اقتناء المال، بل كان يرى أن المال وسيلة للاستثمار في تعليمنا، فحرص على أن نتعلم في مدارس متميزة في الرياض، وأن نتعلم اللغة الإنجليزية في مدارس صيفية في بريطانيا؛ ويحثنا على التعرف على الآخرين على اختلافهم والتحاور معهم. كان يريد أن نتّسم باتساع الأفق، والشمولية في الفكر، والرغبة في تعلم المزيد، ويحثنا دائماً على القراءة باستمرار، وكان الذهاب إلى المكتبة لشراء قصص وروايات وكتب هو المشوار الوحيد الذي يوافق عليه بسهولة. وحينما كنا نسافر إلى أي دولة لم نزرها من قبل كانت زيارة المتحف والمعالم الأثرية هي الرحلات السياحية الأولى لنا فيها. كما حرص على أن نتعلم شيئاً من الفرنسية والألمانية واللتين كان يفهمهما.

كان يتمنى أن يكون طبيباً وحالت الأقدار دون ذلك، ولكنه كان كالطبيب والمعالج النفسي من حيث كونه قادراً على الاستماع جيداً دون مقاطعة حينما تكون لدي مشكلة،

أو أنه يسألني أسئلة بسيطة تساعدني على سرد مشكلتي على نحو أشمل وأعمق، ثم يسألني عن الحلول المتاحة، وإمكانية تطبيق حلول لم تخطر على بالي، وغالباً ما أصل بذلك للخيار الأفضل. كان يشجعني على اتخاذ قراراتي بنفسي، ونادراً ما يفرض رأيه، أو حتى يطرحه إلا إذا سألته عن رأيه!

كان فخوراً بنا جميعاً، ولكنه بالتأكيد سعِدَ كثيراً بأن كان أخي عاصم طبيب أسنان، وكنتُ طبيبة بشرية (طبيبة أسرة)، فحققنا بذلك حلماً كان لا يزال يراوده. وقد يستغرب القارئ أن كلينا معروف بأنه من السباقين في تخصصه للاهتمام بتوجّه الاستناد للأدلة والبراهين المستقاة من أفضل البحوث العلمية، وهو ما يسمى بالطب المبني على البراهين، أو الطب المسند بالبينات، ولكني حينما أتأمل في ذلك لا أستغربه أبداً. لقد نشأنا في بيئة نمَت فيها مهاراتنا النقدية، واستوعبنا فيها تماماً الفرق بين التاريخ والآثار.

التاريخ قد يختلف حسب وجهة نظر الراوي واهتماماته، وهو بذلك يشبه إلى حد ما الطبيب الذي يتخذ القرار بناءً على الحدس أو الخبرة السريرية، أما القطعة الأثرية (أو الآثار بشكل عام) فهي برهان علمي ودليل ملموس لا يقبل الجدل، وكم سمعنا من الوالد عن سعادته عند اكتشاف بعض القطع الأثرية في الفاو، فهي دليل لا يقبل الشك على امتزاج الحضارات المختلفة في قرية الفاو محط القوافل والتجارة قروناً قبل الميلاد. وبالتالي لم يكن الوالد طبيباً، ولكن تعلمنا منه الكثير من المهارات التي تعيننا على أداء دورنا على أكمل وجه في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمرضى سريرياً، وكذلك في وضع التوصيات والقواعد الإرشادية للممارسة السريرية والصحة العامة، والتي يتم تطبيقها على نطاق واسع.

إنني أفتقده كثيراً بلا شك، لا أفتقد فقط حواراتي معه؛ ففي العقد الأخير من حياته لم يكن والدي قادراً على الكلام، وتكيّفت مع ذلك، ولكني أفتقد وجوده أيضاً، فقد كان منبع قوة بالنسبة لي وأنموذجاً للصبر والتحمل، ولعل اهتمامه بالجمل كان ينبع من شعوره بأن هناك أوجه شبه بينهما؛ ولكن عزائي أنه وجد التكريم من ولاة الأمر في حياته وبعد مماته، وأرجو الله أن يجد ذلك عند بارئه.. وعزائي أيضاً أننا لسنا الاستثمار الوحيد في حياته، بل استثمر في بناء أجيال من الآثاريين يشار لهم بالبنان، وسيحافظون على تخصص الآثار وإرث الأجداد على خير وجه، إن شاء الله.

---

* أستاذ بقسم طب الأسرة والمجتمع – كلية الطب – جامعة الملك سعود، عضو مجلس الشورى السعودي سابقاً، مساعد المدير العام لمنظمة الصحة العالمية لشؤون القياس والتقييم سابقاً.

عبدالفتاح كيليطو
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية
وسابر أغوار السرد العربي

■ المحرر الثقافي

فاز الأديب عبدالفتاح كيليطو بجائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب لهذا العام ٢٠٢٣ - ١٤٤٤ وموضوعها «السرد العربي القديم والنظريات الحديثة». وبررت لجنة تحكيم الجائزة تتويجها لكيليطو من المملكة المغربية بـ «براعته في تأويل الأعمال السردية العربية القديمة بدراسات مكثفة، وتمثّله المناهج النقدية الحديثة تمثّلاً إيجابياً، وعمله على تكييفها بما يناسب رؤيته التي اتّصفت بالجدّة والطرافة، والإبداع، وتميّزه بالقدرة على تقديم السرد العربي للقارئ العام بأسلوب واضح».

وقد كرّمت جائزة الملك فيصل عبدالفتاح كيليطو في احتفالية الجائزة بمدينة الرياض، ووصفته بأنه «أبرز النقاد في السرد العربي القديم والنظريات الحديثة».

وجاء هذا التتويج لتميزه في جوانب في السرد العربي القديم لم يلتفت إليها أحد قبله، وكذا قدرته على تقديم السرد العربي للقارئ العام بأسلوب واضح ودقيق.

وذكرت جائزة الملك فيصل، في تقرير حفل جوائزها، أن كيليطو قد أشاد بالبعد الدولي للجائزة قائلا: «لا يخفى أن البعد الدولي لهذه الجائزة يضفي عليها قيمة مضافة، ويرفع من المعيار الذي خضعت له الإنتاجات التي حظيت بالجوائز في مختلف الحقول، وكذا من قيمتها العلمية».

وفي احتفالية بالأديب المغربي أقيمت في الرباط قال الدكتور عبدالعزيز السبيّل، الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية، «إن فوز كيليطو بجائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب، هو فوز مستحقّ بجدارة»، مؤكداً أنه من «حق البحث العلمي والتأصيل المعرفي، أن نحتفي به هنا في الرباط بين أهله ومريديه».

ورأى السبيّل أن كيليطو «يشكّل مشروعاً لإعادة قراءة تراثنا السردي العربي، يتّكئ على الرؤى النقدية العربية، والاستفادة من النظريات الغربية الحديثة في تناول النصوص السردية القديمة، وفي طليعتها المقامات، وألف ليلة وليلة».

وأعرب كيليطو عن سعادته بهذا التكريم، وعن امتنانه لجائزة الملك فيصل على هذه الالتفاتة، مجدداً التأكيد على «الوثبة الثقافية التي تشهدها المملكة في أكثر من صعيد».

وبمناسبة الفوز تخصص مجلة الجوبة إضاءة خاصة على تجربة كاليليطو في ثلاثة مقالات:

كيليطو يتوسط أمير الرياض الأمير فيصل بن بندر والأمير تركي الفيصل

عبدالفتاح كيليطو قارئا للجاحظ

■ علي بلجراف*

كيليطو يلتقي الجاحظ صدفة

لم يكن «الكاتب المغربي «عبدالفتاح كيليطو» يتصور أنه سيقرأ كتباً للجاحظ، بالرغم من أنه كان يحفظ عناوين بعضها وهو تلميذ، مثل: «البيان والتبيين»، «البخلاء»، و«الحيوان». فلقد كان نظام التعليم في العام ١٩٦٦م في المغرب يقضي بأن يحضر الطالب الراغب في متابعة الدراسة بعد شهادة الإجازة ما كان يسمى آنذاك «الشهادة الرابعة»، على أن تكون في شعبة أخرى غير شعبة الطالب الأصلية.

اختار الطالب «كيليطو» المجاز في الأدب الفرنسي، إنجاز الشهادة المطلوبة في الأدب العربي. هكذا تعرف على مؤلفين مرموقين، يذكر منهم: ابن هشام، وابن قتيبة، والآمدي، وابن طباطبة، والجرجانيين (صاحب كتاب «الوساطة» وصاحب كتاب «أسرار البلاغة»)، وابن شرف القيرواني. لكن، إذا كانت إكراهات البرنامج المقرر قد أجبرته على قراءة بعض «أمهات» الكتب في الأدب العربي، فإن الصدفة هي ما سيحمله على أن يقرأ بصفة عرضية كتاب «البخلاء» للجاحظ. هذا ما يقره «كيليطو» نفسه[1]. ولأن الصدفة، كما يقال، خير من ألف ميعاد، فإن «كيليطو» عثر لدى الجاحظ على ما يغري بمواصلة القراءة والحفر في مؤلفيه «البخلاء» و«الحيوان» لاستخراج «ما قيل» فيه وما «لم يُقَل» أيضا في هذين المؤلفين وهو موضوع هذا المقال.

إن أول فرق تفطن له «كيليطو» كان بين تمثله الأولي حول كتاب «البخلاء» وحكمه عليه بعد قراءته قراءة متمعنة. غير أن الاكتشاف الأهم هو أن البخيل في كتاب الجاحظ يأخذ الكلمة ليدافع عن أفكاره، وهو الصامت الأبدي كما عهدناه في

كتب الآخرين. يقول «كيليطو»: «شخصيا لا أعرف مؤلفاً آخر منح للبخلاء فرصة الكلام لا في الأدب العربي ولا في الأدب العالمي قبل الجاحظ»[٢]! فماذا يقول البخلاء وقد أخذوا الكلمة في كتاب الجاحظ؟ أو بالأحرى ماذا يسترعي انتباه «كيليطو» في كلامهم وفي مواجهتهم لأضدادهم الأسخياء؟

يعترف «كيليطو» أنه عندما قرأ الجاحظ أول مرة وهو طالب لم يمسك سوى بأفكار عامة ظاهرة لعيان أي قارئ، من قبيل استنكار صاحب الكتاب، ظاهريا، لمذهب البخلاء وسخريته من تصرفاتهم في بعض الأحيان.. لكن، مع اقتران ذلك كله في الوقت نفسه بالإشادة الجاحظية ببلاغتهم وفصاحتهم وامتلاكهم «قوة الكلام». ومما يبعث على الريبة هنا، يلاحظ «كيليطو»، غياب أي تنويه بالأسخياء. غير أن هذا الإدراك لمضمون الكتاب من طرف القارئ «كيليطو» سيتطور في مرحلة لاحقة. سيتضح له أن «كتاب البخلاء كتابان»! فكما يقول «لويس برخيس»: «الكتاب الذي لا يتضمن نقيضه يعد كتابا ناقصا»[٣]. وعلى هامش معرض حول أعمال «هنري ميشو» H. Michaud أقيم سنة ١٩٦٧م، استوقف «جيل دولوز» نصاً تحت عنوان «تلف منظم» «un abîme ordonné» للناقد الفني «جان غرونييه» Jean Grenier يفيد مضمونه القائل: «إن الرسم الذي لا يتضمن «تلفه» أو «الكاووس» الخاص به والذي لا يمر عبر مرحلة «التلف» ليس رسما»[٤]، وهو معنى مقولة برخيس تقريبا!

لكن، مع ذلك، كان لا بد من كلمة أخرى كمفتاح «للتقدم في فهم الجاحظ». يتعلق الأمر بكلمة/مفهوم «البوتلاتش» Potlatch. إن الصدفة، مرة ثانية، هي التي قادت «كيليطو» إلى التقاط هذا المفهوم في محاضرة للفيلسوف الفرنسي «جاك دريدا» تحولت إلى كتاب تحت عنوان «إعطاء الوقت»[٥]. كان لا بد إذاً من استثمار هذا المفهوم لقراءة الكتاب الثاني، الكتاب النقيض لكتاب «البخلاء»، لأن الكتاب الذي لا يتضمن نقيضه ليس كتابا. وراء «ثيمة» البخل والكرم، أو البخلاء والأسخياء توجد «ثيمة» الشعر والنثر، أو الشعر والكتابة. هذه هي الإشكالية المركزية المتوارية خلف البخل والكرم كإشكالية ظاهرة في كتاب «البخلاء». لكن، ما هو «البوتلاتش»؟ وما علاقته بالشعر والشعراء؟

ثقافة البوتلاتش والشعر

تكشف الدراسات في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا حول موضوع «الهبة» أو «العطاء»، منذ كتاب «البحث في الهبة»[٦] لمارسيل موس، أن ثقافة «البوتلاتش» لدى الشعوب الهندو أمريكية تتضمن طقساً احتفالياً يقوم على التزامٍ عرفي ثلاثي يتضمن الالتزام بالعطاء (الهبة)، الالتزام بقبول العطاء/التحدي ثم الالتزام بالرد. غير أن هذا الطقس يقتضي أن يكون الرد أعظم قيمة من العطاء الأول في جميع الحالات، حتى وإن أدى ذلك إلى الإفلاس أو إلى ما لا تحمد عقباه، كما ورد في بحث «مارسيل موس»، كأن يقوم الطرف الأول بإحراق جزء من ثروته، أو ذبح بعض خدمه، فيضطر الطرف الآخر إلى الرد بأعظم من ذلك. ولقد ركز جاك دريدا على تحليل معنى العطاء على هامش بحث «مارسيل موس» في هذا الموضوع ليخلص إلى نتيجة رئيسة هي: حيث يكون التبادل، سلباً أو إيجاباً، ينعدم العطاء. إن الحاضر الجليّ في ثقافة البوتلاتش ليس العطاء وليس طاعة الأطراف،

بل تباهيهم وتنافسهم إلى حد يتحول معه «العطاء» إلى الإتلاف والتدمير.

لإدراك العلاقة بين الشعر والبوتلاتش وموقف الجاحظ من الشعر، لا بد من استحضار فكرة عامة مفادها، حسب «كيليطو» أن الكُتّاب الكبار يكتبون دائما «ضد» أو «مع»، وأحياناً يكتبون «مع» و«ضد» في الآن نفسه. فمع من وضد من ألف الجاحظ كتاب «البخلاء»؟

يقول الأصمعي، وهو من ضمن بخلاء الجاحظ، في مقدمة كتاب «لزوم ما يلزم» لأبي العلاء المعري، «إن الشعر باب من أبواب الباطل.»[٧] لعل هذا القول هو ما يربط الصلة بين الشعر العربي القديم و«البوتلاتش». لكن ما هو العنصر الرئيس الحاضر فيهما معاً إلى هذا الحد أو ذاك والذي يجعلهما «بابا من أبواب الباطل»؟ يمكن القول، بدون تردد، إنه التباهي بالعطاء، بالسخاء إلى حد التبذير المهلك. لا غرابة إذاً، في ألا يحب بخلاء الجاحظ الشعر، بدليل أنهم نادراً ما يحيلون عليه في سجالهم، خلافاً لخصومهم الأسخياء. فمثلما أن البوتلاتش يقوم على التفاخر والتباهي المؤديين بشكل جنوني إلى حد الإفلاس، فإن التفاخر والتباهي يحضران أيضاً في الشعر بمظهرين: الأول في شخص الشاعر الذي تأخذه الحماسة والفخر والمباهاة، فلا يتردد في تبذير ماله في الجود والكرم وفي متع الحياة (الخمرة مثلا)، رغم معارضة واستهجان من أهله وذويه وفي مقدمتهم قرينته، وهو ما تدل عليه «أبيات شعرية تبدأ بكلمة «ذريني» كما في البيت التالي:

ذريني فإن البخل لا يخلد الفتى
ولا يهلك المعروف من هو فاعل

والثاني يحضر في شخص الطرف الآخر عندما يمدحه الشاعر فيجزل له العطاء. فلأن الشعر يحضر فيه التبذير بهذا المعنى، فهو «باب من أبواب الباطل»[٨]! كما قال «الأصمعي». لذلك لم يكن بخلاء الجاحظ شعراء، وهو ما يعني أن النثر هو المجال الذي يتوافق معهم. وإذا كان هذا هكذا بخصوص موضوع كتاب «البخلاء»، فماذا عن موضوع كتاب «الحيوان»؟

استمرار الإشكالية نفسها

تستمر طريقة الحوار والمناظرة نفسها بين طرفي البخلاء والأسخياء المتبعة في كتاب البخلاء، في كتاب «الحيوان». يتم الحوار في إحدى المناظرات بين طرفين هما أنصار الكلب وأنصار الديك. ومنذ البداية، يلفت «كيليطو» انتباهنا إلى ما يمكن أن يتولد عندنا من انطباع أولي حول موضوع هذه المناظرة الذي لا يخلو من تفاهة وابتذال. ولكي نطرد نحن هذا الانطباع الأولي المشوّش على الفهم، علينا ألا ننسى فكرة إمكان وجود كتابين في واحد، تماماً كما هو الحال في الحلم، إذ يعلمنا «سيغموند فرويد»، والتحليل النفسي عموماً أن للحلم مضموناً ظاهراً وآخر باطناً، وأن المضمون الرئيس للحلم هو في الغالب ليس المضمون الظاهر. بهذا المعنى، فإن الكتاب النقيض في كتاب «الحيوان»، ما دام أن كل كتاب يستدعي نقيضه، يستمر في إثارة موضوع الشعر نفسه، المثار في كتاب «البخلاء».. لكن في صورة أخرى.

لن تعوزنا القرائن والمؤشرات على أن الشعر والفلسفة، أو الكلام والكتابة هي قضايا رئيسة مثارة في كتاب «الحيوان». لعل أول قرينة في هذا الاتجاه هي دلالة الكلب

على الفلسفة. يكفي أن نستحضر ما سُمي في تاريخ الفلسفة «الفلاسفة الكلبيون» في الفلسفة الإغريقية لتتأكد هذه الدلالة. إن كان البخلاء هم الطرف المتحفظ من الشعر في كتاب البخلاء، فإن أنصار الكلب، أي مناصرو الفلسفة، هم المتحفظون منه في كتاب الحيوان، ويتجلى ذلك في تصديهم لمناصري الشعر (الديك).

ولأن الشعر مرتبط بقراءته وإسماعه، فإن الأمر البالغ الدلالة هو أن الانتصار للفلسفة في كتاب الحيوان، هو انتصار للكتابة ضد الكلام الشفوي. فالكتابة (النثر) قابلة للترجمة، أما الشعر.. فمستعص عليها. ذلك، لأن الشعر هو في المقام الأول ظاهرة صوتية (كلامية)، أما الفلسفة.. فهي بنت الكتابة كما يقول «ميشيل سير». هكذا يرتد الحوار والترافع بين الطرفين إلى الترافع حول التقليد الشفوي والكتابة؛ وهو من طبيعة الترافع نفسه الذي أداره الفيلسوف أفلاطون في محاوراته على لسان سقراط حول الكلام والكتابة. وعلى خلاف البخلاء الذين لا يكنون أي حب للشعر، فإن المدافعين عن الفلسفة لا يعادون الشعر لكنهم يبرزون حدوده. فهو متعذر الترجمة، وحتى إن ترجم فإنه يفقد قيمته التي له في لغته الأصلية. هذا ما يفسر الإقبال على ترجمة حكمة اليونان وآداب الفرس دون أن تنتقص الترجمة منه شيئا، بل ربما ازدادت بعض الأعمال المترجمة حُسناً وجمالاً في لغة الهدف (اللغة المنقول إليها) ولم يترجم الشعر في المجال العربي إلا فيما ندر؛ لأنه مع الترجمة يفقد الشعر ما هو معجز فيه، أي الوزن، أضف إلى ذلك أنه لا يتضمن معنىً لم تذكره العجم في كتبها. إلا أن ما يهم الجاحظ، حسب كيليطو، ليس أن يتخذ موقف الحكم بين أنصار الشعر وأنصار الكتاب، بقدر ما يهمه إبراز الموقفين في تعارضهما. ألم يقل عنه ابن قتيبة إنه كاتب متناقض؟ فهو في نظره «يعمل الشيء وضده (...)، لكن الجاحظ جعل من التناقض (التضاد) فنا كتابيا فريدا»[٩]!

يبقى أن نتساءل: ما دلالة رد الجاحظ على مخاطب مفترض من مناصري التقليد الشفوي عندما آخذ عليه هذا الأخير تأليفه كتباً ورسائل ربما بدل نظم الشعر؟ هل يعني هذا أن الجاحظ يفكر مع الكتابة ضد الشعر؟ جواباً عن هذا السؤال، يكتفي «عبدالفتاح كيليطو» بدعوتنا إلى تذكر مسألة أن كتاب الحيوان للجاحظ يبدأ بمدح الكتاب وتمجيد الكتابة.

---

* كاتب – المغرب.

(١) عبدالفتاح كيليطو «تجربة الجاحظ» على الرابط التالي: https://youtu.be/1FVsnOWGFjM

(٢) نفسه.

(٣) كيليطو، نفسه

(٤) «La peinture et la question des concepts» Deleuze: 28/4/1981 (16/1), transcription: Guillaume Damry, correction association: siècle Deleuzien.

(٥) Jaques Derrida, «Donner le temps», Paris, Galilée, 1991.

(٦) Marcel Mauss, «Essai sur le don», L'année Sociologique, 1924.

(٧) كيليطو، المرجع السابق

(٨) نفسه.

(٩) نفسه.

كيليطو المبحر بين ثقافتين..
ينقّح كتاباته باستمرار!

■ هشام بن الشاوي*

تُوج الأديب المغربي دكتور عبدالفتاح كيليطو (١٩٤٥م) بجائزة الملك فيصل العالمية في دورتها لعام (٢٠٢٣م)، في فرع اللغة العربية والأدب، ويعد كيليطو من أبرز النقاد المغاربة؛ إذ تنشغل كتاباته بالأدب العربي القديم بنصوص لا يقرؤها أحد، ويخيل إليه أنه اليوم قارئها الوحيد، وأنها أُلِّفتْ من أجله! ويحرص على أن يقاربها في كل مرة، من زاوية مختلفة؛ ما يمنح كتاباته ثراء وتجدداً، بأسلوبه السهل الممتنع، الذي يجمع بين الحكي والنقد، بعيداً عن أي فذلكات أكاديمية؛ كتابة بالوثب والقفز، تحفر بمعولها النقدي برشاقة، هنا وهناك، تجعل القارئ الظافر الوحيد في هذه الرحلة الماتعة بين المتون!

لقد أدرك كيليطو حقيقة عجزه الواضح عن كتابة دراسة رصينة وفق المعايير الجامعية المعهودة، أو تأليف بحثٍ حول موضوعٍ ما في فصول متراصة البناء؛ ما سبب له قلقاً معرفياً لم يتجاوزه إلا بعد قراءة الجاحظ، فتخلّص من شعوره بالنقص، واستدل عليها بعد إدراكه أن الجاحظ الذي لم يكن يستطيع أو يرغب في إنجاز كتابٍ حول موضوعٍ محدد، دون الالتفات يمنة ويسرة. وهكذا، أسس صاحب «الأدب والغرابة» أسلوبه الخاص القائم على الاستطراد، والانتقال المفاجئ من موضوعٍ إلى آخر، بشكل متواصل.

كتابه «في جو من الندم الفكري»، يبدو أشبه بعملية مراجعة فكرية، ما دام «في الفكر ذاته ما يعرقل عملية التفكير»، كما يقول غاستون باشلار، «الخطأ ليس شيئًا يحدث أو لا يحدث،

إنه على العكس، المكوّن الأساس للكتابة، معدنها وطبعها، أن تكتب معناه، أن تخطئ.. الكتابة هي دومًا إعادة النظر»، كما يُقرّ د. كيليطو.

في فصل «فن الخطأ» يكتب كيليطو عن ملاحظة تعوزها الدقة، أوردها في كتابه «الغائب»، وبكل تواضع جم يعترف بالخطأ المتسرع؛ إذ عقد مقارنة بين ألف ليلة وليلة والمقامات مستنتجًا أن لا أحد ينام في كليهما، وأعاد المقارنة في روايته «أنبئوني بالرؤيا» إلى أن وصلته رسالة من أستاذة تدرّس الرواية: «كنت خارج الرباط حين توصلت برسالة من أستاذة تُدرس «أنبئوني بالرؤيا»، كتبت تعلمني أنها قلقة؛ لأن الترجمة الفرنسية لـ «ألف ليلة» – وكانت تشير على وجه التحديد إلى ترجمة أنطوان غالان التي نشرت في بداية القرن الثامن عشر– جاء فيها أن الشخوص الثلاثة ينامون جزءًا من الليل. ارتبكت وطلبت منها أن تبعث لي الفقرات التي تثبت ذلك، وعند توصلي بها لم يبق وجه للشك أو الإنكار، فتملكني غيظ شديد من نفسي، ولمتها على التسرع وإلقاء الكلام على عواهنه والولع بالغرابة إلى درجة أنني نسبت إلى النص ما لم يقُله. وتساءل كيليطو عن النص السردي الذي اختزن في لاوعيه، وجعله يعتقد أن شخوص الليالي لا ينامون، أو الرواية التي تحكي عن إصابة سكان قرية بكاملها بحمى الأرق، فلم يناموا لمدة عشرين سنة، فانتبه إلى أنها رواية غارثيا ماركيث «مائة عام من العزلة»، بينما في «الليالي» لم يدم الوباء إلا زهاء ثلاث سنوات، ونسب في روايته «أنبئوني بالرؤيا» لأحد الشخوص مقالاً موضوعه النوم في ألف ليلة، اعتقد بعض القراء أنه صاحب المقال، بينما الأمر مجرد خيال.

ويعود مرة أخرى إلى موضوع أثير: ثنائيته اللغوية، التي كتب عنها في أكثر من كتاب، يتحدث عن تجربته في تدريس الأدب الفرنسي لمدة تفوق الأربعين عاما، لم ينطق خلالها بكلمة عربية أو باسم مؤلف عربي أمام طلابه، كاختيار تربوي، «لم أحتفظ بما ألقيت من دروس، فما إن تنتهي الحصة حتى أمزق أوراق التحضير، لم يبق أي أثر لسنوات من الكلام الأكاديمي. كما أنه لم يعن لي إلا نادراً أن أنشر دراسة عن الأدب الفرنسي، لأنني أعلم أنني لن أضيف شيئاً يذكر لما يكتبه الفرنسيون. وفضلا عن ذلك، فإنهم، وهذا هو المهم، لا ينتظرون مني أن أكتب

عن أدبهم. أدبهم لا يحتاجني»!

في كتابه «أتكلم جميع اللغات، لكن بالعربية» يكتب عن علاقته باللغة المحكية، مؤكداً أنه يتكلم الدارجة في حياته اليومية، ويقرأ الفصحى: «عودني التكوين الذي تلقيته على ألا أقرأ إلا النصوص التي كُتبت بالفرنسية أو بالفصحى. صحيح أن هناك أشعاراً وحكايات وأمثالاً بالدارجة، إلا إنها تظل بالنسبة إليّ مرتبطة أساساً بالشفوي. عندما يحصل لي أن أقرأها، أحس بانطباع غريب: فبسبب النقص في التعود، آخذ في تهجئتها كما لو كانت مكتوبة بلغة أجنبية. بقدر ما يكون التكلم بالدارجة يسيراً، بقدر ما تكون قراءتها شاقة مملوءة بالفخاخ؛ ما يدل على أن للغتين الفرنسية والفصحى نقطة مشتركة وهي كونهما لغتيّ التدوين، وبالتالي لغتيّ الأدب. عن طريقهما تمكنت من الاستمتاع بلذة قراءة النصوص الأدبية».

ويشير د. عبدالفتاح كيليطو إلى أن اللغة الأجنبية، التي نتقنها ترفد لغتنا الأم بعبارات أو مفردات أو صياغات نحوية حين لا تمنح كتّابنا نماذجها الأدبية، وهو ما حصل في القرن التاسع عشر مع الأدب العربي الذي أنقذته الترجمة، التي انطلقت آنذاك وأسهمت في تجديده عبر إجباره على استيعاب أجناس أدبية جديدة، وتبنّي أشكالاً كتابية لم تكن معروفة عندنا، في الوقت الذي كان فيه أدبنا العربي متعباً، خائر القوى، يحتضر في عزلة مضنية، ويستشهد بالشاعر الألماني غوته القائل:

«ينتهي كل أدب بأن يملّ نفسه، ما لم ينعشه إسهام أجنبي».

بينما في كتابه «من شرفة ابن رشد» يؤكد دكتور عبدالفتاح كيليطو أن الترجمة تقدم كثيراً بما هي فعل حب، علامة انفتاح، وتسامح، وتستحضر برقة وحنين العهود التي ازدهرت فيها. «بغداد في القرن الثالث والرابع للهجرة/التاسع والعاشر للميلاد، طليطلة في القرن الثاني عشر الميلادي... غير أن الواقع أقل مثالية. فالترجمة غالباً ما تعمل في سياقٍ من التباري والمنافسة.

كثير من الشعوب لا تقبل أن تترجم نصوصها المقدسة، فهي تُعِدُ العبورَ إلى لغة أخرى اعتداءً. يجازف النص المقدس بالخروج من ذلك مهزولا، متحولاً إلى جثة، وهيكلٍ عظمي؛ لذا يجب أن لا يغادر لغته، وبيته»، ويتحدث عن تجربة ترجمة «كليلة ودمنة» مؤكداً أن «بيدبا» لا يخشى أن تكون

الترجمة رديئة أو غير أمينة؛ لا يفكر في الشكوك والمصادفات المصاحبة عادة لانتقال نص؛ «ما يخشاه هو أن يتملكه الفرس، ويتمثلون مضمونه، ويستمدون منه القوة والمجد». يوجد في مبدأ الترجمة ميل سجالي (من المساجلة في الحرب) بل مطمع إمبريالي. «الترجمة غزو»، كما قال نيتشه. الترجمة هي غزو أرض أجنبية، وطرد ساكنيها أو إخضاعهم، وامتلاك خيراتهم وكنوزهم. وحين لا يمكن القضاء على مقاومتهم، يكتفى باجتياحات سريعة، أو ببعث جاسوس متنكر في هيئة عالم يعود بنسخ من إنتاجهم الفكري، كما حصل لكليلة ودمنة!

وفي موضع آخر من «الشرفة»، يُقرُّ صاحب «خصومة الصور» أننا حين نتكلم لغة

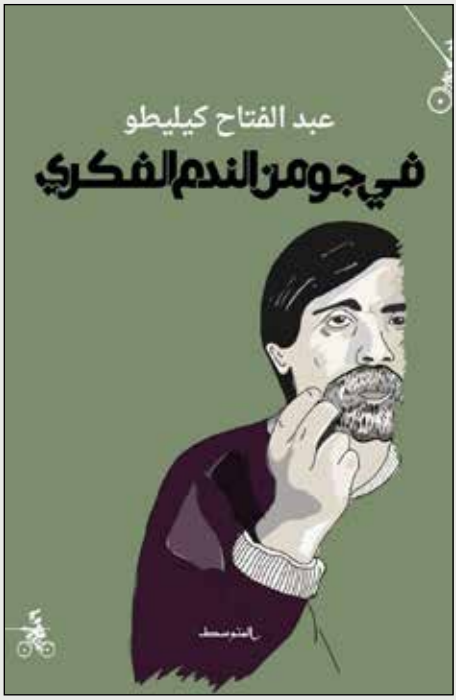

(أو عن لغة)، فنحن نلحق الضيم بالأخرى، والمؤكد المعلوم أن هذه الأخيرة لا تنتظر سوى لحظة الثأر. أشار إلى ذلك الجاحظ في القرن التاسع للميلاد، بواسطة استعارة: «اللغتان، مثل الضرتين، لا يمكن أن تتفاهما. بينهما حرب إبادة، بدون رحمة»! الجاحظ تروقه المواقف، حين يواجه الإنسان قرينه، وقرناءه. يذكر في كتاب «البخلاء» (أخوين لا يملكان هما الإثنان سوى ثوب واحد؛ لما يخرج أحدهما، يبقى الآخر في البيت). وإذا ما صدقناه (لكنه لا يصرح بذلك)، لا يمكن الحديث عن اللغات دون الحديث عن الزواج الأحادي، والزواج بإثنتين، بل حتى عن تعدد الزوجات».

يحلو للناقد المغربي الذي اعتاد أن يبحر بين ضفتي ثقافتين مختلفتين أن يكتب عن مواضيع سابقة، دون أن يسأم القارئ، لأنه ينتظر جديد كتبه بشغف. مثلاً، في كتابه «في جو من الندم الفكري» يكتب عن إعادة إحدى دور النشر طبع ترجمة فرنسية لكتاب البخلاء للمستعرب شارل بيلا، فقد طلب منه كتابة مقدمة للطبعة الجديدة، لكن – لسبب ما– سقط اسم المستعرب، لم يرد على الغلاف ولا في صفحة العنوان الداخلي، «حدث سهو فظيع ومضحك في آن، محى اسم باحث قضى عمره في العناية بأدب الجاحظ»، ومن حسن الحظ أنه أثنى عليه في المقدمة، «ولكن مَن يقرأ المقدمات؟».

بعد مدة قصيرة، صار بعض القراء العابرين يسألون صاحب «الكتابة والتناسخ»:

«من هو الجاحظ؟ من هو هذا الكاتب الذي ألف «البخلاء» - حسب وهمهم - باللغة الفرنسية؟». ها قد انخرط الجاحظ في زمرة الكتاب الفرانكوفونيين، صار معاصراً لنا، صار مغربياً أو مغاربياً، مع كل ما يعني ذلك. لا شك أنه يحمل نظارة طبية أو شمسية يخفي بها جحوظ عينيه، ولا شك أنه يرتدي لباساً أوروبياً أنيقاً من بذلة ورباط عنق وحذاء لامع .

د. كيليطو الشغوف بالقراءة، يحتفي بفعل القراءة في روايته «والله إن هذه الحكاية لحكايتي». يكتب صاحب «لن تتكلم لغتي» رواية الحكاية الغائبة، التي لم يروها أي أحد، والكتابة التي لم تكتب بعد، متمثلة في البحث عن كتب أبو حيان التوحيدي المتخيلة، بأسلوبه الرشيق، الفريد، الذي كرّسه كاتبًا وناقدًا شق طريقه الخاص في الكتابة إبداعاً وتنظيرًا.

على الغلاف الأخير للرواية، نقرأ مقطعاً لا صلة له بمحكيات هذا المتن الروائي، الذي يحتفي بالتفتيت/ التشذير السردي: «في الليلة الواحدة بعد الألف، قرَّرت شهرزاد، وبدافعٍ لم يُدرك كنهه، أن تحكي قصة شهريار، تمامًا كما وردت في بداية الكتاب. ما يثير الاستغراب على الخصوص أنه أصغى إلى الحكاية، وكأنها تتعلَّق بشخصٍ آخر، إلى أن أشرفت على النهاية، وإذا به ينتبه فجأة إلى أنها قصته هو بالذات، فصرخ: «والله، إن هذه الحكاية

حكايتي، وهذه القصَّة قصَّتي».

وفي هذه الرواية، يسعى دكتور كيليطو إلى خلخلة مفهوم الحدث فكرياً بمطرقة الحَكي، أو بتعبير خالد بلقاسم إن الرواية بكاملها تنهض، خلافًا لظاهر عنوانها، على لبس منسوج بارتياب مكين. ارتياب يتوزع كل مشاهدها ويوجِه نموها. أبعد من ذلك، فالحكاية، بما هي موضوعة رَئيسة في هذه الرواية، ترتاب في حدثها، وفي ذاتها، وفي نسبة الحدث إلى الشخوص. كما لو أن الرواية لا تسرد حكايتها، وهي تبحث عمن تنسب وقائعها إليه، (أثمّة أصلًا وقائع في هذه الرواية أم يتعلّق الأمر بحكي مضاعف أو بتأويل يتحوّل إلى حكاية؟)، إلّا كي تنسج ارتيابًا فكريا من داخل ممكنات الحكي.

* كاتب - المغرب.

الاعترافات التي نريد

■ رائد العيد*

وُلدت السير الذاتية في رحم البيئات الدينية، سواء في الثقافة العربية أو الغربية؛ بدءًا باعترافات القسيس أوغسطين، وسَير طلب العلم في الحضارة الإسلامية، حتى جاءت اللحظة الحاسمة في تطور كتب السير الذاتية بشَعبنتها من خلال «اعترافات» روسو التي مهّد فيها السبيل لتحوّل السيرة إلى نوع من العلاج التطهيري المخلّص من الخطايا أمام الملأ.

بعد ذلك، صار إظهار المخفي هو الهدف الأصيل من كتابة السير الذاتية، ولا قيمة لسيرةٍ لا تكشف مستورًا. فانساق الكتّاب، وخاصة في الغرب، على هذا الدرب يسطرون مغامراتهم ويحكون أسوأ خصالهم، خوفًا من التقليل من قيمة سيرهم، فالسيرة على حد تعبير جورج أورويل، «لا تعتبر إذا لم يذكر فيها ما يشين!».

ولأن «المغلوب مولع بتقليد الغالب»، كما قعّد ابن خلدون، تبع هذا النهج عددٌ من الكتّاب العرب، وراحوا يفصحون إما عن تجاربهم أو يظهرون حكايات أهاليهم، ومن لم يفعل ذلك فيجد في قرارة نفسه ميل إلى فعل ذلك، منعه منه الأعراف والتقاليد، وربما أقرّ بدونية سيرته مقابل غيرها.

على صعيد آخر، تحظى الاعترافات بإقبال كبير من القراء، فهم يحبون التلصص على الكتّاب عندما يفصحون عن أسرارهم وخفايا علاقاتهم وخبايا حيواتهم، ويرى فيها كثير من القراء الصراحة المطلوبة والمادة المأمولة، وباتوا يقللون من قيمة السيرة التي تخلو منها، وكأن لا فائدة من السير الذاتية إلا فضح كاتبها، وهم في هذا

رائد العيد مع الأديب عبدالفتاح كيليطو
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

تبعٌ للتصوّر الغربي لمفهوم السيرة الذاتية وإن لم يدركوا ذلك.

لم يكتب عبدالفتاح كيليطو سيرةً ذاتية بمفهومها النقدي، وإنما نجد شذرات من حياته في مختلف أعماله، والكثير منها في حواراته، ولكنه أخرج اعترافاته في كتابه «في جو من الندم الفكري» الصادر عن منشورات المتوسط ٢٠٢٠م.

جاءت اعترافات كيليطو كما ينبغي أن تأتي، مثرية للمشهد الثقافي لا الفضول الطفولي، جاءت لتُقرّ بالخطأ وتصححه، وتتراجع عن الرأي ولا تهرب من مجابهته. نجد في هذا الكتاب اعتراف كيليطو بتأويل أخطأ فيه، وبنى عليه بعض كتبه اللاحقة، ليأتي بعد سنوات ويقر بكل صراحة عن اكتشاف خطأ ذلك التأويل، كما يفصح عن أخطاء وقع بها آخرون على صلة به، كما وقع في إسقاط اسم مترجم البخلاء الذي وضع بدلًا عنه اسم كيليطو. اعترافات لا تأبه بالصورة المرسومة عن كيليطو والتي ترى فيه مجدد النقد العربي ومبدع قراءة التراث ودمجه بالنظريات الغربية.

يقوى بعض الكتّاب على الاعترافات الجنسية والتجارب العاطفية ولا يجرؤ على الإفصاح عن أخطائه المعرفية وعثراته العلمية. الاعترافات الجنسية إغراء للقارئ العادي، ولا تفيد المشهد العلمي بشيء كما تفعل الاعترافات العلمية، الإقرار بالخطأ يعني الإقرار بتطور العلم الذي يقول عنه باسكال: «تاريخ العلم هو تاريخ أخطائه»!

يظن بعض القراء أن في الاعترافات الجنسية إقرار بالخطأ، فيدفعه للتساؤل والتفكير لماذا يفصح الكاتب عمّا قد يُنقص من قدره في أذهان الناس؟ ونجد جوابًا لهذا عند عباس العقاد الذي يفسّر هذا السلوك بأنه رغبة بالصعود في أذهان الناس بالجرأة والاعتراف والتحرر وليس إقرارا بالضعف والدونية والتخلف.

ذكرت في دراستي المستفيضة حول أدب السير الذاتية «أشقاء الزورق الواحد» أن كل سيرة ذاتية هي بحث عن الاعتراف بالمصطلح الهيجلي، وإن لم تكن اعترافًا بالمعنى الروسوي. وعليه، فالجميع يبحث عن المكانة، سواء باعترافه الجنسي أو اعترافه العلمي، إلا إن الاعترافات العلمية تحدث أثرًا مستمرًا، متعديًا على المشهد الثقافي بتقليل التشنج من المراجعات العلمية التي يبدأها المؤلف على نتاجه العلمي بنفسه، بينما لا تفشي الاعترافات الجنسية سوى التجارب شديدة الذاتية، عديمة الفائدة.

---

* كاتب سعودي.

حول التجربة الأولى للكاتب أحمد مسلم:

شعرية الهامش وسرد الريف المهمش

■ فراس حج محمد*

في الرواية الجديدة للكاتب أحمد مسلم "سجناء خلف قضبان الذاكرة" (كاريزما للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢٢) يبني الكاتب معمارها من قصص وأحداث الريف الفلسطيني، معتمدا على ما تقصّه الجدات والقريبات- في العادة- من قصص وحكايات. يذهب أحمد ابن قرية تلفيت (جنوب نابلس) إلى ذلك التاريخ الشفوي الشعبي الذي يعمر ذكريات الناس فيها، ويعيد تأثيثه في سرد له مذاق خاص، وشهية خاصة. إنه يعيد- نوعاً ما- بناء الذاكرة الشعبية الريفية لتكون مقروءة، لاسيما لجيل لم يعد يسمع هذه الحكايات، نظرا لعدة أسباب، أهمها انقطاع الجيل الحالي عن الجيل السابق بفعل دواعي الزمن والصيرورة التاريخية.

يستذكر أحمد مسلم في هذا المتن الروائي قصة كنز، وجده أحد الفلاحين مدفونا في أرض له، ورحلة هذا الكنز منذ أيام الإنجليز قبل النكبة ١٩٤٨ وحتى عام ٢٠١٤، رحلة سردية استغرقت أكثر من ٦٦ سنة من عمر قرية من قرى الريف الفلسطيني، ليس شرطا أن تكون قريته تلفيت وليس بمستبعد أيضا أنه أخذ ملامح القرية الاجتماعية والجغرافية من قريته، لكن المهم في هذا السرد على مستوى الحدث تتبع تلك الرحلة للدفين/ الكنز والمخاطر التي تعرض لها جدّ مراد (أبو محمود) بعد الحصول على الكنز.

هذه الفترة الطويلة نسبيا يقطّرها

الروائي في سرد وزّعه على أحد عشر فصلا، لم يخل أي فصل من فصولها من حكاية الدفين أو تداعياته الاجتماعية على العائلة، ومن خلال هذا العصب الرئيس، ناقش أحداثا في معظمها هامشية، مما يدور في بيئات الريف المهمش أصلا، فلم يسع الكاتب إلى الاستناد إلى مقولات كبرى، ولا إلى أحداث مركزية، وكل ما ظهر من أحداث مفصليّة، ما كان له تأثير مباشر على سكان الريف أكثر من غيرهم؛ فهم خاضعون لتأثيرها خضوعهم للضرورة الحتمية، وبخاصة فيما يتصل بالحواجز والإغلاقات ومعاناة الناس، وخاصة الشباب في الوصول إلى العمل أو الجامعة أو المدينة، وما يحياه الناس من شظف العيش وقسوته، هذه القسوة التي لم يفلح الكنز بقلبها رأسا على عقب إلا بعد فترة طويلة، بعد أن أخذ الريف نفسه بالتطور الحتمي والتدريجي.

يظهر أن الروائي وهو يعمل على هذا السرد كان صبورا جدا، وهو يحاول أن يجمع تلك السرود الهامشية ليجعلها متجانسة كلوحة الفسيفساء، لتؤدي في نهاية المطاف إلى بناء سردي ذي شخصية متماسكة، ليس الجامع الوحيد هو الشخصيات الريفية، ولا قصة الكنز، وما جرته من أحداث، بل ذلك الإيقاع الهادئ لروائي يصفّ الحكاية بجانب أخرى بحذر، لعله يحظى برؤيا روائية خارجة عن سياق السرد التقليدي الغارق في المثاليات والمقولات السياسية والوطنية التقليدية.

لقد تجاوز أحمد هذه المطبّات بكثير من الحذر ونجح في هذا لاسيما وهو يستند إلى عنوان، فيه الكثير من المخاتلة؛ إذ ينصرف العنوان في دلالته- للوهلة الأولى- إلى الدائرة السياسية الوطنية، ليكتشف القارئ أن "سجناء خلف قضبان الذاكرة" لم يكونوا من أسرى القضية الفلسطينية من المقاومين للاحتلال، وإنما تلك الشخصيات التي ظل يعذبها الماضي وتلاحقها تفاصيله طوال حياتها، من الجدة إلى فريد وحتى مراد وأحمد، ولم يسلم منها المتشائل الذي يوجعه الماضي وما فعله إخوته به، وأول ما يقوم به أحمد مسلم لزحزحة العنوان عن تاريخيته المفخخة بالذاكرة الوطنية اقتباسه قبل الدخول إلى الرواية قولا للشاعر العربي أدونيس، يقول فيه: «أقسى السجون وأمرّها، تلك التي لا جدران لها»، يحمل هذا الاقتباس معنى عاما للسجن، أعمق وأكبر من مكوث الشخص داخل القضبان، ويحرسه سجان قاس، وعدو كما هو في الحالة الفلسطينية، كما أن هذا الاقتباس من زاوية أخرى يقول إن الأسرى الفلسطينيين قادرون على التحرر من السجن، فالسجن فكرة تعيش في للرأس والذاكرة، ولهذا المعنى أيضا بعض ظلال، وخاصة من خلال شخصية الأسير المحرر الواردة في الرواية وصفا لا اسماً. مع العلم أن الرواية لم تؤكد أيا من المعنيين أو الحالتين لهذا الأسير المحرر

على وجه قاطع كتجلّ آخر من تجليات الحذر السردي في الرواية.

هل يمكن أخذ البنية السردية لتكون استعارة سياسية؟ أظن أن الأمر ممكن مع بعض التحفظ أيضاً، لكن هذا التحفظ النقدي في التأويل تقلّ مسافته بين الممكن وغير الممكن، إذا ما أعاد المرء قراءة الإهداء، بوصفه نصا موازيا من النصوص المحيطة بالسرد، ذا دلالة نصية سردية تدعم مقولات الرواية، بعيدا عن فكرة "الإسقاط" أو الشطط في التفسير.

جاء الإهداء عاما قابلا للتأويل كذلك: «إلى الذين حرموا حقوقهم بكنوز ظهرت بوجودهم». عند إعادة قراءة العبارة بعد الانتهاء من قراءة كامل النص الروائي سيكون بالإمكان القول باستعارية البنية الروائية للدلالة السياسية؛ فالكاتب أحمد مسلم ابن جيله، الجيل الذي ترعرع في ظل السلطة الفلسطينية، جيل حرم من حقوقه بكنوز ظهرت بوجوده، فكل الامتيازات التي يتمتع بها المسؤولون، وهم قلة، حرم منها كثير من أبناء الشعب، فاستأثر القادة بالمناصب والمكاسب، ولم يكن للشعب من نصيب إلا دفع الغرامة/ الضريبة الوطنية من معاناة وأسر، وشظف عيش، والبقاء في الهامش حيث الريف المهمش.

على امتداد مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط استطاع أحمد أن يحافظ على لغة سردية عملية، واقعية، تضيء على

الأحداث وتبنيها داخل هذه اللغة، وعلى الرغم من أن البنية السردية شعبية الفكرة والشخوص إلا أن اللغة كانت فصيحة، سلسة، فيها الوضوح السردي المطلوب؛ لأن السارد العليم المثقف الواعي صاحب الرؤيا هو الذي كان يتحدث، وممسكا بالخيوط جميعها، ولم يسمح لشيء أن يفلت من بين يديه؛ وهذا جانب آخر من الحذر الذي كان مسيطرا على الكاتب؛ فلم تحضر اللغة العامية إلا في مواقع محددة جدا، مع أن المنطق السردي كان يستدعيها كأحد المميزات الخاصة لشخصيات العمل، لتظهر صورتها المقنعة، وتكتمل عناصر هُوِيّتها.

كما اختار السارد لغة فيها الكثير من الإحالات الثقافية والمقتبسات النصية من

الثقافة العربية، والشعر العربي، والآيات القرآنية، كما ظهرت الرموز الإغريقية والأسطورية، وثقافة الروائي الفنية؛ كونه متخصصا في الفن التشكيلي؛ فظهرت ثقافته الفنية في السرد كذلك، وجاءت هذه التضمينات مجسّدة للفكرة الأساسية للعمل الروائي، أو داعمة لشخصية السارد الواعية التي تؤهلها ثقافته الممتدة أن يكون ساردا عليماً، قادرا على البناء السردي المتدفّق.

ثمة ما هو طريف في الحكايات التي يسردها السارد في هذه الرواية وتماثلها أو تناظرها على اختلاف في الشخصيات. فالجد وعلاقته بفريد، هي كعلاقة مراد بسالم؛ وهي على ما يبدو كالعلاقة المتوقعة بين مراد وأحمد؛ كأن ثمة لعنة تلاحق الأحفاد لذنب فعله الأجداد، كما تقول الحكمة الشعبية الرائجة في الريف: «الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون».

وهذا على ما يبدو ما حدث مع الكاتب نفسه- بصورة أو بأخرى- عندما استبعدت هذه الرواية بعد حماسته لذلك ووصولها إلى مرحلة متقدمة من المنافسة على جائزة القطان للكتّاب الشباب للعام ٢٠٢٣، ليأتي خبر طباعتها في مصر مطوحا لها ولكاتبها عن أن يستمر في السباق والفوز بالجائزة؛ كما حدث مع مراد نفسه الذي أقصي بفعل فاعل عن المنافسة على بطولة الجامعة للشطرنج (كنزه المعنوي)، فكشفه للأمر للجنة الجائزة، ومن ثم استبعاده لمخالفته شرط الجائزة الأساسي؛ ألا يكون العمل مطبوعاً، يشبه إلى حد ما تلك المخاطرة في كشف سر الكنز، فلو تم كشف الكنز لكان للسرد وجهة أخرى، كما لو لم يتم كشف السر للجنة جائزة القطان لكان لهذه الرواية شأن آخر، في أن يحصل- غالباً- الكاتب الشاب أحمد مسلم على جائزة اللجنة، وما تعنيه من كنز معنوي لكاتبها أولاً قبل القيمة المادية للجائزة، أو على الأقل ربما حصل على "تنويه" من لجنة التحكيم التي تضمّ في عضويتها روائيين مكرّسين ونقادا أكاديميين، لتكون شهادة استحقاق يسعى إليها كل كاتب شابّ، داخل إلى نادي الكتابة الواسع الممتدّ.

وأخيراً، أظنّ أن الكاتب أحمد مسلم بما قدّمه من عمل روائي في «سجناء خلف قضبان الذاكرة» يطرح نفسه وبقوة في عالم السرد، ليكون أحد روائيي الجيل القادم الممتلئ بأفكار جديدة، وبحساسيات فنية، تعتمد في شعريتها على أدوات مكتسبة، وأخرى فطريّة، ليكون قادرا على بناء مشروع روائي، يضيف إلى الرواية الفلسطينية أبعاداً جديدة أو يعمّق البحث في الأبعاد التقليدية؛ فيعيد إجابة أسئلتها من زوايا أخرى، تنتمي إلى هذا الجيل، وما يؤمن به من قضايا فنية أو ما يعتقده من أفكار.

---

* كاتب - فلسطين.

«ما بعد الموت»
عندما يحاكم السرد الروائي تاريخ الاستعمار

■ حنان الحربش*

لم يذهب الروائي هنري جميس بعيدًا حين قال: «نثق في أن الروايات تدربنا على ممارسة السخط العظيم والكرم الكبير»، ففي رواية «ما بعد الموت» للروائي النوبلي عبدالرزاق قرنح، سيجد القارئ نفسه أمام فتنة السرد وغواية الكتابة، كما أنه سيجد أيضًا متعة الاطلاع على جزء من تاريخ الاستعمار الأوربي في القارة الإفريقية، تحديداً في ذلك الوقت الذي استعمرت فيه ألمانيا الشرق الإفريقي، هذه المرة برؤية قرنح الكاتب التنزاني الحائز على جائزة نوبل أخيرًا. ولأن قرنح مهتم بالكتابة في أدب ما بعد الاستعمار؛ جسدت هذه الرواية رؤيته بجدارة، ليثبت قبل نوبل وبعدها أنه صوت إفريقي يتمتع بالقوة والأصالة والتميز.

تبدأ الرواية في نقل صورة المجتمع آنذاك، وهو مجتمع مركب من أخلاط وأجناس مختلفة؛ العرب، والهنود، والسكان المحليون؛ يعملون في الزراعة والتجارة والأعمال الحرفية، كان «خليفة» وهو شخصية أساس في الرواية تجسيداً لهذا المزيج المجتمعي، فهو مولود لأم إفريقية وأب هندي «لم تكن ملامح الهنود التي اعتاد الناس رؤيتها.. بشرته وشعره وأنفه كلها ترجع إلى أمه الإفريقية».

عُنِيَ والده وهو هندي مهاجر، بتعليمه منذ الصغر وإرساله للعمل في الساحل، ليساعد أحد المصرفيين الهنود، وما هي الا فترة حتى انتقل في العمل مع أحد التجار، والزواج بابنة أخيه «عائشة»، والتي تمثّل الصورة التقليدية للنساء في ذلك المجتمع.

> *«محو الاستعمار إنما هو حدث عنيف دائماً؛ لأن ذلك يبدل الكون تبديلاً تاماً». فرانز فانون*

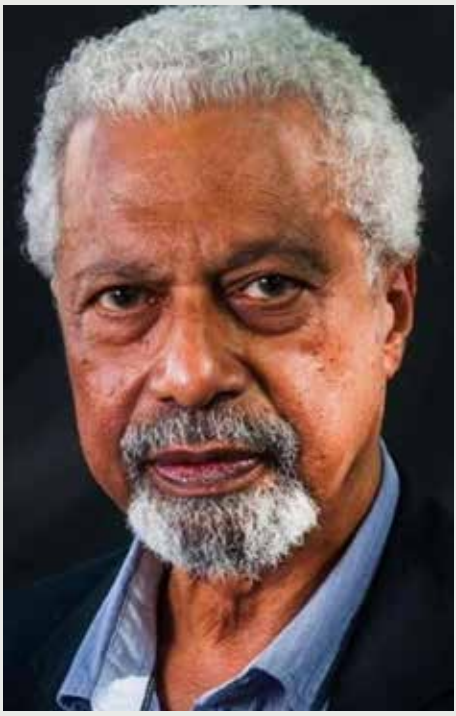

الروائي الصومالي التنزاني عبدالرزاق قرنح

تعد الحرب والفظاعات التي سببها الاستعمار «ثيمة» الرواية الرئيسة، في تلك الفترة الممتدة من تاريخ ثورة «البو شيري»، بشير الحارثي الذي رفض الاستعمار الألماني بالتحالف مع القبائل المحلية على الساحل الإفريقي، وثورة قبائل الواهيهي وزعيمها البطل الذي يحتفظ بجمجمته في أحد المتاحف في تنزانيا.. حتى انتفاضة الماجي ماجي التي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء بسبب المجاعة..

تتحرك تلك الشخصيات وتتطور في ذلك الخط الزمني الحافل بالأحداث والصراعات، كل شخصية تحمل قضيتها، وكل قضية تثير الكثير من الأسئلة أهمها سؤال الهوية.

لعل ما واجهه «إلياس» الذي هرب من منزل والديه طفلاً بسبب الفقر والمرض والجوع، ليجد نفسه يعمل في إحدى مزارع القهوة لدى مزارع ألماني حدب عليه وأرسله للتعلم في إحدى المدارس التبشيرية هو أحد أساليب المستوطن في طمس هوية المستعمر، فالكنيسة على حد قول فرانز فانون «كنيسة بيض، كنيسة أجانب؛ إنها لا تدعو الإنسان المستَعمَر إلى طريق الله، وإنما تدعوه إلى طريق الإنسان الأبيض»، وهذا بالضبط ما حدث مع إلياس الذي قرر بعد العودة إلى قريته وخوض جدالات مع السكان الأصليين الرافضين للاستعمار الألماني أن ينضم الى القوة الحامية للمستعمر فيما يُعرف «بالشوتزروبة»، ويقاتل في صفوفهم دفاعاً عن رسالة الرجل الأبيض الذي يمثل النموذج الحضاري المتقدم.

> «وأنا أيضاً أجبرني القدر القاسي على أن أبحث عن وطن جديد» فيرجيل

كذلك يهرب «حمزة» من مصير لا يقل بشاعة، فقد وهبه والده لأحد التجار الهنود عندما عجز عن الإيفاء بدينه، محرراً نفسه من نير الرقّ والعبودية، فما هي إلا فترة حتى ينضم للقوة الحامية «الشوتزتروبة»، حمله حسن الحظ للعمل كخادم شخصي لأحد الضباط الألمان الذي علمه القراءة والكتابة باللغة الألمانية، فلم يكن حمزة مضطراً للقتال سوى في الفترة الأخيرة من حكم الألمان، أثناء نشوب حرب بينهم وبين القوات البريطانية، وقد تم الهجوم عليه بوحشية من قبل ضابط ألماني كاد يصيبه في مقتل.. ليتم بعد ذلك نقله إلى إحدى الإرساليات التبشرية ليتلقى العلاج على يد مُبشر وزوجته..

> «لن تتكلم لغتي» عبدالفتاح كليطو

كانت العلاقة بين الضابط الألماني و«حمزة» علاقة مُستفزة للضباط الألمان، وينظر إليها كعلاقة تدنس المقام الرفيع للألمانية، اذ دأب الضابط على تعليم حمزة وهو «الهمجي»، «المتوحش» اللغة الألمانية، ويطمح لتعليمه اللغة إلى درجة تمكنه من تذوّق آدابها، تاركاً له أثناء تلقيه العلاج كتاباً «لشيلر»، وهو أحد أهم الشعراء الألمانيين، غير أن للمبشر موقفاً لا يختلف عن موقف الضباط الألمان؛ ما دفعه لأخذ الكتاب؛ لأنه كما يقول:

«أثمن من أن يترك بيد رجل من سكان البلد».

> «يا امرأة سوداء.. تتغطين بثوبك وهو حياة، وبتكوينك وهو جمال» سنغور

ولأن الرواية تحكي قصة مجتمع بكامل أطيافه، كان لعائشة زوجة «خليفة» و«عافية» شقيقة إلياس الصوت النسائي الأبرز في تلك الرواية، صوتان نسائيان يعبّران عن اتجاهين مختلفين، فعائشة هي أنموذج المرأة التقليدية المحافظة، ويصح أن ينظر إليها بوصفها صوتاً للمجتمع المحافظ على عاداته وتقاليده وممارساته الغيبية وطقوسه السحرية؛ فهي على الرغم من انتقادات زوجها اللاذعة تؤمن بطقوس إخراج الجان والمسّ والتعاويذ، وكانت ترفض كل مظاهر التجديد والتعليم، إضافة الى أساليب الطب الحديثة التي جاء بها الألمان؛ على عكس «عافية» التي تمثل قوة الحياة المندفعة نحو المستقبل، فقد دأبت على تعلم القراءة والكتابة، وجمعتها بحمزة قصة حب تخللها كتابة الرسائل وترجمة الشعر وانتهت بالزواج.

> «لم نولد للظلال.. الظلال الثقيلة والهواء الضيق الذي صنعته تلك الأشياء البيضاء» لا نغستون هيوز

يترك الاستعمار آثاره على الدول المستعمرة؛ ندوباً وكدمات على الجسد، وذاكرة موشومة بالقهر والاستعباد، هذا من جملة ما عالجته الرواية على الرغم من قصر حجمها نسبياً، وهي تتناول الحياة في ظل الاستعمار من خلال ثلاثة أجيال، تتلخص في شخصية الطفل «إلياس» وهو ثمرة زواج «عافية» بـ « حمزة»، وقد سمي بهذا الاسم تيمناً بشقيق أمه الذي اختفى بعد انضمامه الى القوات الحامية. يعاني «إلياس» في سنين طفولته الأولى من حالة عصبية تكاد تصف طفولة الشعب الإفريقي، ثم ما لبث أن بزغت موهبته في السرد والتأليف في الفترة التي ظهرت فيها الثورات ضد الاستعمار، ثم مرحلة العمل والدراسة في ألمانيا، كمعونة من الدول القوية إلى الدول الفقيرة دعماً منها للتحرير؛ موظِّفاً الكاتب هذا التطور المذهل في شخصية «إلياس» الطفل، للكشف عن سر اختفاء «إلياس» المجند في «الشوتزروبة».

> «في البداية يكونون لطفاء معه، لكنهم أخيرا يهينونه»!! لا نغستون هيوز

يتبين لاحقاً، وفي نهاية الرواية مصير جندي من آلاف الجنود الذين قضوا حتفهم فقراء ومرضى ومحكومين بالإعدام بعد انتهاء الخدمة العسكرية لدى الألمان، كان من بينهم شقيق عافية الذي سجن وقتل بسبب تحريات زوجة المبشر الألمانية بتهمة «انتهاك قوانين العرق النازي»، وتدنيس امرأة آرية، وهذا ما يوضح موقف المستعمر أو الرجل «الأبيض» من الرجل الإفريقي من إدانة شاملة واحتقار عام، وما يحمله تجاهه من إزدراء وإهانة!

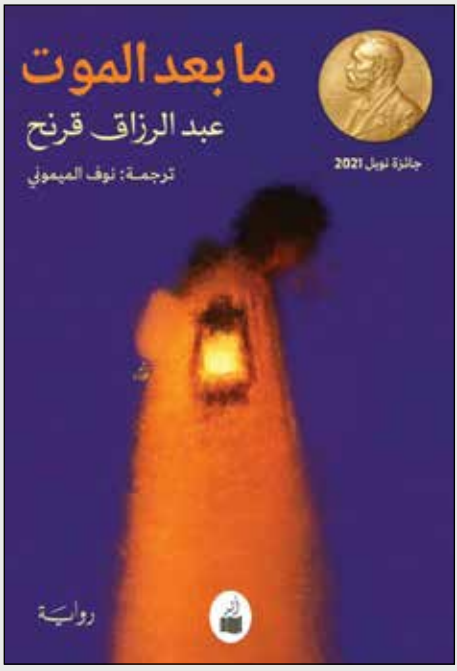

* كاتبة سعودية.

عبد الله أحمد الفيفي وطائر الثَّبَغْطِر

منارات للتوْق الجمالي في مسار حكايات الماضي والحاضر

■ فرج مجاهد عبدالوهاب*

مما لا شك فيه أنَّ النصّ يشير إلى عديد من الأسئلة، فتتنوّع الإيماءات والإيجابيات، وفق تنوّع أساليب تناول حكاية النص بنفسه، ومدى صلته بالمعرفة والمتعة، وبحثه الدائم في فضاءات السرد؛ للوصول إلى التّوق الجمالي الذي يرفع من قيمة النص وحكايته في مدارات ذلك الأفق، ومنارات التوق للجمالي.

يفاجئنا الأديب والروائي السعودي د. عبدالله بن أحمد الفيفي بعالمه الروائي الذي يُحرّك غريزة السؤال والتساؤل التي تنحصر في: كيف يمكن التناول- روائيًا- في حدود التعبير عن عالم فني جديد ومبدع؟ وربما تزداد أهمية مثل هذا السؤال إذا توصلنا- تطبيقًا- لا نظريًا-إلى أن تحقيق فضاءات ذلك العالم الفني، لا يمكن أن يتم من خلال رؤية سكونية للتاريخ، بل من الغوص في أوراق التاريخ والنظر إلى عوالمه ومتابعة آلية حركته، ومن ثم شرح الأوراق وتعليل أحداثها ومصاحبة شخصياتها الذي يفسح عن عالم الإنسان الفاعل المتحرك والمحرِّك؛ ففي مجتمع يفتقد التوازن كيف من الممكن أن نعبر عنه بطريقة متماسكة تعتمد التتابع والتسلسل «الزمني للأحداث جميعها»، وفي مجتمع مفكك مبعثر «فكرًا وثقافة وعلماً»، فهل من الممكن التعبير عن كل هذا بطريقة واضحة وأسلوب مترابط وفنية تجمع الأسلوب والصياغة واللغة في فضاء إبداعي يجسّد قيمة الحدث ودور أبطاله وشخصياته دون انتزاعهم من تاريخهم وموروثهم، ودون فصلهم عن أحداثه المعاصرة وإفرازاتها؟!

هذا ما حاول مبدعنا السعودي أن يشتغل عليه في روايته «طائر الثبغطر» الصادرة عن الدار العربية للعلوم، في بيروت عام ٢٠١٤م.

أما طائر الشبغطر الذي جعله عنوانًا للرواية، فهو كما يقول «طائر غريب، يذكره الناس ولا يكاد يعرفه أحد، غريب غامض، يُقال إنه طائر مهاجر، وإنه لا يهجع ليلاً، حتى اسمه لا يُعرف أصله»!

استعار المبدع اسم الطائر وصفاته ووصف به بطل روايته وليد موسى، فما سمع المؤلف حكايات وليد موسى إلا وتوارد إلى خياله ذلك الطائر المجهول أو شبه الأسطوري، فوليد موسى والطائر يشتركان في أمور كثيرة أهمها غموضه وغرابة أفكاره، وعدم سكونه وسمات حكاياته العظيمة التي أوصلته إلى النبْذ وتشويه شخصيته ونعته بالجنون.

هذه الشخصية الغريبة والغرائبية كانت المحور الأساس في بنية الرواية.

قامت الرواية على مساحة ٣٢٢ صفحة من القطع المتوسط، توزعت على خمسة عشر فصلاً روت حكايات وليد موسى، تناولته من ولادته حتى انتهى أمره راعيًا للغنم في إحدى مناطق السعودية الصحراوية.

ولكن السؤال الذي فتح الراوي نوافذ مسروده عليه؛ إذ أشار إلى أنه من المعروف أن يعرف راعي الضأن والشاء، أحوال البيئة وتقلبات الطقس وأحداث الماضي في نطاق تجربته المحدودة؛ لكنه من غير المألوف أن تجد مثل هذا الراعي، يُحدِّثُك في الفلسفة والتاريخ والسياسة الدولية، ويُتقن غير لغة واحدة، فضلاً عن تمتعه بملكة أدبية، أحاطته بشؤون في الثقافة والفكر (الرواية: ص٧).

هذه الشخصية شدَّت الراوي إليه وإلى أخباره منذ أن كان طالبًا في المرحلة الإعدادية، وكثيرًا ما كان يراه مسجونًا يجر سلاسله من مركز الإمارة إلى سجنه.

لم يكن يعرف شيئًا عنه وعن أسباب سجنه غير ما كان يسمعه من قصص، وأن اسمه وليد موسى من قبيلة آل شرف، وأن شخصيته تحوّلت إلى أسطورة شعبية حقيقية.

وبعد تخرج الراوي من الجامعة وزياراته للمنطقة، تفاجأ به يظهر مجددًا، لكن منعزلاً في دارٍ متواضعة؛ ما دفعه فضوله مع تخصصه في الدراسات الاجتماعية إلى نبش أمره، و«إذ أستطيع القول الآن وبعد مضي خمس وعشرين سنة، أعتقد أنني قد عرفت أسطورة الرجل كاملة تقريبًا، ومن المهم

أن أوري للناس أسرار هذا الرجل الغريب» (الرواية: ص١٣).

يبدأ بزيارته في منزله، كان أَميَل إلى النحافة، بدا في الخمسينيات من العمر، كان يعلّم ابنته الحلّب «ما طمأنني أنني لم أسمع عنه قط أنه يؤذي الناس، كما أن مظهره لا يوحي بالجنون كما أشاعوا عنه.

يسأله صاحب البيت.

- لم جئت؟
- جئت أسألك: أمجنون أنت أم صاحٍ؟
- تفضل، ويدعوه لشرب اللبن.
- باحث اجتماعي حضرتك؟
- باحث عن الحقيقة.
- ستتعب، على كل بعد الإفطار واصل حديثك. أحضرت زوجته الخبز، والسمن، والعسل، والبيض، والحليب، والشاي..
- ما شاء الله، ما كلُّ هذا يا "أبلة جميلة"؟
- الحمد لله، كله من الإنتاج المحلي، ويسهب في الحديث عن الأوضاع الاقتصادية وكسل أهل الديرة.. يتساءل في نفسه. مجنون يتحدث عن الأوضاع الاقتصادية والاستثمار في البلد (ص٢٧).

تتوطد الصداقة بينهما، وفي إحدى الصيفيّات أعطاه كتابًا سجل فيه ذكرياته: خذه لعل فيه بعض إجابة عما تبحث عنه، ويعود إلى اسمه الذي كان اسمين في صغره، اسمًا شعبيًا وآخر يؤذن بتحوّل جديد هو اسم ابن الشيخ، وتجليّ دلالة هذا الاسم على مستوى القبيلة، وعندما ولد اختلف أبوه

الكاتب فرج مجاهد

مع أمه على تسميته فاختارت الأم اسم وليد واختار الأب اسم موسى، ومع الأيام التحم الاسمان وأصبح وليد موسى، ويطيل الراوي في موضوع (الختان) كإجراء وطقوس تختلف بين الغني والفقير، ويصل إلى ختان سيدنا إبراهيم وعمره ٩٩ سنة. ويشير أن اسماعيل ختن وهو في الثالثة عشر من عمره، كما يشير إلى تاريخ عادة الختان وفوائده الصحيّة.

ويتولد وعد وليد العلاقة السماوية الأرضية والمطر الذي سبب كثيرًا من حالات الانهيارات الصخرية، وكيف جرف المطر بعض بيوت الجبال بساكنيها، ثم يروي أن أبا وليد أول من استخدم الإسمنت الذي لم يكن يعرفه أحد من أهل الديرة.

لقد عاشوا بفعل خيرات الأرض حياة هانئة، رغم الفاقة يأكلون مما يزرعون ويلبسون مما يصنعون، ويشير إلى ملابس كل من الرجل والمرأة وقتئذ، وكيف كانت النساء يعُنين بعطورهن وشعورهن وحليهن.

وعندما بلغ وليد مبلغ الفتوّة، وانتفاض الذكورة للأنوثة حكى له أبوه حكاية أيقظت فيه ذلك كله، والحكاية مصدرها الروائح النسوية التي وجد ابنه قد فتن بها، وتروي الحكاية عن أمحم عُقَيَستاء الصوفي، وكان له أخ أصغر منه ذهب عند جماعة يشتغلون في إحدى المزارع، في الطريق صادف امرأة تحمل الغذاء، ناولته المرأة من مكان مرتفع فسقطت قطرة عرق من جبينها على جبينه، وعندما أحضر الغذاء وجد أصحاب المزرعة رائحة خروش المرأة المعروفة بعطرها المميز، فاتهموه بها وقتلوه وردموا جثته في التراب، ولما طال غياب الأخ عن أخيه قرر البحث عنه، وقال لزوجته بعد أن أمّن لها ولابنته كل ما يلزمهما: إن مرّت سبع سنوات ولم أعد من حقك الزواج، ومضى يبحث عن أخيه، ويقال إنه فكر في صنع جناحين يطير بهما مستطلعًا مكان أخيه، وحقق أمنيته وطار حتى وصل مغرب الشمس فذاب الجناحان وسقط، إلا أن المولى سخر له ملائكته فتلقفته ورفعته إلى السماء، وفي الجنة قابل أخاه وأنبأه بقصته وأوصاه إن عاد إلى الأرض أن يكتفي بأخذ ديته من قاتليه وأنهما ما يزالان يتعبان ليلاً ونهارًا، ويعود الرجل إلى الأرض، ولما وصل البئر القريبة من منزله وجد صبية تسقي فعرف من أجوبتها أنها ابنته، وأن الليلة عرس أمها فيعطيها خاتمه ووضعه في قربة الماء وأوصاها أن توصله لأمها، وما أن فتحت الأم القربة حتى اندلق الخاتم من فمها مع الماء، وعرفت أنه خاتم زوجها وقصت الإبنة على أمها حكاية الرجل الذي أعطاها الخاتم.

وخلال الاحتفال بالعرس يُكتشف أمره فيلتغي العُرس! ثم يعمل على تنفيذ وصية أخيه وذبح القرابين ثوره، وواجه قتلة أخيه واتفقوا على دفع الفدية، وتعثر أحدهم بدفع آخر قسط وكان لديه خروفان، فطلب أن يأخذ أحدهما مقابل القسط، إلا أن الخروف توقف بينما الخروف الأخر يهذي ويناتع محاولاً الفكاك من رباطه واللحاق بأخيه، فيطلب منه أن يترك الخروف لأنهما أخوان لا يعيش أحدهما دون الآخر...(ص٨٤).

كما تحكي له أمه حكاية (مية ومَجَادَة) وهي تشبه قصة سندريلا مع بعض التصرف.

لقد كان جميعهم يؤمنون بعدم انفصال الدين عن الحياة، لكنهم كانوا يؤمنون بأن الرجل كان يُغالي ويستغل الدين لمآربه وغاياته وتسويغ طبائعه النفسية والاجتماعية التي تغلب عليها الانطوائية والنزوع إلى الانغلاق، يشفع ذلك بسرد الحكايات الشعبية عن بعض القرى المدمرة بسبب ما أظهر أهلوها من بطر وفساد.

ويعود إلى ذاكرة وليد خلال المدرسة الابتدائية ورؤيته لملابس لم يرها من قبل كان يرتديها المعلمون القادمون من الأردن وفلسطين الذين يرتدون البدلات الرسمية، ويصل الأب إلى مراحل الشيخوخة ويموت.

تتفرق الأسرة من بعده وتلتحق الأم مع ابنها بديار أهلها، ويلتحق وليد بكلية الطيران، ورغم تفوقه النظري والتطبيقي تفاجأ بأنه لا يصلح للطيران، وما عليه سوى أن يتحوّل

إلى مجال هندسة الطيران فرفض وعاد إلى القرية بخفي حنيّن، وقد تغيرّت القرية تغيرًا كبيرًا، وتمرض أمه ويأخذها إلى جّده للعلاج، لكنها تودّع الحياة.

يسافر بعدها إلى الخارج ليتعرف على العالم، كان يود أن يرى خلقًا آخر من خلق اللّه، وأطعمة أخرى، نكهات مغايرة، عقولاً جديدة، ليعيش رحلته بين الشك واليقيّن في كل شيء، ولولا بقية إيمان وعقل لانحرفت به السبل أيما انحراف، أخذ يتذوق النبيذ ولم يعرف أنه خمرٌ! أما النساء فعرف فيهن النبل والذكاء تارة، والمكر والغباء أخرى، وكُنّ في الغالب أنبل من الرجال وأرقى بطبعهن العاطفي المائل إلى الخير والإنسانية!

لقد كانت تجاربه في تلك المحطات الفاصلة من حياته تجارب إنسانية ثرية رغم كل شيء.

في أميركا كانت بلد الحلم الذي طالما راوده، يعيش أهلها في فضاء مادي مغلق على المصالح الفردية الخاصة، ومن الطريف أنه اصطدم بجاره اليهودي، كان يتوضأ في إحدى دورات المياه العامة وجاره اليهودي يتمخط بعنف على نحو غريب في حوض مغسلة أخرى، ويستاء اليهودي من أن وليد كان يغسل قدمه في الحوض فوجده أمرًا مستقيمًا فسأل الجار، لكن ترى أيهما أكثر قذارة موضوعًيا: غسول قدّمي أم ما يخرج من فتحتي أنفك؟!

ويجد أن أمريكا بخلاف بريطانيا؛ إذ بعثت في رأسه كثيرًا من الأسئلة. لم تكن صدمة وليد بأمريكا حضارية بقدر ما كانت إنسانية وطبيعية إلى حد ما، أعجبه الانضباط واحترام حقوق الإنسان.

يعود إلى الرياض ويعاصر غزو العراق للكويت. وتحالفت ٣٠ دولة بقيادة أمريكا وقامت الحرب، ومن خلال مواقف صدام حسين وتهديداته ورسائله يشير إلى الرسالتيّن اللتيّن تبادلاهما امبراطور الرومان أوليان والملكة العربية المشهورة زنوبيا ملكة تدمر، كما يتحدث عن مصير زنوبيا، وتذيع إذاعة بغداد «شنت إسرائيل اليوم هجومًا على جمهورية اليمن مستهدفة محطة كهرباء. كما تمكن جنود اليمن من إسقاط طائرة وأسر الطيار، وتتوالى البيانات العسكرية، وبدأ وليد يكتب مذكراته: ٢٢ فبراير ١٩٩١، قبول العراق الانسحاب من الكويت حسب خطة موسكو.

وحددت أمريكا يوم الغد آخر موعد للانسحاب مهّددة بشن هجوم بري على العراق متجاهلة المبادرة المطروحة للسلام واتهمت العراق بتفجير آبار النفط وسياسة الأرض المحروقة (ص٢٢٧).

وبدأ الهجوم البري الأحد ٢٤ فبراير ١٩٩١ ويشن العراق غارة صاروخية على الرياض، وفي التاسعة والنصف ليلاً أطلق صاروخ على الرياض فُجّرَ في الجو، ويذكر حسنى مبارك أن قواته لن تدخل العراق وتستمر الحرب البرية، وظل العالم مشغولاً بقرار العراق للانسحاب من الكويت وكان ٢٦ فبراير يوم تحرير الكويت، وتتوالى الأنباء عن انتقال المعركة التي نعتها صدام بـ «أم

المعارك» ونعتها الخليجيون بـ «أم المهالك» إلى داخل العراق، وفي يوم ٦ مارس ١٩٩٤ يُعين صدام حسين ابن عمه «علي حسن المجيد» وزيرًا للداخلية مطفئ الحركة الكردية، ويعيد العراق ما نهبه من الكويت وآبار النفط ما زالت مشتعلة، وما انفكت المعارك بين الجيش العراقي والمعارضة، ويتمكن صدام من إخماد المعارضة، واتفق مع الأكراد على حكم ذاتي، ويشير إلى يوم ٢٨ أغسطس ١٩٩١ وافتتاح القذافي المرحلة الأولى من النهر العظيم، وتمر الأيام بالحظر الجوي على جنوبي العراق، ومآسي البوسنة والهرسك، والمجاعة الصومالية، والحرب والسلام وزلزال القاهرة (ص٢٦٦).

وتنتهي الحرب ويلتحق وليد بإحدى جامعات جده، ويحصل على بكالوريوس في الإدارة والاقتصاد ويلتحق بوظيفة حكومية، ولكن هل سيكف عن مزاولة نقده، ومصادماته لما حوله ومن حوله هذه المرة؟

تقع تحت يده وثائق تثبت أن مسؤولاً قياديًا يستغل منصبه لتوظيف أقاربه وتقديم مساعدات وأعمال فساد وتزوير، جمعها وحاول تقديمها للمسؤول الأعلى الذي لا يجد وقتًا لاستقباله، وبعد عدة محاولات يحظى بمقابلته ويقدم تقريره مع الوثائق والمستندات، ووعده بمتابعة الموضوع، وبدلاً من أن يعاقب المفسد يقدّم للتحقيق متهماً بعدة تهم مفبركة تؤدي إلى طرده من وظيفته ليكتشف أن الموظف الفاسد هو ابن خال معاليه، وهكذا سرعان ما فصل وليد موسى من عمله بتهمة خطيرة تتمثل في مشاغبة السائد والمسلّم به، أراد أن يكون الصادق الأمين، فحوّلته المؤسسة إلى متهم بالتزوير والاختلاس وركلته إلى الصحراء لا لشيء إلا لأنه ما كان يقبل بالفساد الإداري والمالي، ولا هم كانوا سيتقبلون من لا يتقبله.

يلتحق بعد ذلك بمؤسسة أهلية تجارية ويتزوج من قبيلة أخواله، الذين سرعان ما بدأوا الخلاف معه بسبب أفكاره وطعنه لعباداتهم، ونقده للشيخ ابن ساعدة نفسه؛ حتى صار يهدد كيان القبيلة بسبب أفكاره، ولم يكتف بذلك بل راح يدعو إلى تحرير المرأة وحقها في العمل والزواج وقيادة السيارة فاتهمه أهل القبيلة بالجنون لاسيما حين تدخل في قضايا إسلامية وسياسية واجتماعية بدعوى دعوته إلى التقدم حضاريًا وإنسانيًا.

يعرضون عليه الزواج والعيش الميسور على أن يمسك لسانه عن الناس، فيرفض.. وحتى المحقق انحاز لمنطقه السليم فيما يخص أنه ليس في الإسلام عقوبة بالسجن، ويتشاور كبار القبيلة مع أخواله إذ قال قائلهم: لا سبيل معه إلا الطرد من القبيلة، قال آخر: إلا إن امرأته ترفض وتصر على البقاء إلى جانبه، ويهاجر من بني ساعدة مع زوجته وابنته. عاد كسيرًا يائسًا في الناس ومن نفسه، وكان صيته قد سبقه في المجتمع الجديد القديم مع تهويلات ما يضعه الخيال الشعبي الذي صوّره أنه مجنون، بل إن بعضهم بالغ في شأنه فادّعى أن الرجل كان يدّعي النبوة، ويزعم أنه المهدي المنتظر، أو أنه يعلم الغيب ويتنبأ بالمستقبل!

عاد وليد كيوم ولدته أمه غريبًا في أرضه كطائر «الشبغطر» لم يفلح بالتغيير كما كان يتوقع، فالمحيط كان أقوى منه، والغريب أن الحكايات الملفقة التي نسجت حوله ذهبت إلى التشكيك حتى في نسبه، وأنه ربما عثر عليه أبوه المفترض في الحج فتبناه، والأغرب ما زعم بعضهم أن الرجل العائد ليس بوليد موسى، لكنه انتحل شخصيته، وأن وليدًا الحقيقي مات في حادث سيّر، لكأن الناس لم يكتفوا بتجريده من عقله، بل أرادوا تجريده من نسبه وأن يستأصلوا شأفته لو استطاعوا.

أتساءل الآن: أيظل وليد موسى هكذا نبيًا مجنونًا، مستسلماً لتلك الشيال التي ألقاها عليه قومه، كطائر يحوم في أقفاص صمته أم هي استراحة الجناح قبل أن يعاود التحليق؟!

غوص في أعماق الشخصية حتى بدا النص وكأنه سيرة ذاتية لمناضل ثوري يرويها السارد بضميره، وتداخل مع العادات والتقاليد وكل ما يربط التراث بمصطلحات ما يحيط بذلك المجتمع من دور وثياب وعادات من زوايا التاريخ الشعبي والمنطوق لكل ما أورده المؤلف في الجزء الأول من الرواية، ثم هو نبش للتاريخ المعاصر واحتلال العراق للكويت، وما عكسه هذا الغزو المرفوض من كوارث إنسانية وبشريه كان الخاسر الأول فيها العراق، الذي ما يزال يعيش نتائجه المأساوية حتى الآن، وكل ذلك من خلال نص روائي حاذق ونابه، سعى إلى تقديم صورة واقعية للعلاقات الاجتماعية والإنسانية في إحدى مناطق السعودية الجلية المحكومة بقانون القبيلة وعقلية أفرادها التي لم تصلها غبار طلع الحضارة الحديثة، فكانت مثاقفة وليد موسى للحضارة الأوربية وانبهاره بها، ولما عاد إلى قريته وقبيلته حاول أن يطور المفاهيم والعادات، فاتهم بالجنون لأنه خلق عادات وعلاقات جماعية تحتاج إلى نمو الوعي وإلى ثقافة قادرة على التلاؤم مع مستجدات الحياة، وكذلك فشل الوعي والثقافة في مواجهة الجهل والتخلف والغوص في عباءة الأعراف البالية، مع أن الرواية حاولت التأثير في القارئ عن طريق تقديم الحقائق النوعية الفنية بصورة مقنعة مجسدة، وعن طريق السارد العليم، وهي تغوص بأدق الجزئيات والتفاصيل التي ربطت بين الظواهر والمواقف والإحالات وإخضاعها للفهم والربط والتغيير.

وإذا كان من أهم عوامل نجاح الرواية الحديثة إثارة الأسئلة، فقد كانت الرواية في قمة تألقها وهي تثير كثيرًا من الأسئلة، سواء في البيئة الجبلية القديمة وأنماط ثقافتها، أو في المدينة الحضارية التي عاشها وألفها وليد موسى في أوربا عامة وأمريكا خاصة، أو من خلال مواقفه وأسئلته والإجابة عنها، حتى من خلال تفكيره الخاص الذي رفضته القبيلة، وإن كانت الأسئلة والأجوبة فشلت في الوصول إلى الإحساس بضرورة التغيير، إلا أن الرواية نجحت في نمو الإحساس الجمالي، الدال بكل قوة وفنية على الرؤية الوثوقية الفنية للعالمين الواقعي والفني والإبداعي، وعلى مستوى تصاعدي واحد.

---

* كاتب - مصر.

خريف

■ جميلة عمايرة*

أريد أن أنظف رأسي من كل ما يؤرقني..

من كل شيء..

من تلك الأفكار المجنونة التي لا تتوقف عن الثرثرة في رأسي، ولا أعرف من أين تجيء، ومَن يقف وراءها. ثمة قوى غامضة أجهلها، تقف ضدي وترسلها.

في الليلة السابقة، عادت أحلامي القديمة للظهور من جديد. وكنت أظن أنني نسيتها، أو أضعتها في جملة أحلام أخرى جديدة، إلا إنها عادت ثانية. ما الذي تحملينه لي أيتها الأحلام؟

أجلس على الشرفة.

أتأمل الخارج.

الشارع النائم توقظه آليات الجند فينهضُ متثائباً. يود لو يعود إلى نومه ثانية، إلاّ إن خطوات الدركي العريضة توقظه من جديد. فينهض عابساً.

بعض المارّة يسيرون بالشارع، وهم ملتزمون بإجراءات الوقاية والسلامة. سيارات قليلة تمر بين الحين والآخر.

صوت أمي تنادي، يصل واضحاً للشرفة، ولا يخطئني. أفزُّ من مكاني مذعورة، وأهرع لغرفتها..

من أين يجيء كل هذا الغبار، وكل شيء مغلق؟ قالت، وهي تشير للتلفزيون.

مسحت الغبار عن شاشته، لتكون الصورة بكل أبعادها واضحة أمامها،

كي يصلها البث صافياً، وتسمع الأخبار، لتخبرني بعد قليل بما لديها، وتبدأ بتحليلاتها.

عدتُ للشرفة.

أغبط الشجرة المقابلة للشرفة، الواقفة بوجه الجند والريح. لو كنت مكانها.

أنا شجرة.

رن هاتفي. كانت مريم. صديقتي التي تقيم خارج البلاد منذ سنوات، وهي شاعرة ومترجمة.

الأصدقاء الأصدقاء. ها هي واحدة منهم تطل.

تحدثنا كثيراً عبر الهاتف. هذه واحدة من الميزات التي منحتها لنا تكنولوجيا الاتصالات.

بعثت لي مريم ريان هذه القصيدة.

«هل تسمعني؟

أشرب قهوتي على عجل،

وأهرول مسرعة خارج النص.

داليدا تغني «حلوة يا بلدي»

وأنا أكتب عن وطن ضائع أكثر مني.

وأتساءل أحيانا

لِمَ ينتحر الصوت؟

وكيف أستعيد الوقت في ساعتي؟

لقد تأخرت.

قهوتي المُرّة في انتظاري،

أرتشفها على مهل..

وأغني لتلك البلاد البعيدة».

جاءت أمي.

لا بد أن لديها أخباراً، وتريد إعادتها فوق رأسي.

سجلت إصابات هذا اليوم ٤٠٠ حالة. للتو أعلن «جورج كالوني». غداً حظر لمدة أربعة أيام. تم عزل أحياء في عمان: «الهاشمي الشمالي وجبل الجوفة»، بعد اكتشاف حالات هناك. وتم حظر «عين الباشا ومخيم البقعة».

غداً حظر؟

لأربعة أيام متتالية. بدأ الوضع يتفاقم، وخارج السيطرة.

لا تقلقي يا أمي. هذا ليس دقيقا، و..

قلت لك ألف مرة لا تعيدي هذه الجملة أمامي. أنا قلقة، وقلقة جداً. لو يلتزم الناس، بشروط التباعد بينهم، لما كانت كل هذه الإصابات المحلية. قالت غاضبة وخرجت.

صدقتُ ظني بك.

الخريفُ أضاع أوراقه ومضى، الشارع خاوٍ تنوح به الريح، ومقاعد الرصيف جالسة تحدق بالفراغ.

---

* كاتبة – الأردن.

مُعايدة

■ محمد الرياني*

قبَّلتْني قبلةً واحدةً يومَ العيدِ وأشاحتْ بوجهها، اكتفتْ بابتسامةٍ واحدةٍ احمرَّ معها خدُّها، طاردتُها لأقبِّلها أو لتمنحني قبلةً أخرى، فابتعدتْ واختفتْ بين الشراشفِ الورديةِ التي تكاد تنطقُ من الفرح مثلَ وجنتيْها، قالت لي غدًا عيدٌ أيضًا، جعلتُ وجهي يسوَدُّ ويظلمُ من الجزَع، قلتُ لها غدًا لن يأتيَ العيدُ ثانية، سيكونُ قد مرَّ يومان عليه.

قالت: سأطبعُ لك القبلةَ الثانيةَ، وسترى العيدَ وكأنه وُلدَ من جديد.

طاردتُها لأسبقَ اليومَ الثاني، لأضمَّها، ولم أستطع، غابتِ الشمسُ، وبتُّ أقلبُ بصري في السماء، أتأملُ الطبقَ العلويَّ الذي تزيَّا بالنجومِ كمن فرحَ بيومِ العيد.

انطوتِ الصفحةُ السوداء، حضرتِ الشمسُ برتقاليةً كمن لبسَ للعيدِ لونًا مُشرقًا.

أقبلتْ نحوي.. فأمسكتُ بها، وضعتْ كفَّها على خدِّها، طبعتْ على خدِّي قُبلتَها الثانيةَ، واكتفتْ بها، ولم تدعني أخرجُ أشواقي وآهاتي وفرحتي بيوم العيدِ في ثاني الأيام.

جلستْ إلى جواري تقضمُ بعضًا من الحلوى حتى النصف.

وَضعتِ النصفَ الباقي في فمي، فالتهمتُه، طلبتُ المزيدَ، فحركتْ رأسَها بالرفض.

قالت لي: بقيَ يومٌ ثالثٌ.. سنأكلُ المزيدَ من الحلوى ونتبادلُ القبلات، تنهدتُ وأنا أشيرُ إلى الوقتِ وأحسبُ ما بقيَ من النهار.

بدا الهلالُ الجديدُ صغيرًا جميلًا، والنجومُ تتلألأُ في السماءِ، والعيدُ لايزالُ يغطي كلَّ الكون.

أصبحَ الصباحُ، فجاءتْني بلباسٍ جديدٍ وبسماتٍ كثيرةٍ، ومعها طبقٌ أبيضُ يزخرُ بالحلوى، دعَتِ البقيةَ ليشاركونا الفرحة.

احمرَّ خدِّي من حُمرةِ وجنتيْها، وزَّعتْ قبلاتِها عليَّ وعلى الآخرين، شعرتُ أنَّ النهارَ يمضي أسرعَ من سابقيْه، بتْنا في اليومِ الثالثِ سَهارى كما تفعلُ النجومُ في الطبقِ الأسود، قالت لي:

(يا أبي كم هو العيدُ رائعٌ بوجودك! سيأتي العيدُ الجديدُ وقد كبرنا، وأنتَ أنتَ العيد.)

---

* قاص سعودي.

كيف ترى النُّور

■ سمر الزعبي*

«وين رايحة يا هدى؟».

«أشوف محمّد».

تتوقَّف عديلة عن تقطيع الخُضار، بعدما كادت تجرح يدَها. تضبطُ انفعالاتها؛

«يا حبيبتي، اتركيه، انتبهي لدراستك.. عندك توجيهي».

تصفقُ البابَ، ثمَّ تسمع كلمات وداعها وهي تغادر من ممرّ البيت الخارجي المرصوف بالحجارة؛ فترقبها عديلة من نوافذ المطبخ الكبيرة ذات الأُطُر الخشبيّة بتنهيدةٍ مُرّة، حتى تختفي.

- تعود قبيل المغرب، تقصّ على أمّها كلّ ما دار بينها وبين محمد، وإن أخبرتها عن أيّ تصرّف فظّ قام به، فجرحها، تنتهز عديلة الفرصة، وتقنعها بابن الجيران، الذي ما يزال عرضه للزواج قائمًا، فتثور هدى، وتذكر مواقف محمد الرجولية، فلا تستطيع عديلة أن تنكر. تجرّ فزعها، تجترّه في المطبخ، ثمّ تعود محمّلة بأطباق العشاء.

تأكل البنتُ بشهيَّةٍ وتنام. فيما تنطوي عديلة، تشكو خوفَها للأواني، فتعزف معها مقطوعةَ القلق، ببطء، بقرف تجفّفها، ثمَّ يلتهمها الفِراشُ فِكَراً حتى الصَّباح!

تأتي البنتُ في اليوم التّالي محمَّلةً بأكياس الهدايا، تفرغها على الطاولة، تصفُّ بعضها إلى جانبَ بعضها الآخر، بعلبٍ مزركشة وألوانٍ جذَّابة، تُسَرُّ من أجلها، وتقرص خدَّها:

- «طبعاً صالَحك.. ما قدر يقاوم هذا الجمال».

تجمع هداياها الغالية، أما عديلة فتخرج تنشر الغسيلَ كي تتنفَّس الصعداءَ، نهنهتُها مكتومةٌ، عيناها تترقرقان، فيمحو منديلُ الرّأس المعقوف خلفَ رقبتها خطاهما أوَّلاً بأوَّل.

تتقنُ عديلة مراقبةَ ابنتها، ولا تيأس، تتبع صغيرتَها دون أن تكشفَ نفسَها، ولا مكانَ يروق للبنت سوى حديقة أبو نصير العامَّة، صيفاً، شتاءً. تختلقُ عديلةُ المصادفاتِ أحياناً، تُجاورها، وتتظاهر بتصديق كلامها. ذات مصادفة، تمرُّ عليها في الحديقة، فتبادرها هدى، معتذرةً أنَّه غادر للتوّ.

- «كيف يروح دون أن يوصلك للبيت؟».

- «دايماً يوصِّلني، بس آخر مرَّة شفته

فيها..».

ولا تُكمل، تضغط على رأسها بكفَّيها.

- «آه يا روحي.. آخر مرَّة شفتيه فيها شو صار».

تضغطُ بقوَّة، ووجهها البيضاويُّ يبدو كعجينة، شفتاها الورديَّتان تبهتا، ترفع شعرها الطَّويل الأشقر، تلفُّه بخرقة ذاكرةٍ ممزّقة، ثمَّ تصرخ بوجه أمها كلَّما كرَّرت عليها السؤال، وعيناها تقدحان شرراً.

في طريق العودةِ تردُّ هدى على مكالمة، هي وحدها من سمعت رنين الهاتف.. وتطول المحادثة، تعاتب «محمّد» على غيابِه.

تغلي الدماءُ في رأس عديلة، تسعلُ عمراً من الشّقاء، لكن تقبض على المقود بهدوء، ثمَّ توقف السيارةَ، وتطلب من ابنتها شراءَ عبوة ماء من متجرٍ مجاور، تقلِّب الهاتفَ بعدما تتأكّد من زوال طيف هدى، تتفقَّد سجلّ المكالمات، وهي تعرف أنه لن يعدو إلّا فارغًا من أيّ مكالماتٍ حديثة.

صعدت هدى، فانطلقت عديلة مسرعةً بلا وعي.. البنت تصرخ من الخوف، لكنّ هذا لا يثني عديلة عن القيادة بسرعة جنونيّة، لا تفهم المواقف السّابقة لثوراتها، فمهما بدت متماسكةً إلّا إنها قد تنفعل تحت أيّ تصرف يصدر عن هدى، ولو كان مُعتادًا، ربّما تحتاج هي أيضًا لمساحةٍ يصبر فيها الآخرون على زلّاتها.

تبدو قيادتها هيستيريّة، لكنها تقف دفعةً واحدة، والبنت ترتجف، تترجَّلُ عديلة قاصدةً بابَها، تشدُّ الصّغيرةَ من يدها، فتصرخ البنت: «واللّه لأحكي لـ محمَّد عنك».

تقابلها عديلة بالصراخ هي الأخرى: «خلص.. خلص عاد.. بكفِّي، ومن هذا؟».. فتنظر هدى حيث أشارت، وهي ما تزال تردِّد: «قبر مين هذا يا هدى؟ أخبريني، من شان اللّه.. اقري الاسم».

فتنهار، تحتضن القبر.. إنه مسجى هنا منذ سنة!

- «محمّد ميّت.. ميّت، اصحِ يا بنت!».

تذكَّرت هدى القبرَ، وبكاءَها الطويل عنده، تذكَّرت جنازتَه، وأيَّامَ العزاء، تذكَّرت الحديقةَ العامّة، ودرجَها المفضي إلى الشارع، تذكَّرت الشاحنة المسرعة التي كانت ستدعسُها، وجثّتَه الهامدة بعدما اندفع إليها يشدُّها من أمام الشاحنة، وسقط مكانَها.

بكت حدَّ انسجام ظلالِ الكون في قِبلةٍ واحدة، وانكسار ضوئه في قطرة واحدة، اغتسلت بها دمعاً، لكن بقيت مُحتَجزَة بين جزيئاته.

بعد وقتٍ فقَدَ بوصلَتَه، ساعدت عديلة ابنتها على النهوض، وأخذتها حيث السيارة، مكّنت حزامَ الأمان نحو خصرها النّحيل، وفور أن انطلقتا: وحدَها هدى من سمعت صوت الرَّنين، فسحبت الهاتفَ، وردّت على مكالمة..

---

* كاتبة - الأردن.

قصص قصيرة جداً

▪ محمد صوانه*

صانعة الغد

تحويه..

ثم تتلقفه يداها الواهنتان بلهفة..

تصنعه على عينها..

كأنه عجينة.. !

ثم تطلقه..

فيبلغ عنانَ السماء!

تلميع..!

قبل أن يذهب إلى الحفل،

لمّع كل أدواته: ملابسه، وتسريحته،

ونظارته، وحذاءه، وسيارته..

وتعهد الابتسام؛

لكن وجهه - في عيونهم - ظل باهتاً!

حسنة..!

دمعة الصغير ما تزال ساخنة..

تطلب عجوز منه أن يقترب منها..

تمسح بيدها الخَشِنة على رأسه..!

تبتسم لمرافقها: في كل شعرة حسنة!

يرفع الطفل وجهه مندهشاً،

وبحركة لا إرادية؛

يدفع يدها عن رأسه!

وهج..

يجلس على شُرفة الذكريات..

تسيل بعضُ العبرات..

تُناديه من الداخل، لتناول طعام الغداء.

فيذهب ليغسل وجهه؛

ليعيده إلى وهج الحاضر!

معهم

يُرخي جسده على سرير وثير..

لحظةَ يغشاه النُعاس، تَنْسَلُّ الروح..

إلى هناك..

لتنامَ (معهم) على الحصير..!

اغتراب

يشدّه الشوق،

تغمره أجواء الحضور، تسبقه كل أحاسيسه..

يهيئ مركباً.. يُزيّنه..

ثم ينام!

نداء

تتجاهل نداءات أمها بالاستعجال..

تتشاغل بنثر الحبّ على سطح البيت،

لا يهمها تدافع الحمام..

تصيخ السمع..

لنداء من الأعماق..!

---

* قاص وكاتب - أردني- مقيم بالسعودية.

حوار داخلي مع أبي العلاء

▪ خليف الغالب*

في النصّ : حين يصير النفي إثباتا
خلقتَ من عطش الأموات : أمواتا
وكنتُ مثلك يا أعمايَ متّحدًا بالأرض
أحمل ذاتًا .. تقتل الذاتَ
أعمايَ .. هل كنتَ إلا صورةً نبتتْ
خلف الزمان ..
ووعيًا هائمًا .. باتَ
ورحلةً من شفيف البعد عانيةً
وسجدةً زادها النسيان إخباتا
ودمعة الحيّ ..
حينَ الحيُّ معركةٌ في اللا وجود
وحلمٌ سار أشتاتا
أبا العلاء استثرْ عيني التي عميَتْ
حتى غدت تبصر الأشياء : أصواتا
أتيتُ تسبقني ريحٌ ومهلكةٌ
لا أبتغي في الصدى المسعور منجاةَ
فات الصوابُ ..
وضلَّ الحق، وانسحبتْ نفسي من الناس
لمّا حظّها فاتَ
بحثتُ عن جهتي في كل ذي وتدِ
وجزتُ ما جزتُ ميقاتًا فميقاتا
لزمتُ مُعجزكَ الماضي إلى لغةٍ
تفكّك النصّ إنجيلًا وتوراةَ
ها حزننا واحدٌ
والروح واحدةٌ
مَن الذي منع التفكير؟ من آتى ؟
أموتُ قبل مماتي فيكَ منسربًا
من مات في قلبك الحافي فما ماتَ

---

* شاعر سعودي.

قبس من لحظ زرقاء اليمامة

▪ أحمد يحيى القيسي*

"أرى الآن ما لا تراهُ العيونُ
أرى ظمأ يرتدي هيئة الارتواءِ
ويمضي معي في الورى.."

وجيشاً من الإفكِ
يمشي ورائي
ويهمسُ للأصدقاءِ:
"لقد حاد هذا الفتى عن هواكمْ
ولم يمتثل لظنون رُؤاكمْ؛
فشبَّ عن الطوقِ
لا ابتاعَ منكمْ
ولا من حريرِ المعاني اشترى"..
أرى الآن خيلاً تجوب فيافي شقائي
تفتش ما بين كثبانها
عن رحيق ابتهالي الذي ضل مسراهُ
حتى تعرى النهارُ،
وما زال في تيهه سادرا..
أرى العثرات التي تتربص بي في الطريقِ
لتثأر للضوء مني،
وتسقطني
نجمة
نجمة
من عروش الذُّرى..
أرى موئلاً من هشيمِ الحكاياتِ
يتبعني
ليلطخ بالعار أرديتي
ويذيب الذي بين زهوي وبينيَ
مِن راسخاتِ العُرَى..
أرى سدة من عجين الوشايةِ
تعدو أمامي
تسابقني نحو عنْق الزجاجةِ؛
كي أستكينَ مدى القهر رهن الكرى..
أرى قمرا تائهاً في الظلامِ
يراقبُ - مثلي - النجومَ
ويسألُ أنواءَ ليلتهِ:
أين غابت مدارات تلك السُّرى؟
أرى أبشع الذكرياتِ
على جنبات الطريقِ
تثرثرُ للعابرينَ
وتبدي لهم من تفاصيل سَوْءَاتها
ما توارى..
أرى الآن نافذةً من غدي
تطلُّ على وجعٍ سرمديٍّ
يلاحقني في المدى
خنجراً خنجرا..
أرى الآن ما لا تراه العيونُ
تمنيتُ لو أنني كنتُ أعمى
أطارحُ وحشَ السوادِ الرهيبِ،
وأجتاحُ آفاقَ ظلمائهِ تائهاً
لا أرى..!

---

* شاعر سعودي.

شَهْقَةُ مَاء في انبهارِي ! وقد نسيتُ مُحَالِي

▪ أميرة محمد صبياني*

وحُبوري يُطيلُ سطرَ السُّؤالِ

أقطُفُ البرقَ دهشةً وأُجَلِّي
وجهَ بدرٍ يَزيدُ حُسنَ الهلالِ

كُلَّما سافرَ الضياءُ بِلَيلِي
ألهمَ الشمسَ بهجتي واحتفالي

وسرى الحُبُّ في سرائرِ خُضرِي
وَهَمى الغيمُ فوقَ عَزفِ التِّلالِ

نَضَّدَ البِشرُ لهفتي وَتَثَنَّى
فوقَ خدِّ النجومِ رَقْصُ الظِّلالِ

والسَّماءاتُ ضوؤها بَعْثُ روحي
والمداراتُ كُلُّها في اكتمالي

نَدِمَ البحرُ حينَ فارقَ بحرِي
ثمَّ أجرى بِشاطِئَيهِ خَيالِي

صَبرُ هذا الوجودِ أَسْمَعَ صمتي
شهقةَ الماءِ في ضُلوعِ الرِّمالِ

كُلُّ ذاكَ الوجومِ عَبْرةُ غِرٍ
تنقشُ الخوفَ في اعتلالِ الزَّوالِ

---

* شاعرة سعودية.

سمكة نهر تحلم بالمحيط

▪ زكي الصدير*

مثلَ سمكةِ نهرٍ تحلمُ بالمحيط..
كنتِ هناك،
أيقونة في سماء متحف هيوستن.
الغريب أنكِ استطعتِ الخروجَ إلى الشارع دونَ أنْ توقظي الحرّاس!

أخذتِ الثورةَ من جبينِ الجدران
عقدتِ حاجباً على حاجبٍ فريدا كاهلو
هيأتِ لها وقتاً للحياةِ في شقتِك،
وقتاً لمزاج القهوةِ مع الجنود،
وقتاً لوجبةِ هوت دوق مع الفقراء،
وقتاً لدفنِ موتاها في رصيف طويل،
وقتاً لسمكتِك التي تحلمُ بالمحيط،
لم يفطنْ أحدٌ إلى النهرِ في حقيبتِك.

تبدين مثل امرأة لا تعود مطلقاً إلى البيت!
مثل وجه مدعو على الدوام إلى حفلات الرقص،
تحسبين أنك وحيدة،
أنك تلك المرأة المجنّدة التي كانت تلتقط من أرضها الصور،
ومن فم جدتها الحكايات..
لا تدري أن خلف ظهرك مخزون هائل من الأيام،
وأن طيشك الكبير ما هو إلا انهيار الوردة،
وأنك تسقطين الآن بعد أن خذلتك رجلاك،
ثم بعد قيامتك ترددين:
أعمى أيها الكون..
تنهار كلما اصطدمت بفنوننا!

في الحربِ القادمة،
كنتِ قلماً مصنوعاً من شجرةٍ يتوسّدها جندي..
قلماً ينتظرُ الأخبار ليكتبَ التاريخ.
أتذكرُ أنك رسمتُ على جدارٍ في المدينةِ وجهاً دمرتْهُ قذيفةٌ ارتطمتْ بهِ بالصدفة.
هو الآنَ يشعرُ بالوحدة،
لا يرى المدينةَ،
لكنه متيقنٌ بالحرب.
ستحتاجين زمناً طويلاً حتى تعودي من جديدٍ إلى شجرة..
ستحتاجين زمناً أطولَ لتصيري قلماً..
ستحتاجين الجندي ليدلّك على وجهك الذي دمرتْهُ الحرب!

---

* شاعر سعودي.

في كل الأشياء رأيتك

▪ عزت الطيرى*

ورأيتك فى فنجان القهوةِ
فى كوب الشاى الأثقل من همِّ امرأة
فقدت زوجاً
بسامَ الوجهِ..
وفى صفحات الماء الراكض بين
جنادلهِ..
فى المرآة..
وفى الكومودينو
فى منديل يكتظ بدمع ..
فى ثوب فتاةٍ
زركشهُ الشوقُ إلى طيف فتى تتمنى
لو مر،
رآها ترفلُ،
أثنى همسا وتغزَّل بالفستان المزدان
وما فيه وما فى داخله من ألعابٍ،
وحكايات تحكيها فى الفصل،
معلمةُ الصف الأول من عمر الورد..
....
وفى زهر الجاكرندا حين اصطفت
أشجارٌ عند طريق الجامعة وتزهو
بالألوان التي ما خطرت فى الحلم
على قلب
الرسام العاشق
حين يتابع شرفة من يهوى ومتى
تدنو ومتى تسحب أستارَ ستائرها
ورتاجا هزتهُ بدون مكابدةٍ
أنسامٌ عفويات لا قصد لها
...
فى ضوء الصبح الطالع من ثوب
الفجر نقيا ونديا
يغمرهُ كالنهر حنين بنفسجةٍ
ذابت فى عطر قرنفلها الذائب فى
طيفِ قرنفلةٍ أخرى
لا تشعر بجواه
ونهنهةِ هواهُ
وأنداء عذاب يسكنهُ..
فى الكراسة حين توضأتُ نويتُ كتابة
نصٍ صوفيٌّ الدهشةِ مكتظٍ
بمجاز وكناياتٍ
وبموسيقا وتفاعيلَ انتثرت
مرت كالحلم على بال خليل ابن
الأحمدِ فى الليل وما ..
كقصيدى هذا..
وأراكِ.. أراكِ
ولكنى
سلمتُ سلاحى
وعَجِزتُ عن التكملة، الدندنةِ الترنيم
كمطربةٍ
فاجأها فى الحفل سعالٌ متصلٌ
من أثر الجائحة العظمى
وهطول الكورونا
وصليل غيابك

---

* شاعر - مصر.

المترجم خلف القرشي:

الإبداع الأدبي شأن كثيرٍ من العطاءات الإنسانيّة موهبةٌ.. لكنَّه يُصقل بالتعليم والتدريب والتجريب

«أعشق القصّة القصيرة، أجدها الأقرب لذائقتي؛ تأليفًا وترجمةً، قراءةً ونقدًا وتدريبًا. القصّة القصيرة أصيلةً كانت أو مترجمةً لونٌ مدهشٌ من ألوان الأدب، وجنسٌ فريدٌ من أجناس الإبداع؛ يقدم جرعةً عاطفيةً وذهنيةً قويّةً لقارئه..»

هذا ما قاله القاص والمترجم خلف سرحان القرشي رداً على سؤالي له، لماذا اقتصرت أغلب أعماله الترجمية على جنس القصة القصيرة؟

وإضافة إلى إصداراته تأليفاً وترجمة، فهو يمد الساحة الثقافية بنشر ترجماته في الصحف والمجلات المحلية والعربية. ومن ترجماته قصص ومقالات لكتّاب عالميين، أذكر منها ترجمته للكاتبة الأمريكية «كيت تشوبان»، وللكاتب الإنجليزي «بيتس»، وأيضا من الأدب الإيطالي والأدب الروسي، وهو يَعد الساحة الإبداعية بعدد من الإصدارات المؤجلة، قريباً..

هذه الديباجة تقودنا إلى فضاء ضيف هذا الحوار، الأديب خلف سرحان القرشي..

■ **حاوره: عمر بوقاسم**

ليس هناك قالب حصريٌّ..!

- **تتنوع مسيرتك الكتابية بين عدة فضاءات.. الترجمة والقصة والرواية والصحافة. ومن إصداراتك أستحضر منها «الطريق التعب» ، و«وقال نسوة» كلاهما ترجمة، ومقالات وقصص في الصحف والمجلات. ومن مؤلفاتك «خراج سحب عابرة» مجموعة قصص قصيرة جدا، ومؤخراً رواية «شهريار». هل لنا ببوح خاص يقربنا من عالمك، عالم الكلمة الذي يتوحد في مسيرتك برغم تعدد فضاءاته؟**

■ الكلمة هي الكلمة، والإبداع هو الإبداع، أيًّا كان الشكل والهيكل الذي يقدمان به. وفي نتاجي المتواضع؛ ترجمةً وتأليفًا، نقدًا وكتابةً صحفيّة حرصت وما أزال على تقديم ما أحسبه هاجسًا يلح عليِّ، يستغرقني فكرًا، يستحوذ عليَّ مشاعر. وأرى في مشاركتي قرائي ارتياحًا وطمأنينةً، فالإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ تواصليٌّ يجد ذاته في تواصله فكرًا ومشاعر ورؤى وهمومًا مع عالمه. الإنسان عمومًا، والمبدع خصوصًا بمجرد أن يبوح للآخرين ببعض ما يختلج بمشاعره، وما يؤرق ذهنه من أسئلة وخواطر، ينال راحةً ويحظى بمتعةٍ.

وليس هناك قالب حصريٌّ، ولهذا، أجد نفسي حينًا في الترجمة، وحينًا في السرد روايةً وقصّةً قصيرةً، وقصيرةً جدًّا، وهناك حالات، فيها أجد ضالتي في المقالة والخاطرة، أو في الاشتغال الصحفي المخدوم. والعبرة بالنهاية بذلك الانطباع وتلك الأسئلة التي أثارها إبداعي المتواضع في نفوس قرائي قبولًا كان أم رفضًا، إعجابًا أم مقتًا.

أؤمن تمامًا بأنَّ القارئ متممٌ للعمل المطبوع، مكملٌ له، وكثيرًا ما تكون نقطة النهاية التي يضعها الكاتب بعد آخر كلمةٍ في مقاله/ قصته/ روايته/ قصيدته/ تقريره/ ..إلخ. ليست إلا بداية لنصٍّ له القدر نفسه من الأهمية، إن لم يكن أكثر، ينتجه القارئ.

الترجمة الأدبيّة هي نصٌ إبداعيٌّ..!

- **ترجمة الكتب الأدبية تختلف عن الكتب الأخرى؛ فهي تحتاج إلى مترجم إبداعي، لديه الأدوات الروحية التي تساعده على نقل الصور الخيالية، والكثير من التفاصيل للقارئ، ما رأيك؟**

تكريمه بالنادي الأدبي الثقافي بالطائف

■ أتفق معك تمامًا في هذا. الترجمة الأدبيّة هي نصٌ إبداعيٌّ باقتدارٍ. قد تكون نصًّا موازيًا أو مماثلًا أو متقاطعًا مع النص الأصلي أو مؤولًا له، ليس مهمًا، لكنّها نصٌّ آخر، ينبغي أن يحمل روحًا، ويتضمن إبداعًا على مستوى اختيار المفردات والصور، وصياغة أفكار المؤلف الأساس بأسلوبٍ يحترم اللغتين؛ المصدر والهدف، ويلتزم بالأمانة. ومن هنا، فهي تحدٍّ شاق يتجاوزه فقط أولي العزم من المترجمين المتسلحين بالمعرفة، المفعمين بالدراية والخبرة بالثقافتين واللغتين؛ المترجم منها النص والمترجم إليها، وقبل هذا وذاك.. المؤمنين بفعل الكلمة وخطورتها، والذين يعون مسؤولياتهم تجاه الإبداع الإنساني، ومسألة خلوده.

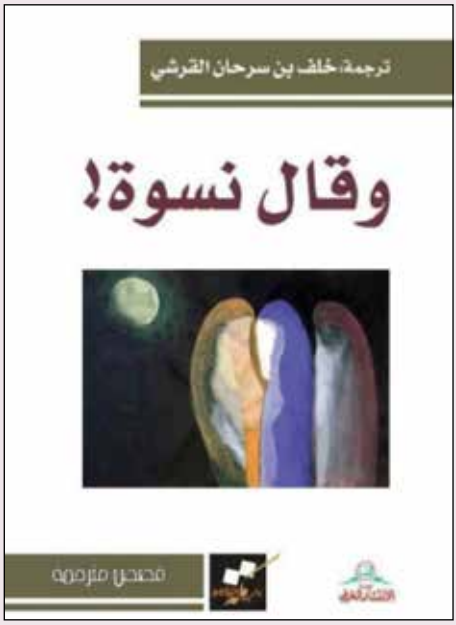

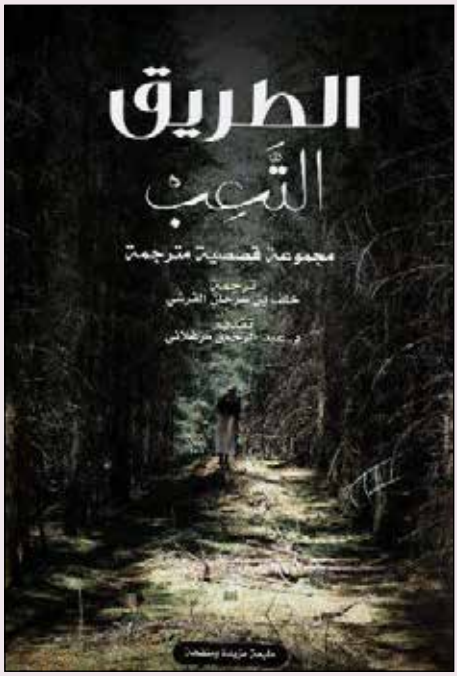

جنسٌ فريدٌ من أجناس الإبداع..!

● **لماذا اقتصرت أغلب أعمالك الترجمية على القصة القصيرة؟**

■ أنا أعشق القصّة القصيرة، أجدها الأقرب لذائقتي تأليفًا وترجمةً، قراءةً ونقدًا وتدريبًا. القصّة القصيرة أصيلةً كانت أم مترجمةً لونٌ مدهشٌ من ألوان الأدب، وجنسٌ فريدٌ من أجناس الإبداع؛ يقدم جرعةً عاطفيةً وذهنيةً قويّةً لقارئه في بضع صفحاتٍ يسهل عليه قراءتها، دون أن يضطر لصرف كثيرٍ من وقته، لا سيما في زمنٍ كثرت فيه المشاغل وتعددت الالتزامات، وتنوعت المشتتات والملهيات. ومع ذلك، فقد سبق لي ترجمة بضع قصائد، وعددٍ من المقالات الأدبيّة

والصحفيّة؛ وإن أمدَّ الله في العمر، ويسر الأمر، فلعليّ أقارب ترجمة الرواية.

الضابط أن يكون في العمل قيمةً فنيّةً..!

- **كيف يتم اختيارك لترجمة عمل «ما» دون سواه، هل تعتمد على الاختيار الشخصي أم أن هناك شروطاً يجب أن تتوافر في العمل الذي تختاره؟**

■ إجابةً عن هذا السؤال، اسمح لي باقتباس مقطع من مقدمة كتابي المترجم (الطريق التَّعب):

«هذا الكتاب يضم تراجم عن الإنجليزية لمجموعة قصص لكتَّابٍ من بلدانٍ مختلفة، وجدت في كلِّ قصةٍ منها أكثر من قيمةٍ فنيَّةٍ، وأكثر من بعدٍ ورؤيةٍ إنسانيَّةٍ عميقةٍ؛ ما ولَّد عندي رغبةً ملحَّةً في ترجمتها؛ ليجد فيها قارئ العربية مثل ما وجدت عند قراءاتي لها في نصِّها الإنجليزي، وكل ما أرجوه أن تكون الترجمة أمينةً في نقل كلِّ أو بعض ما حوته كلُّ قصَّةٍ من إبداعٍ ورؤى جميلةٍ، تستحق القراءة والتأمل».

الاختيار شخصيٌّ باقتدارٍ، والضابط أن يكون في العمل قيمةً فنيّةً، ورؤيةً إنسانيةً، وعمقًا معتبرًا، ودلالةً ممتدةً. وأحرص ألا أترجم عملًا قد ترجم من قبل إلا في حالاتٍ نادرةٍ، ومنها أن يكون العمل ترجم ترجمةً رديئةً، أو أن الترجمة لم تعد متوافرة في الأسواق.

لتنتج لنا نصًا مترجمًا..!

- **نحن نعيش عصر الثورة الرقمية، والتي أثرت على جوانب حياتنا سلباً وإيجابا، برأيك ما الأثر الذي تركته على الترجمة؟**

تأثير التكنولوجيا في حياتنا يتزايد يومًا تلو آخر، والترجمة لم تكن ولن تكون بمعزلٍ عن تأثيرات التكنولوجيا. التكنولوجيا خدمت الترجمة في جوانبٍ، وأساءت لها في جوانب أخرى. إنَّ تقنيات الذكاء الاصطناعي المتقدمة الآن، ستفتح آفاقًا جديدة في ميدان الترجمة. ثمَّة اجتهاداتٌ خطيرةٌ ومنها الاشتغال على دراسة أسلوب، بل أساليب عدة مترجمين، وتوظيف هذه الأساليب بمساعدة التقنية لتنتج لنا نصًا مترجمًا.

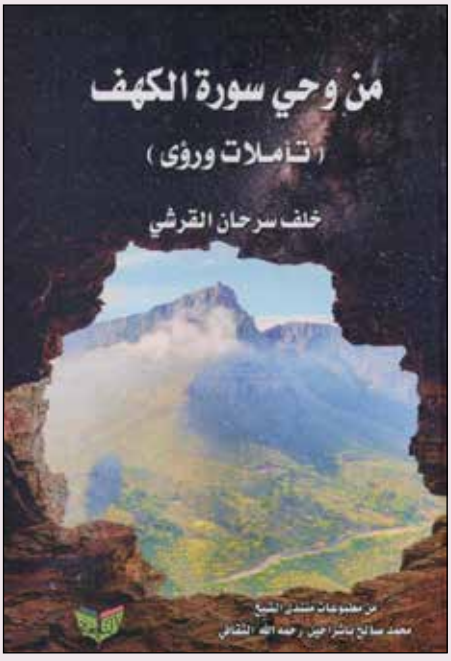

الترجمة عملٌ إنسانيٌّ باقتدار، والحواسيب والنت عوامل مساعدة في هذا المجال ليس أكثر، ولكن إلى حين.. سيبقى هذا هو الحال. إن من يتابع ما يحدث في تقنيات الذكاء الاصطناعي والتي ستظهر للعلن وللاستخدام مع ظهور النت القادم الويب 3 Web، وظهور (الميتافيرس)، والـ (بلوك تشين)، وأخيرًا وليس آخرًا برنامج / موقع الـ (جي. بي. شات) GP Chat، سيجزم أن وظيفة المترجم البشري مهددةٌ بالفناء وفي أحسن الحالات بالكساد، وإن غدًا لناظره قريبٌ. وستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله.

التناص يمنح النصَّ طاقةً قويّة..!

- **«شهريار» روايتك الجديدة يحيلنا عنوانها لعمل أدبي تراثي عظيم «ألف ليلة وليلة»، هناك الكثير من الروائيين والشعراء قاموا باستلهام التراث في أعمالهم، برأيك.. ما المبرر الذي يدفع المؤلف لتوظيف عمل تراثي في عمله ليتداخل مع قضايا عصره؟**

■ تناص عمل المبدع مع عملٍ آخر تراثيًّا كان أم حداثيًّا أمرٌ مثرٍ للعمل كثيرًا، شريطة أن يوظف بحرفيّةٍ. التناص يمنح النصَّ طاقةً قويّة من العمل السابق. وعندما توظف نصًّا يحمل دلالةً أو إشارةً أو عمقًا من أيِّ نوعٍ كان، فإنَّك قد منحت عملك خلودًا يستحق أن يشار له بالبنان. ومن أجمل ما يمكننا توظيفه والاقتباس منه، هو تراثنا الجميل المميز بالقصص والأساطير والحكايات المختلفة، وتراث الإنسانية عمومًا، وأسطورة شهرزاد وشهريار أنموذجٌ مثاليٌّ باقتدارٍ.

- **أين الشعر من اهتمامات خلف القرشي؟**

■ علاقتي مع الشعر علاقة (والشعراء يتبعهم الغاوون)! وعلاقة (أحبُّ الصالحين ولست منهم)!

أعشق الشعر حتى الثمالة. أحفظ كثيرًا منه. أقرأه وأستمع إليه، أحضر منتدياته وأقتني ما تيسر لي من دواوينه. حاولت مقاربته بقصيدة أو اثنتين. بعدها: «لملمت جروحي وانسحبت»، بعد أن أيقنت أن «مالي نصيب في اللي أحب». ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه.

يستهويني (نقد الشعر) كثيرًا، وتعجبني كثيرٌ من القراءات الخلاقة لقصائد استثنائية.

تجرأت كتبت ونشرت قراءات تأويلية متواضعة لبعض القصائد التي أسرتني وما تزال. ومنها قصائد للشعراء: بدر بن عبدالمحسن، خالد الفيصل، خالد بن يزيد، الحميدي الثقفي، ردَّة السفياني، محمد خالد النفيعي، إبراهيم السمحان، وغيرهم، وفي جعبتي قراءات لم تكتمل، وقدِّر لي مقارفة إثم الترجمة لبعض القصائد الشعريّة، كما قدمت ورش عمل تدريبيه في كتابة النصِّ الشعري.

تلكم هي علاقتي بالشعر الذي أرى إنّه من أرقِّ الألوان الأدبية، وأرقاها وأهمها، وبالفعل يحق للشاعر ما لا يحق لسواه، والفيصل الضابط هو القبض على تلك اللحظة الشعريّة الهاربة، والعضِّ عليها بالنواجذ، والتعبير عنها شعرًا بلغّة خالدة وصورٍ مبتكرة وأسلوبٍ فريدٍ.. يجعل كلَّ مَن يقرأه، يجزم بأنَّ جن وادي عبقر المزعومين هم من ألهم الشاعر ذلك.

الشعر يا صديقي أفقُ عالٍ من الإبداع الإنساني، لا ينبغي استسهال خوض غمار بحوره التي قلَّما تجود على من يغوصون فيها بدررها النفيسة ولآلئيها الثمينة. إنَّها لا تقول (هيت لك) إلَّا لمن أوتي حظًا عظيما، وما يلقاها إلا أرقته موهبته الشعريّة، وكواه همُّه، واستحوذ عليه اشتغاله في سبيلها فكرًا وقراءة، سفرًا وترحالًا، سهرًا وسهدًا، معاناةً ووجعًا، تحملًا وانتظارًا للحظة ولادة القصيدة بعد زمنٍ مضنٍّ من المخاض العسير.

الشعر فخر الإنسانية ومجدها منذ أن فطر الله الخلق، وإلى أن تقوم الساعة، وويلٌ لأمَّة لا تكرم شعراءها، وتعسًا لقبيلة لا تقيم الأفراح والليالي الملاح ابتهاجًا بميلاد شاعر، ولا تزوج أجمل بناتها لشاعر نبغ من بين شبَّانها. والعار كلُّ العار لمن يطرد الشعراء من جمهوريته!

الشعر رسالة وعيٍّ، وحَمَامُ سلامٍ، ورُسُلُ جمالٍ. ولهذا السبب وغيره منعني احترامي للشعر من ولوج عالمه المدهش، وحفزني لخدمته ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

- **منذ سنوات أنت تقدم ورش عمل في (الكتابة الإبداعية)، كيف ترى هذه التجربة، وهل الكاتب يولد أم يُصنع؟**

■ تجربتي المتواضعة منذ أيَّامٍ (كورونا)، في تقديم ورش الكتابة الإبداعيَّة المختلفة، أعدُّها ناجحة ولله الحمد، وليس أدّل على ذلك من أن بعضًا من تلك الورش يطلب مني تقديمها ثانيةً وثالثةً ورابعةً ممن سمعوا عنها، وبعض من حضروا يؤثر أن يعيد التجربة رغبةً منه في ترسيخ المحتوى، وفي ظني أنَّ ذلك ما كان ليتم لولا توفيق الله، ثم قناعة الملتحقين بالورش من جدواها ونفعها.

الإبداع الأدبي شأنه شأن كثيرٍ من العطاءات الإنسانيّة موهبةٌ باقتدارٍ وفي المقام الأول، ولكنَّه يصقل ويعزز ويدَّعم بالتعليم والتدريب والتجريب.

وليس أدَّل على ذلك من النصيحة التقليدية الخالدة لكلِّ مَن يريد أن يؤلف ويكتب وهي أن يقرأ ويقرأ ويقرأ. أعتقد ولا أجزم أنَّ قراءة عملٍ واحدٍ قراءةً تحليلية تفصيليّةٍ، ومناقشة تفاصيله، ونقاط القوّة والضعف فيه، والحديث حوله ضمن ورشة عمل تدريبيةٍ بين المدرب والمتدربين، أجدى وأنفع وأكثر فائدةً للكاتب المبتدئ من قراءة عشرة أعمال قراءةً عابرةً، وفي كلٍّ خيرٍ.

كثيرٌ من مشاهير الأدب في العالم، تلقى دروسًا ودورات في الكتابة الإبداعيَّة، وبعضهم قدّم وما يزال يقدم تلك الورش. وهناك معاهد ومؤسسات ودور نشر تولي هذا الجانب عنايةً واهتمامًا ودعمًا. وأتمنى من وزارة الثقافة لدينا إيلاء هذا الجانب حقّة دعمًا للإبداع والمبدعين.

الكاتب يولد ابتداءً (الموهبة)، ويصنع بعد ذلك (المهارة) مثله مثل لاعب كرة القدم الموهوب بالفطرة، الذي قلَّما تنفعه موهبته تلك، ما لم تصقل من خلال نادٍ ومدربٍ واشتغالٍ احترافيٍّ يتضمن برنامجًا يلتزم به طيلة حياة ذلك اللاعب في الأكل والشرب والنوم، وفي التدرب اليومي، ونحو ذلك.

- **وماذا عن جديدك في التأليف والترجمة؟**

■ لديَّ مثل ما لدى كثيرٌ غيري من المبدعين الهواة مشاريع غير مكتملةٍ حالت دون اكتمالها ظروفٌ شتى من بينها ما يعرف بـ(قفلة/ سدّة الكاتب)، ومزاجية المبدع، وتعدد المشاغل والمسؤوليات، وعدم ترتيب الأولويات.

وعليه فلديّ حالياً بضعة أعمالٍ يتوسل إليَّ كلٌّ منها أن أتمّه، ومنها:

كتاب (أمِّي ترضع عقربًا.. ذكريات طفل من زمن الطيبين) (سيرة ذاتيّة). كتاب (شتان)، مجموعة قصصٍ قصيرةٍ وقصيرةٍ جدًا، وكتاب بالمشاركة في (الكتابة الإبداعيّة، وكتاب (القماط). مجموعةٌ قصصيَّة مترجمة عن الإنجليزية، وكتاب (قراءات تأويليّة في قصائد ولوحات).

«الترجمة تفتح آفاقًا جديدة طوال الوقت أمام الكاتب»

حوار مع الكاتب والمترجم

الدكتور أحمد سمير سعد

الترجمة هواية تحولت إلى غواية، لم أكن أتخيل أن تتمكن مني الغواية إلى هذه الدرجة! في البداية أعجبتني اللعبة، أن أعيش في النص وأعيد خلقه وتشكيله في لغة جديدة، ثم تطور الأمر إلى ما يشبه الجنون، أبحث طوال الوقت عن عناوين مميزة، أحبها وأريدها أن تمر عبري من لغة وثقافة إلى لغة وثقافة أخرى، هكذا صرت مجنونًا بهذه العملية، التي تتيح لي إعادة خلق وتشكيل ونقل ما شُغفت به، إعجابًا.

من هذا المنظور يتناول المترجم والكاتب أحمد سمير، ألعابه الأدبية التي تستحوذ على ملكة القراء. الكاتب أحمد سمير سعد، طبيب بشري وكاتب مصري، حصل على دكتوراه والدبلومة الأوروبية في التخدير والرعاية المركزة، وهو الآن يعمل مدرساً بقسم التخدير بمستشفى قصر العيني.

صدر له عن الهيئة المصرية العامة ممالك ملونة.. مجموعة قصصية للأطفال، عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، رواية عينٌ على السماء للناشئة، رواية رسول الفضاء للناشئة، رواية خادم المصباح السحري للناشئة، ورواية سِفر الأراجوز، تسبيحة دستورية نص أدبي، الضئيل صاحب غيّة الحمام مجموعة قصصية، رواية شواش، طرح الخيال.. مجموعة قصصية، لعب مع الكون.. كتاب

في العلوم وفلسفتها، رواية المزين، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة. الله.. الوطن.. الهُوَ.. مجموعة قصصية، كما ترجم بعض الأعمال مثل:

كتاب مترجم لإرفين شرودنجر، جائزة نوبل.. تاريخ المجد والجدل، طبيعة العالم الفيزيائي.. كتاب مترجم لسير آرثر ستانلي إدنجتون، أليس في بلاد الكم.. كتاب مترجم لروبرت جيلمور، فلسفة العلم الفيزيائي.. كتاب مترجم لسير آرثر ستانلي إدنجتون، العقل والمادة كتاب مترجم لإرفين شرودنجر، مقدمة إلى فلسفة الرياضيات.. كتاب مترجم لبرتراند راسل، الفلسفة الخالدة.. كتاب مترجم لألدوس هكسلي.. العلم والعالَم غير المرئي.. كتاب مترجم لإدنجتون، التاريخ الكيميائي لشمعة.. كتاب مترجم لمايكل فاراداي. فكان لنا محطات مع هذا الإنجاز..

■ **حاوره: محمود أحمد حسانين**

- **الترجمة هواية أم غواية، وماذا ترى في مسار الترجمة قبل رحيل صالح علماني وبعد رحيله؟**

■ بالنسبة لي الترجمة هواية تحولت إلى غواية، وحقيقة لم أكن أتخيل أن تتمكن مني الغواية إلى هذه الدرجة، في البداية أعجبتني اللعبة، أن أعيش في النص وأعيد خلقه وتشكيله في لغة جديدة، ثم تطور الأمر إلى ما يشبه الجنون؛ أبحث طوال الوقت عن عناوين مميزة أحبها وأريدها أن تمر عبري من لغة وثقافة إلى لغة وثقافة أخرى، هكذا صرت مجنونًا بهذه العملية التي تتيح لي إعادة خلق وتشكيل ونقل ما تهت به إعجابًا.

أما صالح علماني فهو بلا شك أحد أهم المترجمين، وله بصمة لا يمكن أن تجحد، وربما كان وراء نقل ثقافة كاملة بلغة عربية جزلة، تعرفت على الواقعية السحرية، أول ما تعرفت عليها منه، وعرفت «ساراماجو» أول ما عرفته عن طريقه، هو نبراس على الطريق بالتأكيد، ترك الكثير من الأعمال الرائعة وألهم جهوداً لن تنقطع، أضاف حجراً في صرح الترجمة.. لكن أساسات الصرح تمتد حتى الخلافة العباسية، وحركة كبرى للترجمة حينها، وما يزال البناء يعلو من بعده ويعلو.

- **هل ترى في قراءات الترجمات معين يضيف إلى الكاتب أم لا؟**

■ أظن أن الترجمة تفتح آفاقًا جديدة طوال الوقت أمام الكاتب، وبالتالي فهي بالتأكيد معين يضيف إلى الكاتب، تلهمه أفكارًا جديدة ومقاربات مختلفة، بل ربما تلهمه كذلك صورًا وتعابير جديدة، إن التلاقح الفكري الذي تتسبب فيه الترجمة لا يقتصر على الموضوع، بل قد

يشمل الأسلوب والمعنى كذلك حتى لو حدث ذلك من دون شعور.

إلا إنه يجب أن ألفت النظر إلى أنه ثمة فارق بين التأثر بتعبير جديد أو أسلوب مختلف أو صورة غير مألوفة، وبين نقل الشكل النحوي للجملة الأجنبية؛ وللأسف كثيرون يقعون في هذا الخطأ، وأضبط نفسي متلبساً به أحيانا، لكنني أحاول طوال الوقت التخلص من ذلك قدر المستطاع.

- **هل هناك جهد متصنع وأخر حيّ، يترتب على الكاتب مزاولته، قبل الكتابة وأثناءها؟**

■ بالنسبة لي.. الفكرة هي القادرة على تحريكي، وبث الرغبة والطاقة فيّ، تعتمل الفكرة في رأسي وتختمر لبعض الوقت في جهد قد يبدو سلبيًا، لكنه مهم جدًا، حتى تصير كتابتها هماً شاغلاً، حينها لا أطلب ظروفاً معينة أو أجواء معينة، بل أخلق الظروف والأجواء وأختلقها.

مؤخرًا.. ومع اهتمامي بالترجمة وتبسيط العلوم، لا يقتصر الأمر في كثير من الأحيان على الفكرة واختمارها وكتابتها، بل قد يحتاج الأمر إلى بذل الجهد في البحث والتدقيق، وهو مجهود نظامي وشاق، لكنه ممتع؛ لأنه مجهود مُعَلِّم.

- **صدر لك مؤخراً مجموعة قصصية، هل ترى في القصة أفضلية عن الرواية، وماذا مثلت لكَ الكتابة، وماذا أضافت؟**

■ لا أظن أن الرواية تفضل القصة أو أن القصة تفضل الرواية، بالنسبة لي تستدعي الفكرة قالبها، والمهم أن يُكتَب العمل على نحو مميز، وأن أرضى عنه ويروق للقراء.

أما الكتابة بالنسبة لي فهي فعل حياة، طوال الوقت أمارس القراءة والكتابة، هما بالنسبة لي مثل عملياتي الحيوية، مثل تناول الطعام والتنفس، هما متداخلان حاليًا مع كل لحظات عمري.. ومع كل تفاصيل حياتي.

أما ما أضافته الكتابة فكثير للغاية على المستويات كافة، إلا إن أبرز ما أضافته لي القدرة على بلورة الأفكار، إذ إن الكتابة لا تستلزم التفكير فقط، بل يجب أن تأتي الفكرة كذلك صافية وواضحة. وأظن أن أبرز ما أضافته لي الكتابة، هو السعي من أجل أفكار متبلورة وواضحة ومحاولة الخلوص لها، من بين شواش التفكير أو تداخل الرؤى، أو وهم الفهم أو فوضى الرؤية..

- **ممالك ملونة، أليس في بلاد الكم، عينٌ على السماء، رسول الفضاء، خادم المصباح السحري، كتابات للناشئة، هل تلك الكتابات تمثل حالة ما لديك؟**

■ بدأ الاهتمام لديّ بالكتابة للأطفال ثم للناشئة مع ظهور ميار ابنتي في حياتي ثم ابني يحيى، ممالك ملونة في الأساس هي مجموعة قصصية كتبت أغلب قصصها من أجل ميار ثم من أجل يحيى، بل إن كثيراً من أبطال القصص يحملون اسم ميار أو يحيى، ولا زلت أذكر

استقبال ميار لأولى قصص المجموعة حين قررت أن ترسم أحداث القصة، تطور معي الأمر بعد ذلك خاصة عندما اتجهت إلى محاولات تبسيط العلوم، فهذا السن يحتاج إلى الكثير من التركيز والاهتمام خاصة من حيث تعريفهم على العلم وعلى قدراته وإطلاعهم على الجديد بشكل مبسط؛ فجاءت ترجمتي لكتاب مثل (أليس في بلاد الكم) والذي يجعل أليس بلاد العجائب الشهيرة تزور بلاد ميكانيكا الكم، ومن خلال مغامراتها نتعرض لأسس نظرية الكم، أما (عين على السماء) و(رسول الفضاء) و(خادم المصباح السحري) فُكتبٌ من تأليفي للناشئة تهتم بالأمر نفسه، فالكتاب الأول قصة فتى يصطحبه والده إلى مرصد القطامية الفلكي، ويتعرف على أهم مفاهيم علم الفلك، والكتاب الثاني رواية خيال علمي عن السفر في الفضاء، تتبنى ما يعرف بالخيال العلمي الصعب، وبالتالي فحبكتها تقوم في أغلبها على الكثير من الحقائق العلمية، والكتاب الثالث فانتازيا علمية، إذ نخوض مغامرة مع خادم مصباح علاء الدين، القادر على كسر قانون فيزيائي واحد في كل مرة يستخدم قواه.

- **الكتابة للفتيان.. وهي مرحلة تحتاج تركيزاً من الكاتب، كما الكتابة للطفل تحتاج جهداً أيضًا، هل ذلك شكّل عقبة لك؟**

■ الكتابة للطفل وللنشء صعبة بالطبع؛ لأنها تتطلب الاقتراب منهم والكتابة من منظورهم من دون استخفاف بهم، ربما لذلك لم أكتب لهم إلا بعد دخول ابنتي وابني في حياتي، فبتفاصيلهم اليومية ييسر ذلك الاقتراب من تلك العوالم، إضافة إلى أن الأطفال والناشئة يحتاجون إلى لغة خاصة، سلسة وبسيطة، وفي الوقت نفسه صحيحة ومناسبة وهي مهمة شاقة كذلك.

- **كتاب لعب مع الكون، وهو كتاب في العلوم وفلسفتها، الإكسير، سحر البنج الذي نمزج، وغيرها، الطب والفلسفة.. قراءات أعتقد أنها أضافت لك؟**

■ كل المعارف الإنسانية تخدم بعضها البعض، قديمًا كانت كل العلوم والآداب

والأنشطة الذهنية تندرج تحت اسم الفلسفة، ثم حدثت عملية فصل جائر، وهو فصل قد يكون مفيدًا.. لكنه جاء جائرًا.

من العظيم أن نتخصص وأن نتقن فنون اختصاصاتنا، خاصة مع تعقد كل علم وفن، حتى صار التخصص الدقيق سمة العصر، إلا أن من يعيش في داخل تخصصه فقط ولا يرى سواه، هو كمن يعيش في نقطة، لا يعرف بوجود الأبعاد والآفاق، فهو غارق في ذاتيته.

شخصياً أشجع التخصص، مع الاحتفاظ بإدراك للصورة الأوسع، ومع تكوين رؤية كلية شاملة للعالم، لا مقصورة، خاصة أن التجربة أثبتت أن القادرين على التطوير، هم الذين يفعلون ذلك، لأنهم قادرون على نقل الأفكار بين التخصصات المختلفة، واستيعاب المفاهيم بصورة مغايرة وفتح كل الآفاق.

وبالتأكيد علمني الطب الكثير، لا على مستوى التفكير المنظم ومحاولات الاستدلال على الأسباب وتوقع النتائج، بل على مستوى التجربة كذلك، والانفتاح على البشر والعالم وحدوده وآلامه وأفراحه وأتراحه.

أما الفلسفة فلا غنى عنها لأي إنسان يتساءل عن معنى وجوده، وعن معنى العالم، وعن معنى ما يعرف أو أن يعرف، ولكل منا إجابته الفلسفية التي تؤثر

بالطبع في كل أنماط حياته وتفكيره.

- **مفهوم الكاتب الحالي، وارتباطه بمعايير البيست سيللر والجوائز، هل ستجرف الإبداع إلى شكل جديد يقبله البعض أو يرفضه؟**

■ الكتابة هي نقل للخبرة، وهي رسالة بين مرسل ومستقبل، لذلك فالمتلقي هو أحد أركان العملية الإبداعية الأساس، لا شك في ذلك.

كما أن الكاتب مهما ادعى أنه مخلص فقط لتجربته ولا تهمه المؤثرات المحيطة، يشغله التحقق والشعور بالتقدير، وبالتأكيد قد يرغب من حين لآخر في بعض الإطراء، وفي ظني أن الكاتب الناجح هو القادر على الموازنة بين هذه الأمور كلها، إلا أن البيست سيللر والجوائز لا تؤثر في الكُتاب فقط، بل قد توجه ذائقة القُراء كذلك، فعملية التأثير والتأثر متبادلة، وتغذي بعضها بعضًا سلباً وإيجابا. وهنا يأتي دور الموازنة الذي أتحدث عنه؛ فالإبداع عملية تجريب وتغيير، والمبدعون الحقيقيون قادرون على فتح الآفاق، والانتقال من فروض الواقع إلى آفاق أرقى، وتوجيه الذائقة كذلك؛ فالظرف المحيط مهما بدا معيقًا، يحمل كذلك بذور تطوير وانطلاق لمن أخلص العمل وثابر. لا وجود لخير مطلق أو شر مطلق، لكنه الإنسان المبدع القادر على استثمار اللحظة بكل أبعادها.

- **كيف ترى التحوّل الرقمي للنشر والقراءة، وما هي سلبياته وإيجابيته؟**

■ أظن أن التحول الرقمي للنشر والقراءة هو المستقبل، صحيح أن بعضهم ما يزال يتحدث عن محبته لملمس الورق، ولا يظن بأي حال أنه قادر على تبديل ما اعتاده، إلا إن ذلك لن يكون حال الأجيال الجديدة على الإطلاق، فهم ينشأون على اعتياد الأجهزة الإلكترونية منذ الصغر، وفي عالم تتنامى فيه معدلات القراءة من خلال أجهزة القراءة الحديثة.

إن النص الإلكتروني يعطي لقارئه إمكانات لا يتيحها بأي حال النص الورقي، إذ يمكنك تعديل شكل الخط وحجمه كما تشاء، كما يمكنك عبر «الهايبرتيكست» إضافة الهوامش والملاحظات كيفما شئت، وربطها بالنص في المواضع التي تريد، دون أن تشعر أنك شوهت شكل النص، أو شكل الكتاب؛ إضافة إلى ذلك هذا التحول يعد اقتصادياً، إذ يقلل تكاليف النشر، ويزيل الكثير من الصعوبات اللوجستية، التي تتعلق بعملية الطبع والتوزيع، ويسهل من كل تلك الخطوات، ولا أنسى أيضا البعد البيئي، إذ يُقلّ استخدام الأوراق، الحاجة إلى قطع الأشجار؛ ما يكفل استخدامًا أفضل للموارد وضغطًا أقل على البيئة. أما المساوئ فهي مساوئ الإتاحة المفرطة، ما يجعل الغث يختلط بالسمين، لكنني شخصيًا أفضل الإتاحة المفرطة، عن تعذر الوصول والمنع، خاصة أنه من الممكن التغلب على مشكلات الإتاحة المفرطة، من خلال تدريب القراء على الانتقاء والتوعية به.

أدبي الرياض واثنينية النعيم يكرّمان الدكتور أحمد السالم

■ محمود الرمحي

كرّم النادي الأدبي بالرياض واثنينية النعيم الثقافية بالأحساء الدكتور أحمد بن عبدالله السالم (الشاعر المعروف-وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- رئيس الجمعية العلمية السعودية للغة العربية سابقًا)، في فندق مداريم كراون بالرياض، مساء الأربعاء ١٤٤٤/٥/٢٧هـ (٢٠٢٢/١٢/٢١م)، وسط حضورٍ نخبويٍّ كبيرٍ من المثقفين وأساتذة الجامعات والإعلاميين.

بُدئ الحفل بآيات من القرآن الكريم، ثم ألقى رئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض الدكتور صالح بن عبدالعزيز المحمود كلمة النادي، ومما قال: «إن المجتمع الذي يحترم رموزه ومبدعيه، ويحتفي بهم، هو مجتمع ينشد الكمال ويؤدي فعلاً حضارياً عالياً، معتزاً بماضيه، ومستثمراً لمستقبله، ومؤسساً لثقافة عميقة تسري في أجياله، ويحملها السابق إلى اللاحق، وحين يكرّم النادي الأدبي بالرياض واثنينية النعيم الثقافية الشاعر الدكتور أحمد بن عبدالله السالم، فإنه في حقيقة الأمر يكرّم الرموز الثقافية السعودية، ويحتفي بمشهدنا الثقافي والإبداعي، ويحفز المبدعين الوطنيين الذين يستحقون التكريم والإشادة».

ثم ألقى عميد الاثنينية الأستاذ محمد بن صالح النعيم كلمة مشابهة، أشاد فيها بمكانة المحتفى به علمًا في مجال تخصصه (النحو والصرف)، وشعرًا، وإنسانًا نبيلاً.

انطلقت بعدها ندوة علمية عن

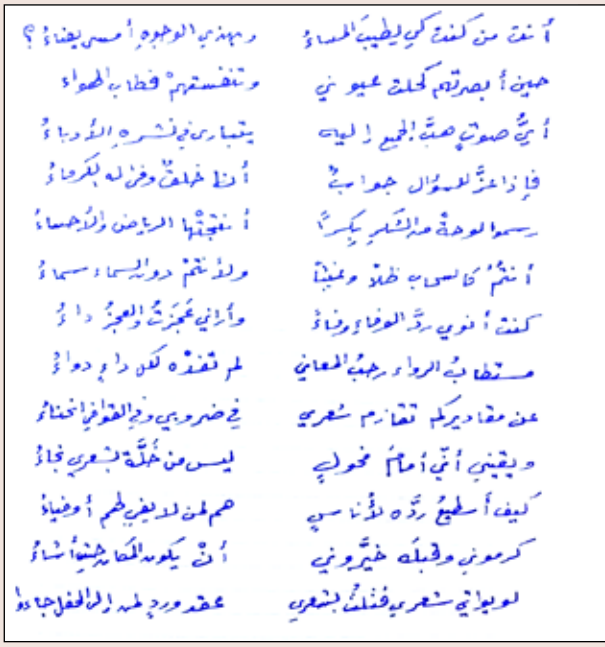

أنتَ من كنتَ كي يطيبَ المساءُ / وبهذي الوجوه أمسى يضاءُ ؟
حين أبصرتهم كحّلتُ عيوني / وتنفستهم، فطابَ الهواءُ
أيُّ صوتٍ هبّ الجميعُ إليه / يتبارى في نشره الأدباءُ
فإذا عزّ للسؤال جوابٌ / أنا خلقٌ وفى له الكرماءُ
رسموا لوحةَ الشكرِ بكرًا / أنتجتها الرياضُ والأحساءُ

نتاج المحتفى به الشعري، شارك فيها كل من الدكتور سلطان بن محمد الخرعان بورقة تناولت السرديّة في نماذج من شعر أحمد السالم، والدكتور جبران بن سلمان سحّاري بورقة عنوانها «إرسال المثل في شعر أحمد السالم: قراءة تحليلية بلاغية»، والدكتوره شادية شقروش بورقة عنوانها «القيم الأخلاقية والأبعاد التربوية في شعر أحمد بن عبدالله السالم»، والدكتور طامي بن دغيليب الشمراني من جامعة الجوف، بورقة عنوانها «جماليات التَّناصّ الأدبي في شعر أحمد بن عبدالله السَّالم»، وأدار الندوة الدكتور بدر الراشد (من تلاميذ د. السالم).

وألقى الدكتور فهيد بن رباح الرباح كلمة المشاركين، نوّه فيها بمكانة المحتفى به في الوسطين: العلمي والثقافي، ثم أدلى أربعة من عارفيه بشهاداتهم حول أعماله وصفاته الإنسانية النبيلة من تواضع وأخلاق عالية، وهم: الدكتور محمد الربيّع، والدكتور حسن الحفظي، والأستاذ حمد القاضي، والدكتور محمد القسومي. وبعدها ألقى المحتفى به (د. أحمد السالم) كلمة وقصيدة تضمنتا الشكر للجهتين المنظمتين وللحضور، ومما قال:

أنتَ من كنتَ كي يطيبَ المساءُ
وبهذي الوجوه أمسى يُضاء

حين أبصرتهم كحّلتُ عيوني
وتنفستهم، فطابَ الهواءُ

أيُ صوتٍ هبّ الجميعُ إليه
يتبارى في نشره الأدباءُ

فإذا عزّ للسؤالِ جوابٌ
أنا خلقٌ وفى له الكرماءُ

رسموا لوحةَ الشكرِ بكرًا
أنتجتها الرياضُ والأحساءُ

واختتم الحفل بتسليم الدروع والهدايا،

وجاء في مقدمتها درعا الجهتين المنظمتين للحفل: النادي الأدبي بالرياض، واثنينية النعيم الثقافية بالأحساء، ودرع مقدّم من نادي الجوف الأدبي الثقافي، ثم دُشّن الكتاب الوثائقي الذي أصدره النادي والاثنينية بهذه المناسبة، وأعده الدكتور عبدالله الحيدري، وعنوانه «في رحاب اللغة والشعر: أحمد السالم لغويًا وشاعرًا وإنسانًا».

وقد لقيت هذه المبادرة ترحيبًا من الوسط الثقافي، تمثل في عدد من التغريدات التي كتبها بعض الحضور، ومنهم الدكتور عبدالرحمن الصغيّر الذي كتب في حسابه كلمة فقال: «هذه الليلة ليلة وفاء من أهل الوفاء في وطن الوفاء وبحضور الأوفياء»، والدكتور سالم القرزعي الذي كتب في حسابه شهادة فقال: «تشرفت بحضور تكريم الدكتور أحمد السالم، الصديق الوفي الذي عرفته منذ سنوات طوال عاشقًا للغة العربية، كوكبًا في سماء شعرها وأدبها وفروعها اللغوية بعامة، ناهيك ما يتمتع به من خلق نبيل وشخصية قيادية»، وكتب الدكتور ناصر الخنين في حسابه في تويتر: «كانت ليلة أضاءتها كلمات الشكر والإطراء والذكر الحسن لمسيرة أبي خالد العلمية والإدارية والإبداعية، التي شهد بها ولها شهود التكريم استحقاقًا»، والأستاذ ناصر الحميدي الذي كتب يقول: «أشكر مجلس إدارة نادي الرياض الأدبي على هذا الاحتفاء الذي يجسّد الوفاء والتقدير لمن تركوا

سجلا حافلا بالإبداع والعطاء».

ومما قاله د. عبدالله الحيدري مشيداً ومعدداً لمناقبه إن د. السالم عَرَفته المنابر الرسمية في الجنادرية، وفي غيرها من المحافل شاعرًا وطنيًا محلّقًا، وشاعرًا مبرزًا في العديد من الصحف والمجلات السعودية والعربية، وأهدى المكتبة السعودية عددًا من الدواوين التي ضمت معظم إنتاجه الشعري.

وقد وصفه الدكتور حسن الحفظي بأنه الزميل والصديق والمدير، ومما قاله عنه: إن شعره لا يحجبه عن القلب شيء، بل ينفذ إليه كالسهم، ولكن بدون جراح، وما أشد انطباق قول زهير:

وإنّ أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

أما الأستاذ حمد القاضي أمين عام مؤسسة الشيخ حمد الجاسر الثقافية وعضو مجلس الشورى السابق، فوصفه أنه عالم من النبل، شيمته الصبر والوفاء.. إنسان جمع النبل من أطرافه وحاز من الخِلال أسماها. لم يكن أديباً بدرسه وكراسه، لكن كان أيضاً أديباً في نفسه، ثرياً بنفيس مزاياه. لقد أدرك ذلك كل من عمل معه أو تعامل: زميلاً أو صديقاً أو أستاذاً أو رفيق سفر.

وقال الدكتور عبدالعزيز الحربي إنه العالم والإداري، وأنه عرفه قبل عشرين حولاً حين كان معيداً، عرف فيه الأخلاق الحسنة، والمحبة، والتواضع، ولين الجانب،

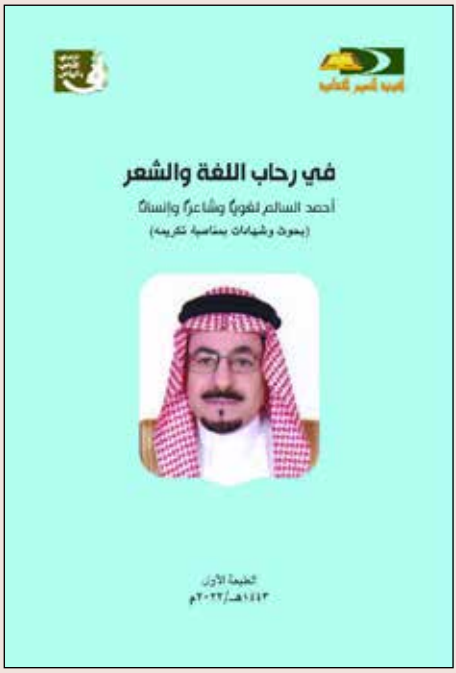

والحرص على نفع كل من حوله من زملاء.

ويقول الدكتور عبدالله الوشمي - الأمين العام لمجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية إنه إيقاع الأخلاق، وأضاف يتمتع أخي وصديقي د. أحمد السالم بسمات عالية من الخلق الرفيع، وسلامة الصدر، ونبل المعدن، وصناعة الفكاهة، وتقبُّل المزاح، وذلك في أجواء المؤانسة والمجالسة العامة، وخاصة في السفر والتنقلات، وجمال الألفة، ومساندة الطلاب والأصدقاء ومن يتطلع إلى خدمته والشفاعة له، وهو نمط أراه قد شغله في عدة مراحل من حياته، ولديه تقدير كبير لثوابته، ولئن رزق الصبر والأناة، إلا إنه سريع الالتزام بما يؤمن به، ولا يمكن أن يجد في أي مواضعة اجتماعية مانعاً من أن يقول ما يؤمن به.

ويتحلى بالعشق الأصيل لمنطقة الجوف، ودومة الجندل على وجه خاص، فهو وإن سكن الرياض لظروف الدراسة والعمل واستمر في ذلك، إلا إن حنينه دائم ونشط إلى حيث حلّ تمائمه، فهو عاشق دائم لمنطقته ومتابع لمستجداتها، ونشط في التعريف بها والدعاية إليها؛ بل إنه المقدم عندهم في حفلات المنطقة الرسمية لإلقاء الشعر وما إلى ذلك، ومنزلته مقدرة عند أهاليها.

وقال الأستاذ محمد بن هليّل الرويلي عنه.. إنه مكنز الشعر والأدب، طريقه الذي سلك، طويل رحيب، موصول بالعلم والسؤدد. تخرج من معهد الجوف العلمي بسكاكا، وشَدّ الرّحال في طلبِ العِلم في العام ١٩٧٣م، وتبوأ مقاعد العلم الرفيع ورفعة الشعر العربي الأصيل، منزلًا عليّا..

العِفّة في الشعر العربي

مفهوم شامل لضبط النفوس وتهذيبها

■ منى حسن*

قال النبي صلى الله عليه وسلم، إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وذلك إشادة بما اشتُهر به العرب من طبائع وأخلاق سامية، أبرزها الكرم والشجاعة والفروسية، وأجملها العفة والحلم والوفاء، وغيرها من الصفات الحميدة، التي يمدحون حاملها ويذمون تاركها، وكان لهم للفخر بها صولات وجولات؛ فتباهوا بذكرها في شعرهم الذي شكّل حافظة تاريخية للحياة في مجتمعاتهم. ومن هنا نبع اهتمامهم بالشعر، وبالشاعر الذي يُعدُّ صوت قبيلته، ومُخلد أمجادها ومحامدها، ولسان فخرها بين القبائل.

وقد احتفى الشعر العربي قبل الإسلام وبعده بالعفة، بوصفها قيمة أصيلة من قيم الأخلاق المجتمعية التي يتميز بها الإنسان العربي الأصيل، وعُدت من أخلاق الفرسان.

المفهوم الشامل للعفة وتجلياته في القصيدة العربية:

في "لسان العرب"، العفة هي: "الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلّ ويَجْمُلُ، وفسَّرها ثَعْلَبٌ بضبط النفس، وذلك في تفسيره لقوله تعالى في سورة النور "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكاحاً"، وفي اللسان أيضا: "الاسْتِعْفاف: طلَبُ العَفَافِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاسِ، وَقِيلَ: الاسْتِعْفَاف الصبْر والنَّزاهة عَنِ الشَّيْءِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلك العِفَّة والغِنى".

وجاء الإسلام مؤكداً لها وحاثاً

عليها، قال تعالى في سورة البقرة: ((لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا)).

ويتسع مفهوم العِفّة ليشمل في مسماه عدة معان للمروءة والحياء والأنفة، والترفع عن الدنايا؛ فهي معنى شامل يُعنى بضبط النفس والصبر، ولها عدة أوجه، لا تقتصر على التعفف عن الرغبات الإنسانية، بل تتسع لتشمل التعفف عن أكل أموال الناس بالباطل، وعن سؤال الناس حتى عند الحاجة، والتعفف عن كل ما هو غير جميل. قال السموأل بن عاديا:

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللؤمِ عِرْضُهُ
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

وقال عنترة بن شداد العبسي مباهيا بعفة نفسه وقدرته على ضبطها وتهذيبها ونهيها عن اتِّباع هواها:

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي
حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ
لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

أيضا يفخر عنترة، الذي اشتهر بعزة النفس وترفعها عن الدنايا، بعفَّته عن الغنائم كناية عن زهده في المال مقابل الشرف الذي يخوض المعارك لأجله، بينما

يتعفف عن المال ويزهد فيه:

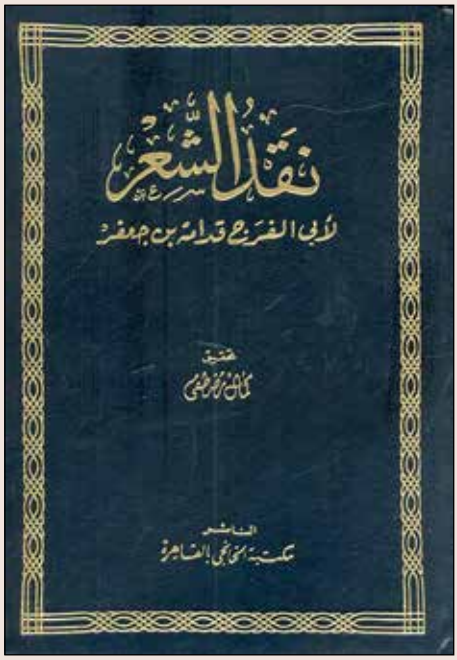

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ
إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

يُخْبِرك مَنْ شَهِدَ الوَقيعَةَ أنَّني
أَغْشى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ

وذكر قُدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر صفات تدخل في مفهوم العفة مثل القناعة، وقلَّةِ الشَّره، وطهارة الإزار، والتنزه عن الدنايا، والرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة. قَالَ الشاعر المخضرم عَمْرُو بْنُ الأهتم مشيداً بعفة قومه عن الخبائث وإن أقتروا:

إنَّا بَنُو مِنْقَرٍ قومٌ ذَوُو حَسَبٍ
فِينا سَراةُ بَني سَعْدٍ وَنادِيها

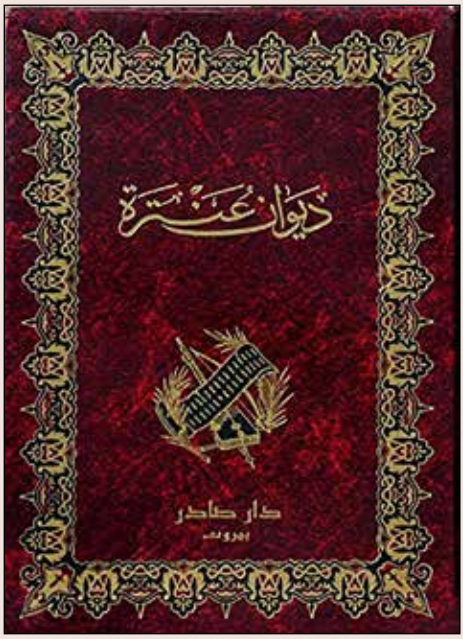

جُرْثُومةُ أُنُفٌ، يَعْتَفُّ مُقْتِرُها
عَنِ الخَبِيثِ، ويُعْطِي الخَيْرَ مُثْرِيها

وتحدث الشاعر عَبيد بن الأبرص الأسدي، عن العفة، في شعر مضمخٍ بالحكمة قائلا:

كفى زاجرًا للمرء أيامُ دهرهِ
تروح له بالواعظات وتغتدي

إذا أنت طالبتَ الرجال نوالهم
فعِفّ ولا تطلب بجهد فتنكدِ

عسى سائل ذو حاجة إن منعته
من اليوم سؤلاً أن يسرك في غدِ

أما الشاعر الفارس أبو فراس الحمداني فيرى الغنى في القناعة وغنى النفس، لا الثراء، ويشيد بعفته ومروءته اللتين تعافان طبع الحرص والسعي خلف التكسب على حساب الأخلاق، جامعاً عدة صفات تقع تحت مظلة العفة في قوله:

إنّ الغنيّ هو الغنيّ بنفسه
ولوَ انّهُ عاري المناكب حافِ

ما كلُ ما فوق البسيطة كافيًا
فإذا قنعتَ فكلُ شيء كافِ

وتعاف لي طمع الحريص أبوّتي
ومروءتي وفتوتي وعفافي

أيضا يخاطب أبو فراس نفسه/ عفته التي تزجره عن الوقوع في الزلل، ويرى أن تمام العفة في أن تعف عما أنت قادر عليه، قائلا:

ويا عِفَّتي ما لي وما لك كلما
هممت بأمر همّ لي منك زاجرُ

كأن الحجا والصوت والعقل والتقى
لديّ، لرباتِ الخدورِ ضرائرُ

عفافُك غيٌّ إنما عفةُ الفتى
إذا عفّ عن لذّاته وهو قادرُ

كما ذكر ابن المقفع على لسان بيدبا الفيلسوف قوله ضمن حواره مع دبشليم الملك: "وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوانات أربعة أشياء، وهي جماع ما في العالم، وهي: الحكمة والعفة والعقل والعدل". وجعل أفلاطون الفضائل الكبرى أربعاً: العقل، والشجاعة، والعفة،

والعدل. وبعده قال أرسطو إن الفضائل هي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل.

وانتُخبت العفة هنا دوناً عن غيرها من الصفات والأخلاق الحميدة لما لها من دور كبير في تزكية النفوس وتطهيرها، وحماية المجتمعات من الرذائل.

أورد الأبشيهي في كتابه "المستطرف في كلِّ فنٍّ مُستظرف" على لسان بعض بني كلب: "وتـروي بعض كتب السيرة أن امرأة ذات جمال دعت عبدالله بن عبدالمطلب إلى نفسها، لما كانت ترى على وجهه من النور، فأبى وتعفف وأنشد قائلا:

إن أكـن طـامـح الـلـحـاظ فـإنّـي
والـــذي يـمـلـك الـفـؤادَ عفيف

أمـا الـحـرام فـالـحِـمـامُ دُونَـه
والـحِـلُّ لا نـأبـى، ونـسـتـديـنـه

فـكـيـف بـالأمـرِ الـذي تـبـغـيـنـهُ
يـحـمـي الـكـريـمُ عِـرضَـه ودِيـنَـهُ

وللمبرد في المفهوم الشامل للعفة:

مَـا إن دَعَـانـي الـهَـوَى لِـمعصيةٍ
إلا عَـصَـاهُ الـحَـيَـاءُ وَالـكَـرَمُ

فـلا إلـى مـحـرم مـــددت يـدي
ولا مـشـت بـي لـريـبـة قَـــدَمُ

وجـاء في المستطرف أيضا أن بثينة دخلت على عبدالملك بن مـروان، فقال: ما أرى فيك يا بثينة شيئا مما كان يلهج به جميل! فقالت: إنه كان يرنو إليّ بعينين ليستا في رأسك يا أمير المؤمنين، قال: فكيف صادفته في عفته؟ قالت: كما وصف نفسه إذ قال:

لا والـذي تـسـجـد الـجـبـاه لـه
مـا لـي بـمـا ضـم ثـوبـهـا خـبـر

ولا بـفـيـهـا ولا هـمـمـت بـهـا
مـا كـان إلا الـحـديـث والـنـظـر

وللشاعر أحمد شوقي أبيات جميلة في الدعوة إلى استصحاب العفة في طريق الحياة، وصولاً إلى سيرة طيبة في الدنيا وعمل صالح يُدَّخر للآخرة:

وَخُـذ لَـكَ زادَيـنِ مِـن سـيـرَةٍ
وَمِـــن عَـمَـلٍ صـالِـحٍ يُـدَّخَـر

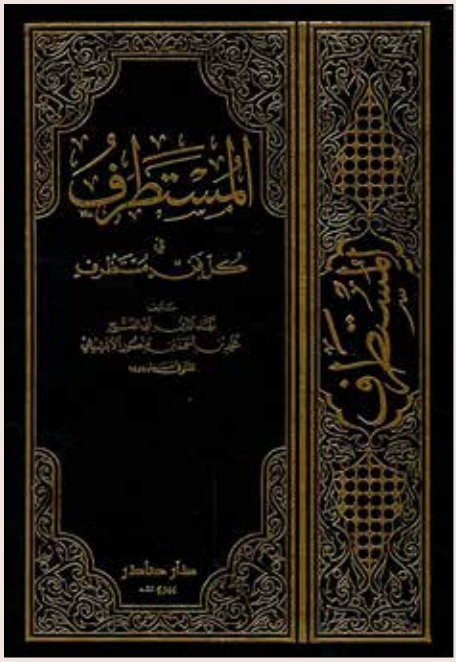

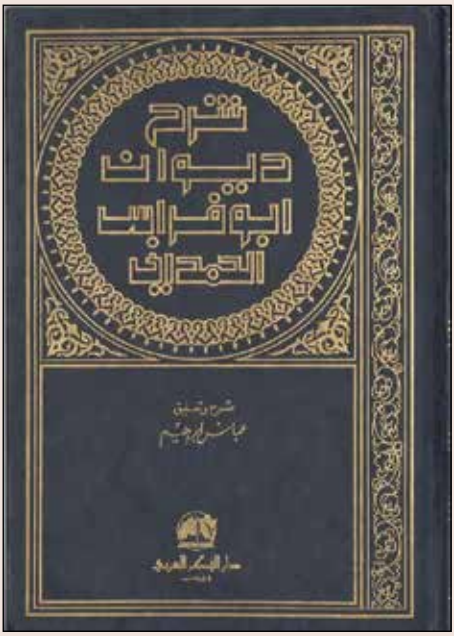

وَكُن في الطَريقِ عَفيفَ الخُطا
شَريفَ السَماعِ كَريمَ النَظَر

ورثى الشاعر حافظ إبراهيم صديق عمره مشيداً بعفته وكرمه قائلا:

ثَلاثَةٌ لَم تَعرُ عَن عِفَّةٍ
لِسانُهُ وَالذَيلُ وَالمِئزَرُ

قَد كانَ مِتلافاً لِأَموالِهِ
وَكانَ نَهّاضاً بِمَن يَعثُرُ

ويرى الشاعر فواز اللعبون أن العفة تسمو بالحب، ولا يكون من دونها إلا وبالا على صاحبه، يقول:

الحُبُّ لولا عِفّةٌ تسمو بِهِ
ما كان إلا لعنةً وعَذابا

كما يرى الشاعر عبدالرحمن العشماوي ان طَرْق العفاف يجنب المرء التيه، ويسمو به نحو تقوى الله واتباع نهج الأنبياء، يقول:

طريقك للعفافِ هو الطريقُ
طريقٌ لا يتيهُ ولا يضيق

طريقُكَ للشموخ وللتَّسامي
له جسرٌ من التقوى وثيقُ

طريقُ الأنبياءِ، عليه ساروا
تُصان به المكارم والحقوقُ

طريقٌ للعفافِ، طريقُ رَوْضٍ
يغذِّي قَلْبَ سالكه الرَّحيقُ

هكذا، وعبر ما أوردنا من مقتطفات، تجلت العفة كخلق نبيل وقيمة سامية أصيلة في الشعر العربي قديمه وحديثه، دعا لها وشدا بها من أرادوا السمو والترفع عن الدنايا، مستصحبين في ردائها كل القيم النبيلة والمعاني السامية المشمولة في دائرة التعفف، والتي تهذِّب النفس، وتسمو بالمجتمعات الإنسانية.

المراجع:

- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ديوان أبي فراس الحمداني دار الفكر العربي، بيروت.
- ديوان عنترة بن شداد-دار صادر، بيروت
- المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي- دار صادر، بيروت.
- كليلة ودمنة لابن المقفع، تحقيق عبد الوهاب عزام وطه حسين، مؤسسة هنداوي.

* كاتبة و شاعرة - السودان.

إبراهيم الخليف
ذاكرة الجوف وأرشيف التعليم والتنمية

■ عبداللطيف الضويحي*

ليست الكتابة من نقطة البداية كالكتابة من خط النهاية. كما أن الكتابة بتتبُّع الأحداث من الماضي انتهاء بالحاضر، ليس كالكتابة بتتبُّع الأحداث من الحاضر وانتهاء بالماضي.

لكن الكتابة عن أ. إبراهيم الخليف السطام (رحمه الله) لا تتطلب البدء بالكتابة من نقطة البداية في حياته أو من خط النهاية في حياته. فحياة هذا الرجل ذات امتدادات عمودية في التعليم؛ منذ الكتابة على الرمل، ومنذ تعليم الكتاتيب، وحتى التعليم عن بعد، والتعليم المدمج. وعلاقته بالتعليم بدأت طالباً مع والده، ثم على يد المعلم والقاضي الشيخ فيصل المبارك سنة ١٣٦٢ للهجرة، حين كان التعليم غالبا في المساجد، رغم أن أول مدرسة نظامية في سكاكا افتتحت عام ١٣٦٢هـ.

الهوة التعليمية في منتصف القرن الفائت كان حجمها كبيرًا، فليس هناك متسع من الوقت يسمح بانتظار الطلبة حتى يكملوا تعليمهم؛ فما يلبث أن يصبح الطالب معلماً فور إكماله أساسات التعليم الديني واللغة العربية وبعض الرياضيات.

يمكن القول مع بعض التحفظ إن تعليم العلوم غير الدينية وغير اللغوية كانت مرتبطة إلى حد كبير بالتعليم النظامي الرسمي في المملكة، وبخاصة أن هذه الخطوة جاءت بمعلمين من الدول العربية الشقيقة، التي كان التعليم فيها سابقاً عما كان حينها في المملكة،

من اليمين : عبدالعزيز الهنيدي "قائد سلاح الجو السعودي في الثمانينيات"في زيارة للجوف ليدعو خريجي الثانوية العامة للالتحاق بالكليات العسكرية ، يليه إبراهيم الخليف.

مع الصحفي محمد عبدالواحد رفيق – أثناء انعقاد اللقاء الخليجي المغربي بالدار البيضاء ٢٠٠٠/٥/٤م

أثناء تكريمه من قبل برلمان ولاية فيرشيلي في إيطاليا

حيث وفرة المعلمين وتعدد التخصصات.

لقد عاصر وعاش أ. إبراهيم السطام كل هذه المحطات التي مر بها التعليم في المملكة وعايشها طالباً ومعلماً، وفيما بعد متنقلاً بين المراتب الوظيفية الإدارية والمهنية في سلم التعليم الوظيفي؛ فمن مدرّس سنة ١٣٦٣ هجرية، إلى مدير مدرسة، حتى أصبح مفتّشا إدارياً، إلى أن أصبح مديراً للتعليم في منطقة الجوف، وهذه قفزة كبيرة في سلم التدرج الوظيفي؛ فقد شق الأستاذ السطام هذا الطريق ومضى فيه، رغم التحديات وكل الصعوبات، وليس أقلها الصعوبات الاقتصادية التي فرضتها تلك المرحلة.

لقد جاء انتقال أ. السطام من قطاع التعليم إلى القطاع البلدي استجابةً للنضج الإداري والتنموي اللذين كانت المملكة بحاجتهما بالتزامن مع إعداد الكادر البشري الضروري، للتناغم والانسجام مع ما تحقق في تلك المرحلة، وهذا انعكاس لواحدة من النظريات التنموية التي ترى أن تحقيق التنمية يتطلب الوصول إلى مستوى معين من التعليم قبل الشروع بالبرامج التنموية.

يمكن القول إن النقلات والتنقلات الثلاث المهمة التي مر بها وعاشها الراحل إبراهيم الخليف من ١) مدير عام التعليم في منطقة الجوف إلى ٢) رئيس بلدية الجوف ومنها إلى ٣) مدير عام عام الشئون البلدية والقروية في المنطقة الشمالية تعكس عدداً من الاعتبارات التي يدركها المخطط المركزي للتنمية في المملكة العربية السعودية، ومنها منطقة الجوف والمناطق الشمالية:

١) أولوية التعليم وأقدميته على أي برامج تنموية، والتعليم يستمر بالوتيرة نفسها

قبل وخلال وبعد أي برامج تنموية؛ فالتعليم غاية ووسيلة.

٢) أهمية إعداد الكادر البشري المحلي وتهيئته بقدر الإمكان، من خلال التجربة وصقل الخبرة؛ تمهيداً لتوفير الفرصة من النجاح من خلال قيادة وإدارة أي عمل تنموي محلي وبرامج تنموية محلية.

٣) أهمية التوأمة والتفاعل بين قطاعات التنمية المختلفة، مع الحفاظ قدر المستطاع على وحدة الارتباط الإداري لكل قطاع.

٤) لا تختلف منطقة الجوف عن بقية مناطق المملكة الإدارية؛ من حيث بدايات التعليم، وخطط التنمية، والإدارة، باستثناء الكثافة السكانية في بعض المناطق، وحجم المدن، وما يتطلبه ذلك من مراعاة لهذه الإعتبارات.

٥) لا يمكن تحقيق التنمية النوعية قبل تحقيق النمو الكمي الطبيعي.

٦) من الخطأ تقييم أي تجربة تنموية في الماضي بعيون الحاضر، ومن خلال إمكانات ومعطيات الحاضر.

كان لا بد من استحضار واستيعاب هذه الخلفية ونحن نستعيد ونستنطق التجربة التعليمية والإدارية والتنموية للأستاذ إبراهيم الخليف السطام، والذي وافته المنيّة في اليوم الثاني من عيد الفطر الفائت في

الأستاذ إبراهيم خليف

مدينة سكاكا، منطقة الجوف -تغمده الله بواسع رحمته.

لستُ مؤرخا لكني أظن أن الجيل الذي أنجب أ. إبراهيم الخليف، والدكتور عارف المسعر، رحمهما الله، والدكتور عبدالواحد الحميد، والدكتور فهاد المعتاد الحمد، وغيرهم -ممن لا تحضرني أسماؤهم- حريٌّ أن نعيد قراءة سيرهم في ضوء إرهاصات خطط التنمية في المملكة، وما قبل خطط التنمية بقليل؛ فقراءة سير تلك الأسماء هو بمثابة قراءة أكثر جيل عاصر الانتقال الدراماتيكي. والتحوّل الجذري بين عالمين مختلفين كل الاختلاف، جيل عاش الصدمة الحضارية فاكتوى بنارها وذاق مراراتها بقدر ما نال من حسناتها وإيجابياتها.

* كاتب سعودي - الجوف.

اكتشاف منشآت حجرية بجبل الظلّيات في الجوف

يعود تاريخها إلى ٩٠٠٠ عام مضت

■ المحرر الثقافي

عثر فريقٌ من علماء الآثار السعوديين والدوليين على إحدى أقدم المنشآت الحجرية التي شيّدها الإنسان في جبل الظلّيات بمنطقة الجوف -شمالي المملكة- يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ٨٠٠٠ و٩٠٠٠ عام قبل الوقت الحاضر، وذلك ضمن نتائج مشاريع المسح الأثري التي أُجرتها هيئة التراث مؤخراً بالتعاون مع المراكز العلمية الدولية.

ونشرت مجلة (بلوس ون) مقالةً عن هذه المنشآت الحجرية التي تُمثّل -بحسب الورقة العلمية- مصائد من الحجر، وهي مبانٍ ضخمة الحجم تُستخدم كمصائد للحيوانات تم تأريخها لفترة ما قبل التاريخ، التي تُعبّر عن قدرة الإنسان قديماً على التكيّف مع طبيعة المكان، وذلك بنقل مساحة كبيرة إلى سطح صغير ثنائي الأبعاد، كما تُعدّ علامةً فارقة في السلوك الذكي للإنسان، وتعزّز فهم كيفية تصوّر المصائد الحجرية الصحراوية وبنائها.

وتمّت مشاهدة هذه المصائد الحجرية لأول مرة من الطائرات في عشرينيات القرن الماضي - وفقاً للورقة العلمية-، وكانت تُعد للوهلة الأولى مبانيَ أثريةً متطورة تتكون من جدران، ومُذيَّلات يصل طولها إلى أكثر من خمسة كيلومترات تتلاقى في منطقة كبيرة، وتتّصل بها غرف ذات حجم أصغر، وبخاصة في الأركان والزوايا الخارجية؛ وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يتم إثبات وظيفتها واستخداماتها كمصائد للحيوانات البرية، وتأريخِها

إلا في السنوات القليلة الماضية. ويشار إلى أنه جرى حتى الآن اكتشاف أكثر من ٦٠٠٠ منشأة.

ونشر باحثون من المركز الوطني للبحث العلمي وباحثون من معاهد مختلفة لوحتَين مرسومتَين، تُمثّلان مخططات مُصغّرة لمصائد حجرية في المملكة والمناطق المجاورة لها، وقد عُثر في جبل الظلّيات(١) في منطقة الجوف على زوجَين من المصائد الحجرية الصحراوية تتباعد عن بعضها بمسافة ٣,٥٠ كم، كما اكتُشفت في هذه المنطقة لوحة مُصغّرة لمصيدة حجرية صحراوية مرسومةٍ على حجر يبلغ طوله ٣٨٢ سم، وعرضه ٢٣٥ سم، ويعود تاريخها إلى نحو ٨٠٠٠ عام قبل الوقت الحالي، كما عُثر سابقاً على منشآت مُصغّرةٍ أخرى لهذه المباني الضخمة، لكنها لم تكن بالدقة الكبيرة نفسها التي نُفّذت بها منشآت الظلّيات.

---

* كاتب من السعودية - الجوف.

(١) **الظليات**: سلسلة جبلية تمتد نحو ٣٠ كيلومتراً غربي دومة الجندل، وهي امتداد للحوض الصخري الذي يحيط بدومة الجندل، وهي آخر امتداد للتكوين الجيولوجي لجبال الطويل شمالي جبال الأضارع، وهي حافة هضبة الحماد فوق وادي السرحان. تمتد لمسافة ٢٥ كيلومتراً، ويغلب عليها الحجر الأسود البازلت. ويخترقها شعيب المندسة وشعبا الظليات، التي تنحدر تجاه دومة الجندل من الغرب والجنوب، وتضم أكثر من ٩٠ موقعاً بسجل الآثار. وقد كانت سلسلة جبال الظليات إحدى أهم محطات القوافل القادمة من بلاد الرافدين والشام، ويتخللها عدد من الشعاب والتي ينبت فيها العديد من الأشجار والأعشاب البرية، ويحيط بها عدد من مصامد المياه التي تنحدر من هضبة الحماد، وتحديداً من الريتين شمالاً، ومن الرغيله شمالي غرب الظليات.

إبراهيم الحسين

والنافذة التي يطل بها على العالم

■ محمود الرمحي

شاعر.. ولا يمكن إلا أن يكون شاعراً-هكذا يقول-، لم تستهوه أنماط السرد الأخرى كالرواية والقصة.. يأبى إلا أن يكون شاعرًا وفي أحضان قصيدة النثر..!

يقول عن ارتباطه بها (إنها النافذة التي تمنحنه ضوءاً جديداً وعيوناً جديدة، يطلّ منها على عوالم أخرى، يتبعها أينما ذهبت .. تلك النافذة لا يعلم من أين جاءت بإطارها، بحديدها، بخشبها أو زجاجها، أو حتى سمائها)!

له فيها باع وذراع، يتسلح بتجربة ثرية ومغايرة عن الآخرين، شهد له فيه معلموه ومجايلوه ..

يقول كاظم الخليفة:

نصوصه تتجسد في معان قريبة محسوسة؛ حتى كأنها يمكن الربت عليها، وحتى مداعبتها أحياناً، لكنك لا تعتب عليها أو تجادلها. يُدخلك في مواضيعه عن اليومي المعاش ويستدرجك ليصعد بك إلى مستويات عالية من التأزم؛ كأشبه ما يكون "بمرجيحة" تنخفض عن مستوى تناولك، ثم تأخذك إلى ذروة العلو من نطاق دورتها، وسرعان ما تحط بك في أمان ثانية.

ويقول آدم فتحي:

القصيدة بالنسبة إليه بناء بالهدم يُفكّر بحساب ويتداعى بحساب. إنّها شبيهة بكرة النار المندفعة من فوهة البركان. لا تَزعمُ بطولةً، لكنّها لا تروغُ من معركة. لا تدّعي رسالةً، لكنّها لا تهرب من معنى. تصنع لغتها بإيقاعها الصائت وبالصمت. تعيد إنتاج نفسها مع كلّ تأويل. تنفذ إلى عمق الواقعيّ بقوّة الخيال. تصنع الأبديّ من اليوميّ العابر. تتيح لقارئها أن يشارك في ابتكار معناها.

رفد المكتبة الشعرية بعديد من المجموعات الشعرية التي دائماً ما تحظى باهتمام النقاد والشعراء محلياً وعربيا، وله حضور متميز في المنصات الشعرية، إذ شارك في أمسيات عبر جمعيات الثقافة والفنون والأندية الأدبية والملتقيات الثقافية بالسعودية، ومهرجانات عربية وعالمية..

إبراهيم الحسين:
أُحيي عزلتي منقطعاً ومخلصاً للقراءة والكتابة ولا أفكر أبدا في كتابة الرواية فأنا في جنّةِ الشعر، ولا أريد الخروج ! منها

إبراهيم عبدالعزيز الحسين، شاعر سعودي من مواليد الأحساء ١٩٦٠م، نعم، شاعر، ولا يمكن إلا أن يكون شاعراً وفي أحضان قصيدة النثر..! وهو يتسلح بتجربة ثرية ومغايرة عن الآخرين.. تنبه لنفسه لحساسية روحه مبكراً، ارتبط روحياً برشيد علامة «الفنان اللبناني» الذي اشتهر بتقمص الشخصيات التاريخية في ستينيات القرن الماضي في العديد من المسلسلات التاريخية، ثم المنفلوطي بكتبه التي أهداها له معلمه، طبعاً، كُتب المنفلوطي وترجماته الرائعة، وبأسلوبه الأدبي النقي، حتماً سيكون لها الأثر القوي في خلق وتشكيل علاقة طفل مع الكلمة في الصف الأول المتوسط، ثم مرافقته لرفقاء الدرب الشاعر عبدالله السفر والشاعر أحمد الملا منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي، هناك عمق خفي نسج خيوط ارتباطه بالشعر..

إبراهيم الحسين، رفد المكتبة الشعرية بعدد من المجموعات الشعرية التي دائماً ما تحظى باهتمام النقاد والشعراء محلياً وعربيا، وله حضور متميز في المنصات الشعرية؛ إذ شارك في أمسيات عبر جمعيات الثقافة والفنون والأندية الأدبية والملتقيات الثقافية بالسعودية، ومهرجانات عربية وعالمية ومنها.. في عام ٢٠٠٦م شارك في أيام ثقافية سعودية بجمهورية مصر العربية، وفي صيف ٢٠٢٢م، شارك في مهرجان الشعر العالمي بمدينة بوسعيدي بتونس، كما شارك في مهرجانين شعريين في عامي ٢٠١١م و٢٠١٥م، بمدينة سيت الفرنسية، وقد ترجمت له عدة نصوص إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

في هذا الحوار.. الشاعر إبراهيم الحسين ينقلنا إلى كوكبه، كوكب الشعر..

■ حاوره: عمر بوقاسم

نافذة سرية..!

- **إبراهيم الحسين، صاحب تجربة وارتباط بالقصيدة منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي، هلا حدثتنا عن طبيعة ارتباطك بالقصيدة؟**

■ هي نافذة وجدتها تلك الفترة، وجدتها تمنحني ضوءاً جديداً وعيوناً جديدة، ووجدتني أطلّ منها على عوالم جديدة، عوالم جعلتني الشغوف المتعلق الذي يتمتم لنفسه دائما: هذه نافذتي، هذه نافذتي السرية! ومنذ ذلك الحين وأنا أتبعها أينما ذهبت.. نافذتي التي منذ ذلك الحين لم تأفل.. ويرعبني جدا أن يحدث ذلك، تلك النافذة لا أعلم من أين جاءت بإطارها، بحديدها، بخشبها

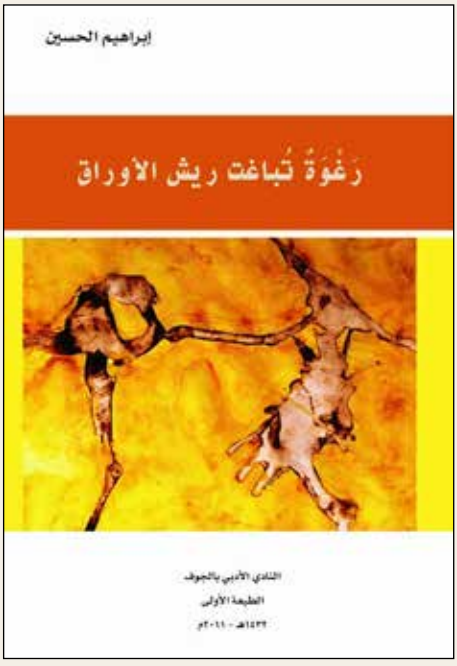

أو زجاجها، أو حتى سمائها، هل هي حكايات الأب التي يصادف أحياناً وينفتح فجأة فيُخرِج حكاياته ويسرّحها أمام دهشتنا، الأب الذي كان فقده صاعقاً بموته الذي أحدث فجوة فيّ هبَّت منها طيورٌ سوداء كثيرة دفعة واحدة حطَّت كلُّها في كتاب «يسقط الآباء حجرًا حجرا، وتكرّر ذلك في نازلة فقد الأم أيضاً في كتاب «يخطئ الموتى». وغني عن القول أنهما فجوتان لم أقوَ حتى الآن على ترميمهما، ولا أظن ذلك (يرحمهما اللّه)، وربما كانت تلك النافذة من معلم كان يحكي لنا» ألف ليلة وليلة»، أو من مسلسلات العربية الفصحى بالتلفزيون، وأخص هنا ممثلا لبنانيّاً هو «رشيد علامة».. إن تلك النافذة خرجَت عليّ من حكايات كنت أختلقها لأترابي في الحارة وليدةَ لحظتها إذْ يتحلّقون حولي مشدوهين، ولِمَ لا تكون من معلم اللغة العربية في الصف الأول متوسط الذي أهداني في طابور المدرسة الصباحي كُتُبا للمنفلوطي وغيره لكوني من أوائل الصف، أو إنها تسلّلت إليّ من الأغاني التي كنت أحبها حدّ أني خصصت لها دفتراً أكتبها فيه؛ لا أدري حقيقة كيف انفتحت تلك النافذة التي قد تكون أخشابها احتُطبت من حدائق المراهقة وورودها القصية.. ثم جاء تعرفي على عبدالله السفر بالمرحلة الثانوية وانسجامي معه ليصقل تلك النافذة

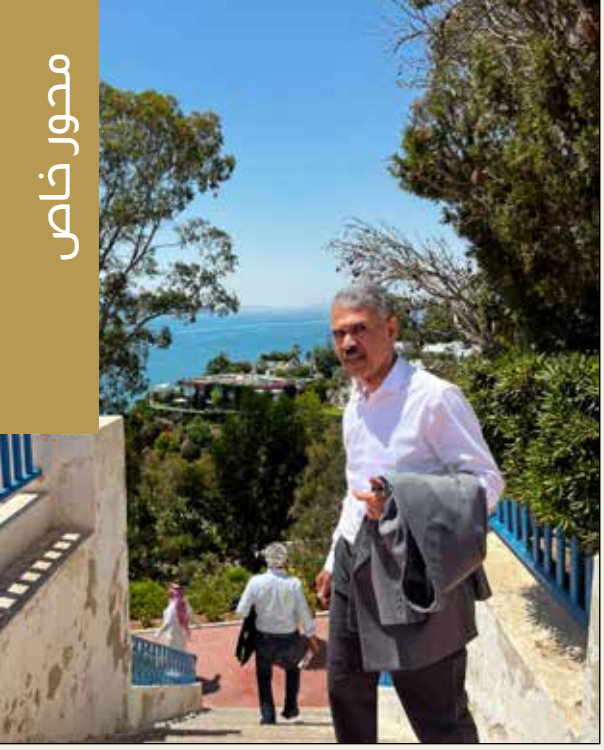

ويزيدها لمعانا، ثم انفتاحنا معاً بعد ذلك على أحمد الملا ليزيدها اتساعاً ووهجاً، ولنشكّل ثلاثيّا نقياً في أوائل الثمانينيات؛ ثلاثياً ما تزال شجرته تنمو وتعلو، توزّع ظلَّها، وترسل جذورها في الشفيف والحميم، أبعدَ وأبعدَ وأعمق، حتى هذه اللحظة.

حريص أن لا تكرر نفسك..!

- **بين مجموعتك الأولى «خرجت من الأرض الضيقة» الصادرة عن سلسلة كتاب كلمات، المنامة، ١٩٩٢م، ومجموعتك الأخيرة «يخطئ الموتى» الصادرة عام ٢٠٢٢م، عن «منشورات تكوين» في الكويت، هناك عديد من المجموعات الشعرية، أذكر منها «خشب يتمسح بالمارة، ١٩٩٦م»، «انزلاق كعوبهم ٢٠٠٧م»، «رغوة تباغت ريش الأوراق ٢٠١١م»، «على حافة لوحة في المنعطف الموسيقي ٢٠١٤م»، «فم يتشرد في جهات الجمر ٢٠١٥م». عادةً كل شاعر يشعر مع كل إصدار جديد أنه يخوض تجربة جديدة، فما رأيك؟**

■ لا تتصور مدى فرحي بالإصدار الأول «خرجتُ من الأرض الضيقة»، أحضر لي الصديق أحمد الملا – من البحرين– مجموعةً من النسخ. كنت مرتبكاً حدّ أني تعثّرت بهذه النّسخ على درج المنزل. وعن طبيعة الإصدارات؛ فإن كل مجموعة تحمل عوالمها ومواقفها.. صورها ورجفاتها، أنت مع كل مجموعة حريص أن لا تكرر نفسك. كل مجموعة تمثّل مرحلة من حياتك ومن قراءاتك ومشاهداتك والمواقف التي مررت بها، وهذه جميعها في تجدّد؛ حتى التناول يكون مختلفاً؛ ومن هنا، يأتي الاختلاف بين مجموعة وأخرى، حتى وإن كان الاختلاف طفيفاً.. أنت تشتغل على تطوير تجربتك، وهذا ينعكس على نصوصك.. وهناك أمرٌ آخر، فلست أنا مَن يحكم على أحقيّة أي نص أو مجموعة في النشر، كان الصديق عبدالله السفر له الدور الكبير في ذلك.

عواء لن تلتفت الأشجار إلى جهته..!

- **هذا النَّفَس من التجدّد والسعي نحوه الذي تحدّثتَ عنه، يطرح سؤالاً عن نظرتك إلى النص وكتابته. كيف تعلّق؟**

أحمد الملا و إبراهيم الحسين و عبدالله السفر

■ كلّ نص إن لم يكن وجهاً آخر لك فلا تردّ عليه؛ وكل كتاب إن عرفت صوته فلا تفتح له، مهما طرقَ بابك؛ وكل كلمة سبق وأمسكتَ بقرونها وتحسّستَ ظهرها فلا تكلّف نفسك ملاحقتها والجري وراءها محاولاً اصطيادها! ثقْ أنك بذلك تعوي عواءً جرّحَ حنجرتك من قبل، ولا طائل من ورائه.. عواءً لن يخيف أحداً أو يلقي في قلبه الرعب أو يدهشه.. عواءً لن تلتفت الأشجار إلى جهته أو تخشى على أوراقها منه، وكلّ حرف عرفتَ آثار أقدامه فلا تتبعه ولا تناد عليه؛ دعه وشأنه. أنت في كل نص ينبغي أن تتحوّل.. أن تنبت في أرض أخرى، وأن يكون لاحتراق جذعك عبقٌ آخر.. كل مرة تقدُم فيها على اجتراح الكتابة التي تولد فيها من جديد يكون لك اسمٌ آخر وقشرة.

كأنني أخاطبهم وأتحدّث إليهم..!

● **رغم تدفّقك الكتابي وغزارته، إلا إنك في الوقت نفسه شحيح الحضور في الفضاء الثقافي والاجتماعي، وإن حضرتَ فبكثيرٍ من الصمت والإصغاء. كأنما تحضر ومعك رفيقتك العزلة. هل هذا صحيح؟**

■ صحيح.. صحيح.. أنا أعيش في عزلة شبه كاملة. أحيا عزلتي منقطعاً ومخلصاً للقراءة والكتابة، وهذا وضعني في جهة تزداد ابتعاداً عن الجميع، وجعلني أقلّ حضوراً ثقافياً وحتى اجتماعيا.. حتى وإن حدث وألقتك الصدف لحضور اجتماع لأصدقاء، تكون الأقل كلاماً

حتى وإن تكلمت فإنك فقط تلقي نصاً محفوظاً لديك لأحد الجميلين.. نصاً لم تجد مفراً لك من حفظه وامتلاكه، لمحمود درويش أو بسام حجار أو وديع سعادة، أو نصاً مترجماً مثل نص «إذا انجرح القلب» للشاعر الاسترالي مايكل لونغ من ترجمة المختلف شعراً، وترجمة: سلمان الجربوع. أحفظ هؤلاء وغيرهم، أردّد نصوصهم أثناء المشي اليومي، كأنني أخاطبهم وأتحدّث إليهم، والجميل أنهم يصغون إليّ ويفرحون، ويردّون عليّ في أوقات أخرى بنصوص أكتبها أعرف أحياناً أن فيها ظلّاً من نبرةَ وروحَ فلان أو فلان، وقد أذهب أحياناً إلى أحد المقالع وأجلب ضحكة كبيرة أسدّ بها الفراغ بيني وبينهم، أو أقف عليها فقط لأصبح مرئيا، أنا صامتٌ فذّ لا أجيد التنظير ولا الحذلقة، وفي هذا الصمت أستطيع أن أصغي إلى خُطَى النص الجديد الخافتة وهو يتسلل، وأن أتبين جهته وأشمَّ رائحة عرقه. عيونُ النص تضيء حتى في الظلام أو العتمة، لذاك أحفر صمتي أكثر وأجعله أعمق وأكمن له لأمسك برأسه.

ليس لي إلا النص أتنزّه فيه..!

- **في عزلة الشاعر إبراهيم الحسين وفي صمته. لا بدّ من استدعاء الآباء الشعريين وذلك التعالق الحيّ مع المبدعين والمبدعات..؟**

■ خلف هذا السياج الجميل المورق ليس لي إلا النص أتنزه فيه، وأجد هناك كل الذين أحبّهم، الأحياء والأموات، يدخّنون ويضحكون. بسام ودرويش.. وسركون هذا الذي اسمه وحده يستفزّني للكتابة.. اسم سركون وحده يجعل القلم يترك مكانه يجيء ويحكّ فَرْوَه بي. سيلفيا بلاث التي تتحدّث بفرح عن خلاصها، وفرجينيا وولف التي تبني صروحاً بحجارتها وتعلّمها السباحة في البحر، وساره كين التي تحضر كل مرة بحذاء جديد بأربطة تضفرها على هيئة ربطة عنق. كذلك الشاعر الصيني خاي زي أول مَن يحضر، وتجده يلعب بالقطار الذي أنهى حياته تحته! أما إيف بونفوا فدائماً ما يتأخّر، وأعذره؛ لأن دوف مسيطرةٌ

على قلبه ودائما ما تستبقه ليطلعها على مكانها وأين كانت تتفتح في حلمه، وبوول شاوول الذي كثيراً ما أصادفه خارجاً من كتابه «كشهر طويل من العشق». سعدي يوسف انقطع فترة، وعندما صادف وجاء بوردته الثلجية قلت له افتقدناك، فأجاب كنت أتسكع في قاف القيروان، وأنتظر إجابة عُقبة على سؤالي له: «عقبة أين الخيول؟ وأين نريد الوصول؟» كنت في سبابة الفتاة الفلسطينية التي مرّة قالت لي ونحن بين الصيادين في بيروت، من هنا تأتي طائرات العدو، وكانت سبابتها تمسح العالم كله، سعدي الذي كان حاضراً باسمه في مجموعتي الأولى. وأذكر أن أول من لفتني إلى سعدي هو الجميل فايز أبا، الذي قال عني ذات حديثٍ في جريدة عكاظ «سيكون له شأن إن نأى عن الضجيج الإعلامي، هؤلاء هم الأحبة.. هؤلاء هم الأخيار والآباء، حتى أراغون كان يحضر وليس على لسانه غير «مستقبل الإنسان الطير»، ومحمد الثبيتي يجيء بكفيه المملوءتين برمله المتورم «أدمتَ مِطال الرمل حتى تورّما». ولن أنسى في هذا الحشد أولئك العظام الروحانيين: النفري والتوحيدي وابن عربي والحلاج وغيرهم من المحروقين باللغة حدّ التفحم.. يعبرون ويومضون متعجلين، فهم مشغولون بمحبتهم، كيف تجاورهم وتحفظ لهم ولا تتصوّف. قل بالله كيف تكون في حضرة هؤلاء الذين ينتبهون إلى ارتجافك، فيدثرونك بعباءتهم مربّتين عليك ولا تكتب «الإشارات»، قل لي كيف يلقي عليك المطر قوله ولا تكتب توقيعاته، المطر متصوف أيضاً، إن مسّتْكَ لغته فابحث لك عن جبل يقرأ عليك، إن كنت لا تعلم، أو كيف يفلقك البرق بجماله ولا تصدَع. قل لي.. قل لي، هؤلاء المتصوفة عليك أن تضع الموت في حسبانك عندما تذهب إليهم تقعد قبالتهم رُكبك تمسُّ ركبهم أيها المريد.

كنزك الحيُّ الذي يزورك..!

- **وأنت ابن الأحساء.. فمن المعروف أن المكان له دور في تكوين الشاعر، ما أثر الأحساء بطبيعتها وخصوصيتها التاريخية والثقافية في تكوين الشاعر إبراهيم الحسين؟**

■ يخرج عليّ نص أحياناً أرى فيه ظلالاً حميمة، وأرى فيه سقوفاً واطئة، وجدراناً ليست غريبة علي، أقترب أكثر وأقف بين جُمَله محدقاً أزيح فاصلة أو أي علامة أخرى؛ ليتجلّى لي زقاقٌ بكامله بصراخ نوافذه وزعيق أبوابه وطلاء جدرانه الحائل، يحضر بألعابه وشجاراته فتتضح لي منابع ذاك النص وأدرك من أين قدِم، كما حدث في نص «فتاة دائرة التراب» المنشور في ملحق الثقافي بجريدة عكاظ (٢٣ فبراير ٢٠٢٤م).. الطفولة وتفتحك الأول هي ثروتك، هي كنزك الذي لن يستطيع أياً كان أن يسرقه

منك.. كنزك الحي الذي يزورك دون موعد، ويتفقّدك، ويضع وردته في دمك قبل أن يغادر، ليعيد إليك توازنك، وليقل لك أنا موجود وحيّ، فلا تدع الظنون تتلاعب بك، أيام تحوّلك، كأن هناك من دفعك من الخلف ليوقعك، فتدرك على نحو غامض أن هناك ما يحدث، أيام شرودك، الذي جعل منك فرداً مختلفاً الأمر الذي حدا بوالدتك أن تسميك «بو فَكرة»، الأمر الذي جعلك تخرج عن تحفظك وتتهور وتخط على جدار بيتكم في الحارة شيئاً من شغفك النيء، شيئاً من جنونك الأول، شيئاً جعل إمام المسجد يقف ويتأمل ويقرأ ما ارتكبته بصوتٍ ما أزال أسمعُهُ وأميّز نبرته.. المكان سلطة تبسط نفسها عليك وعلى أحلامك، فتجد نفسك تتدفّق وتجري به، حتى وإن حدث وأزيل، فإن حجارته تبقى فيك، كما حدث لسوق القيصرية ذي العبق التاريخي، والذي احترق ورأيت الدخان يتصاعد منه. ومن ذكرياتك به مع إخوتك ووالدك، هكذا بهذا السواد الموجع اقترفت نص «القيصرية» الوارد في كتابي الثالث «انزلاق كعوبهم»، فالمكان لا يسأل دليلاً ليصل إلى نصك، والأدهى أن نخلاته لا تمد جذورها في الأرض وحسب، بل فيك، وأنك تنظر أحياناً في المرآة.. فيختلط عليك الأمر، كأنك رأيت جذعاً وسعفات، كأنك سمعت اندفاع ماء، كذلك نصك.. فهو غير بعيد عن تجليات المكان وحضوره الصارخ فيه.

مدن تصافح هواءها..!

- **شاركت في أمسيات ومهرجانات شعرية محلياً وعربياً ودولياً ومنها.. في صيف عام ٢٠٠٥م، كانت لك مشاركة في مهرجان «لوديف» وفي عام ٢٠٠٦م، شاركت في أيام سعودية بجمهورية مصر العربية، وفي رابطة الأدباء بالكويت في صيف عام ٢٠٠٩م، وفي مهرجان المتنبي بسويسرا في ربيع ٢٠٠٧م، وأيضاً بفرنسا كانت لك مشاركتان في عامي ٢٠١١م-٢٠١٥م، في المهرجان السنوي الشعري «أصوات حية: من المتوسط إلى المتوسط» بمدينة سيت الفرنسية، فضلا عن مشاركاتك الشعرية المحلية في الأندية**

الأدبية وجمعيات الثقافة والفنون، هذا يدفعني لأسألك عن أهمية هذه المشاركات للشعر والشاعر؟

■ المهرجانات تعني المدن؛ مدن تصافح هواءها أوّل مرة أو تعيد عبّ الهواء أكثر وأكثر.. تعني إغناء العين والذاكرة.. تعني حياة نصّك في وسيطٍ مختلف ومع شعراء من كل اللغات.. ثم هذه المهرجانات تعني اللقاء بشعراء تحبّهم ويعنيك أن تلتقي بهم.. وليس تباهياً أن أقول أني التقيت بخزعل الماجدي صاحب «خزائيل» بسويسرا بمهرجان المتنبي الشعري العالمي، خزعل الذي أهديته نصاً في «حضرة خزعل» والذي نشرتُه في مجلة «كلمات» البحرينية دون أن تكون لي به أي صلة غير جَمال الشعر، وليتك تتصور فرحته بي عندما التقاني هناك.. أو ماذا تقول عن سركون بولص الذي التقيته بـ «لوديف» وكنا نسكن فندقاً واحدا، سركون الذي مجرد ذكر اسمه لي يحرّضني على الكتابة، وكيف انعقدت بيني وبينه آصرة الشعر، منذ خرجنا تلك الليلة من الفندق متوجهين إلى إحدى القراءات، وكان وقْعُ خطانا يهزج لنا ويشعرنا أن حدثاً غير عادي بالانتظار منذ تلك اللحظة التي قرأت له نصّه «أيّها الجلاد/ عُد إلى قريتِكَ الصغيرة/ لقد طردناكَ اليوم، وألغينا هذه الوظيفة». ليتك سمعت ضحكته أو رأيته كيف يصرخ: «لقد عـاااد»! وإني لأتساءل حتى اللحظة: كيف استطاعت خيمة الطوارق بلوديف أن تثبت في مكانها، كيف لم تطر في السماء، عندما قرأ سركون قصائده بها، لا أظن أن الأوتاد هي السبب، ولا تحديق سركون في البعيد موارباً عينيه كما لو أنه شُبِّه له قدومُ أحدٍ كان يتحينه، أنا رجّحتُ فيما بعد غير متأكد أن السبب هو بياض أسنان ابتسامة الطوارقية؛ المنفرجة ترحيباً بنا أنا وسركون وميسون صقر، تلك الابتسامة الساحرة هي من ربط على قلب الخيمة.. ثم لا أظنك تبقى كما أنت عندما تجاور عباس بيضون، وعبده وازن، أو نوري الجراح، عدة أيام في مدينة «سيت» وتقرأ معهم على طاولة واحدة.. أو تغنيان معا أنت والشاعر الإيراني كرّوص عبدالملكيان، صاحب

«السطور تغيّر أماكنها في الظلام»، فتتطاير من فميكما نجوم، أو تذهب بعيداً في شوط الشاعر المغربي عزيز أزغاي، صاحب «رصاص الموناليزا»، إلى أن يعلِّيك عالياً جداً حديثُ الشعر. هكذا تفعل المهرجانات، وهكذا تجعلك صالحاً غير عارف أنها تبذر فيك دون أن تدري طيلة وقتها، لتعود وتكتشف أن هناك حصاداً وفيراً وعليك أن تعتني به، مثلما حدث في صيف ٢٠٢٢م، بعد العودة من مهرجان الشعر العالمي بمدينة سيدي بوسعيد بتونس، فقد كتبت نصوص «مشقة الإياب»، والتي نُشر جزء منها في مجلة «الفيصل»، ثم نُشرت كاملةً في موقع «الكتابة» الإلكتروني، أنا لم أكن مصدقاً أن لدي هذه القدرة على الكتابة بهذه الغزارة؛ لم أكن مصدقا أنّ فيّ هذا الوترَ، والذي كان بحاجة فقط إلى أصابعَ المهرجان، وإلى وجوهه وإلى هوائه وبحره وأغانيه؛ ليرنَّ!

دَوّار الوردة..!

- **ما قصّتك مع الورد الذي كتبت عنه ديواناً كاملاً (دَوّار الوردة)، وما تزال تكتب وتكتب..؟**

■ أود أن أعتذر للوردة عن هذياني بها على مدى كتاب كامل «دَوّار الوردة»، فقد كانت متنفساً لما يعتمل فيَّ ويشتعل، استطاعت الوردة أن تصبر وتصطبر عليّ بكل جمالها، فالوردة رحبة وواسعة بشكل مطلق، تجلياتها بشكل يومي صقلتني، فضلاً عن طلاقة ألوانها وشساعتها التي تستطيع أن تركض فيها ما شئت حتى تستهلك لهاثك، حتى تشعر بالخفة، حتى تكتشف أن لك ريشاً ينسيك أنك معلّم ووكيل مدرسة فتختبئ منزوياً في أحد أركانها، بعيداً عن الطلاب وعن المعلمين، تقرأ وتكتب للوردة. الوردة منحتني سماوات عديدة، لم تضجر ولم تسأم. لا يستطيع أن يدرك جمال الوردة من لم يكتوِ بنارها. لا يستطيع أن يتعرف على روح الوردة إلا من كسرَت الوردةُ عزلته، رافقته ولازمته حين عرفت أنه أحد الذين أصابهم الشعر وصنعهم على عينه، فأنا الآن وأمامك أنحني للوردة التي جعلتني في مقام الجَذْبة أدور في حياضها وأرقص على إيقاعها، أَدُورُ وأدور وتتّسعُ روحي في اسمها، وتصير عيني بأبيضها وأسودها كلّها وردة.

كتبتها لأني كنت غارقاً في لوعتي..!

- **أنت من أوائل الذين كتبوا الشذرات في الساحة المحلية بـ «الإشارات» التي نُشِر قسم منها في مجلة «كلمات» (العدد ١٠/ ١١/ ١٩٨٩م) ثم نُشرت كاملة في مجلة «مواقف» (العدد المزدوج ٦١/ ٦٢). حدّثنا عن هذه التجربة؟**

■ كتبت الشذرات ابتداءً، كما وضّحتَ، بـ «الإشارات»، ثم «سلالم كثيرة، وهذا الوله عالٍ وأزرق» ثم توقيعات للمطر -نُشرت

في الملحق الثقافي لجريدة «الاتحاد» الإماراتية في نهاية التسعينيات- ثم توقيعات للبرق، وآخرها ما سميّتُه «نصوص المرآة». كتبتُ الشذرة ليس عن وعي بأني أكتبها، كتبتها لأني كنت غارقاً في لوعتي، كتبتها كما لو كنت أكتشف اللغة، كما لو كنت أهذي، كما لو كانت حُمّى الشعر قد أحالتني جمراً. الشذرات هي اللغة في أقصى حالاتها. هي عاصفة اللغة وزوابعها. هي اللغة عندما تُجنّ وتقتلعك وتبدّد عظامك وتجعلك شذرات. لا تتصور كم كانت مشقّة كتابة «الإشارات» كم هي منهكة، أنت تصب جام خبرتك باللغة، تشعر أن في داخلك جمراً عليك التخلص منه، لكنه يتوالد فيك ويَؤُجّ. لا أظنها صدفة اجتماع مواقف ومخاطبات النفري وإشارات أبي حيان، وجواهر ابن عربي، وطواسين الحلاج وسيرته؛ إنها تغسلك أثناء كتابتك ثم تصهرك لتحرّرك من جميع الزوائد. ليست مصادفة أن تصل بك الشذرات إلى جوهرك، وتجعلك تلمس أحجارك الكريمة التي تضيء حتى في العتمة. أذكر الآن رواية «الخلعاء» لـ خليل النعمي المطرّزة والمرصّعة في جزءٍ منها بأقوال وتوقيعات وشذرات ملأى بنبرة الخروج والتمرّد، أذكرها الآن؛ لأنها كانت أيضاً مع من ذكرتُ على الطاولة.. لا تتصور، وهذه ليست مبالغة، أني أثناء كتابة شذرات «سلالم كثيرة، وهذا الوله عالٍ وأزرق» كنت -حقيقة وليس مجازا- تائهاً وهائماً على وجهي، كنت متوحّدا بها، فالشذرات تُخرِج الأكثرَ نقاءً فيك وتطهّرك، وعندما تبدأ في كتابتها، فليس أنت من يختار شكلها أو هيئتها، هي تفرض نفسها عليك وتختار شكلها. الشذرات عنيفة وقاسية وقاتلة، وأظن أني لذلك أتحاشاها وأتجنّبها.

الأهم هو شرارة الكتابة..!

● **كيف تكتب قصيدتك، بمعنى هناك شعراء ومبدعون يلتزمون بطقس معين أثناء الكتابة، إبراهيم الحسين كيف يكتب قصيدته؟**

■ أنا ليس لي طقس لا أكتبُ إلّا فيه، أنا أكتب في أي وقت وفي أي مكان بعزلة وبدون عزلة وإنْ كان أغلب نصوصي أكتبها في البيت، أنا أكتب سواء كنت وحدي أو في جمْع، فالأهم هو شرارة الكتابة متى طفرت، فهي التي تأخذك أخذاً وتخطفك بلمعتها، هي التي تعزلك وتبني حولك سياجاً أو مشيمة وتوقد عليك، فقد تكون الشرارة مقطعاً من رواية أو مقطعاً من أغنية، أو محض موسيقى، أو مشهداً من فيلم أو في شارع، أو خَبَرا أو لوحة، فهي قادرة أن تفعل ما تشاء بك، وتجعلك تفور، وربما كانت الشرارة في وجوم محاسب في مجمّع تجاري، أو في لغة عربية مكسّرة لسبّاكٍ آسيوي اعترضَت طريقك ووقفت

أمامك بكامل حبرها، وربما كانت نادلاً في مقهى.. أذكر أني كنت آخذ كتبي وأوراقي إلى المقهى أقرأ وأكتب، كان أمراً ملفتاً ومستغرباً، منظرك وأنت تمرّ بين مقاعد وطاولات المقهى بكتبك، ولقد تناولت ذلك في أحد النصوص، فقد كنت «كمن يجرجر خرافا معاندة» تخيّل ذلك، المهم أن تكون أنت -عندما تأتي الشرارة تفتنك وتجذبك- خصباً لحظتها ومحروثاً جيدا؛ لتندلعَ بك تلك الشجرة.. لتهبَّ فيك تلك الغابة.

دعني في جنّةِ الشعر لا أريد أن أخرج منها..!

- **من الواضح توجُّه الكثير من الشعراء لكتابة الرواية والكتابة السردية في السنوات الأخيرة، هل فكّرت في كتابة رواية؟**

■ لا أفكر أبدا في كتابة الرواية، لأني لا أجد في نفسي القدرة على كتابتها. دعني في جنّةِ الشعر لا أريد أن أخرج منها. أنت لا تتخيل فرحتي عندما أكتب نصاً ويكون جميلا، أخرج إلى الشارع أسلِّم حتى على الحجر وأضحك له.. تريد أن تقول حتى للرصيف وتبشّره، لقد كتبتُ نصاً، تريد أن تصرخ وتشقّ ثوبك لأن وجِيبَ النص ما زال عالياً فيك.

تتواصل مع أناس تحبهم..!

- **التعامل مع الشبكة العنكبوتية أصبح شرطاً أساساً للمبدع، ومنها وسائل التواصل الاجتماعي. ما علاقتك بهذا الفضاء ومدى حضورك فيه؟**

■ كنتُ شديد الحرص على متابعة الفيسبوك، والكتابة هناك في صفحتي.. وأظنّ أن الأمر ليس أمر «لايكات» أو ما شابه. الموضوع أنك تتواصل مع أناس تحبّهم مثل صلاح فائق الذي التقيت به في مهرجان الشعر بفرنسا، كذلك تواصلت من خلال الفيسبوك مع عيسى مخلوف، ومحمد عمر بشارة -هذا الفنان التشكيلي الجميل- ولؤي حمزة عباس، وطالب عبدالعزيز، ومبارك وساط، هذا المجنون الذي لا تعرف كيف ترجم فينوس خوري غاتا، تلك الترجمة الرائعة، وأجبرك على حفظها لكي تشعر أنك امتلكت تلك النصوص وأنها ألقت عليك محبتها.. هؤلاء وآخرون، يعني التواصل معهم وقراءتهم ومطالعة أعمالهم؛ الثراء وإشعال نصّك.. كذلك ما تصادفه هناك في هذا الفضاء الذي اخترتُ منه نافذة الإبداع بألوانه العديدة؛ من موسيقى لـ «ياني» الذي أهديته نصاً، والثلاثي جبران الذين فُتنت بمعزوفاتهم.. كنت أستمع إليهم فيهيّجون اللغة لديّ، وأعزف معهم بها وأهديهم نصّاً كضرب من الامتنان لهم والتحية تلوّح بها لهم. والفن التشكيلي له نصيب من هذا الأفق الرائع؛ كيف تتخلّص من انفعالك بلوحات فريدا كالو إلى حدّ البكاء إلا بالكتابة.

إن نظرةً، مثلاً، على مجموعة «على حافة لوحة في المنعطف الموسيقي»، أو «المصابة بالناي المارة بين أخشابه» تبيّن كيف أني كنت غنيا بهذه الحدائق، وسيتضح معنى كثرة الإهداءات، كل ذلك من أجل أن تصرخ على الملأ، هؤلاء مرّوا فيّ، وأقاموا، وبنوا صروحا.. فترة الانهماك الفيسبوكي كانت أشبه بالجنون إن لم تكنه، لكنّ تهكير الصفحة -لم أسعَ لاستعادتها- قطعَ عليّ وأخرجني من ذاك النعيم، وربما ذلك الخروج كان في وجهٍ من وجوهه رأفةً بي؛ لأن اللغة أحيانا تستيقظ فيها غريزةُ الضواري وتفترس.

باهتمام وفرح بالغين..!

- **كيف تقيّم قراءة النقّاد، أو المبدعين والمبدعات شركاء الحرف، لتجربتك؟**

■ قراءة أعمالي الشعرية ونصوصي المفردة من قبل النقاد أو من قبل المبدعين أراها مهمة لي، وأقرأها باهتمام وفرحٍ بالغين.

أولا؛ لأن هناك مَن التفتَ إلى وجودك، وأشار إليك ووضعك في دائرة ضوء كشّافه، فكيف إذا كنت تخطو خطواتك الأولى؟ كيف أذا كنت للتو بدأت تلثغ، وتأتي قامة شاهقة مثل الأستاذ محمد العلي ويكتب عن نص «القهوة البتول» الذي نشر بمجلة اليمامة، أو يكتب عنك عدة مرات بجريدة اليوم منذ نصّ الـ «دندنة»، فأي قواعد سيرفعها لك؟! وماذا ستفعل تلك الأكفّ برنينها فيك. بماذا سيجهّزك فايز أبا وكيف سيشد ساعدك محمد الحرز أو نشمي مهنا.. وأيّ عيدٍ ستحدثه في ضلوعك ودمك وجلدك حروفُ هناء حجازي عندما كتبت عن مجموعتك «يخطئ الموتى» بجريدة الرياض، أو تأتي ليلى الأحيدب وتضع مقاطع من «دَوّار الوردة» أو من مجموعة» المصابة بالناي المارة بين أخشابه» على صفحتها بتويتر؛ ألا يفرحك ذلك ويجعلك تتحسّس عضدك، ألا يقول لك

ذلك صراحة، إن جنونك لم يذهب عبثا؟! ثم لماذا نذهب بعيدا، قل لي أيّ صخر يجعلك عبدالله السفر تقف عليه عندما يتحدّث عنك في برنامج إذاعي أو يكتب عنك، أو قبل ذلك بزمنٍ بعيد ينشر لك عبدالقادر الجنابي في مجلة «فراديس» أو أدونيس في مجلة «مواقف» وغيرهما.. ألا يجعلونك جميعاً ترى أن لك سقفاً عاليا، أليس هذا مديحا؟ والحديث يطول عن المديح الذي أنت بحاجة إليه أحياناً لتغسل وجهك وروحك من الإحساس باللاجدوى الذي ينتهكك أحيانا، لتعيد تنظيم صفوفك تُغير وتغزو.. تعيد بناء جرأتك وتحاول مجددا.. تجترح وتقترف الكتابة. كل ذلك كان أولاً، وثانيا وهذا مهم أعني النافذة المتوارية في كتابتي وفي نصوصي.. هناك مَن يكشف لك أشياء في نصك كانت غائبة عنك!

لي ساعة أخترع فيها مياهي..!

- **في نظري من المهم أن يتعرف القارئ بمحتوى مكتبتك، ليضيء له الخصوصية الثقافية لدى الشاعر إبراهيم الحسين..؟**

■ أنا مكتبتي، كل شارع يُهديني إسفلته كتاب، كل شجرة تفتح لي جذعها وتسميني غصناً بها كتاب، وكل ظل يرتجف بأوراقه ونسائمه ويرجّفني كتاب، كل لوحة تعبرني وتسرّح ألوانها فيّ كتاب، كل أغنية تولع فيّ وكل وجه يشعل ملامحه لي ويقذفني في أتون اللغة كتاب، كل حكاية تضيء أصابعي وتصيّر بياض عظامي مرئياً كتاب، وأنا مكتبتي التي تربيني وأربيها، تلبسني ثياباً جديدة وتمشط شعري كي أشرق، فما تقوله الصفحات التي آوتني لا أنكره؛ فلي ساعة أخترع فيها مياهي وأقول إني قرأت واغتسلت، ما تقوله عني الكلمات التي جرّحت جلدي أدغالها لا أفنّده، ما تشيعه الحروف التي سوت لي الأرض، وقالت: امش أيها النائح من رأسك حتى أخمص قدميك، لا أمحوه، لا أعالجه، بموارة أو إشاحة، ولا أموهه، بل أخطه على الجدران والأبواب، لا لِأقول إني مررت، ولا لأقول إني كتبت، بل لألهج مع الهواء الذي ألوذ به، كلما وجدت نفسي في اللغة تعينني وتقلني إلى الجهة التي أريد، وترفعني في أغنية أو نشيد! أنا مكتبتي ذات النار أدخلها كلما أردت التخلص مما ليس مني، وكلما أردت أن أنصهر وأستعيد وجهي! يحط الكتاب بين كفّيّ وعلى كتفي، يطير في روحي فيهدل وأهدل معه، ينحت ساعدي جناحان يعلماني الطيران مذ تكاثرت فيَّ الكتب وصار لها بي مدن وأزقّة، رفوف وضوء رائحة ولوعة، مذ صار صوتي حفيف صفحات، مذ صار اسمها اسمي..!

الانفعال الشعري مع الوجود وإدراكات الوعي في نصوص إبراهيم الحسين

■ كاظم الخليفة*

في لحظة تجلي وانبهار، عبّر الشاعر الأمريكي مارك ستراند عن طقوس تلقّيه لبعض قصائد الشعراء على أنها «أكلٌ للشعر» والتهامه؛ فهكذا ستكون مع إبراهيم الحسين أثناء قراءتك لنصوصه وتلقيها. فقصائده تستدعي جميع حواسك وتحشدها جميعها؛ لأن حاسة واحدة لا تقوى على التعاطي معها، ولأنك تستهلك شعره، ولا تشعر أنه مجرد تلقٍ جمالي يلامس مشاعرك للحظة ثم يغادرها.

يرسم المعنى..!

نصوصه تتجسد في معان قريبة محسوسة؛ حتى كأنها يمكن الربت عليها، وحتى مداعبتها أحياناً، لكنك لا تعتب عليها أو تجادلها. يُدخلك في مواضيعه عن اليومي المعاش ويستدرجك ليصعد بك إلى مستويات عالية من التأزم؛ كأشبه ما يكون «بمرجيحة» تنخفض عن مستوى تناولك، ثم تأخذك إلى ذروة العلو من نطاق دورتها، وسرعان ما تحط بك في أمان ثانية.

عندما تتفعل مشاعرك مع حزنه، فهو يعفيك من البكاء معه أو التعاطف مع لحظته تلك؛ وكأنه يرسم المعنى في دوائر لا تتقاطع؛ ذلك بتجريده مشاعر الفقد والإخفاق والخيبة؛ حتى ترى السامي والمثالي فيها وليس الشخصي. ينوع على فكرة الموضوع الشعري وينهكه على شكل نصوص متعاقبة؛ كشلال تتالى قطراته من شدة إصراره على أن هناك أوجهًا عديدة للمعنى لابد من إظهارها.

إبراهيم الحسين و كاظم الخليفة

ضربات فرشاة رسام حاذق..!

تحبه من خلال نصوصه، وتعجب من علاقته الحميمة مع اللغة، وكأنها جزءٌ من تكوينه؛ لتماهيه مع المفردات التي تحسبها وكأنها خلقٌ متفردٌ من صنيعه، أو أن اللغة خصته به لوحده.

يكشف طريقته في تعامله مع شقاء الحياة وأزماتها، كما في نصه «مصفاة»؛ فعليك لحظتها أن تمرر عينيك مسرعاً في جنبات النص؛ لأن المعنى يتشكل على شكل ضربات فرشاة رسام حاذق، أو كقطعة رخام بين يدي «نحات» يحجبها غبار طرقه على إزميله:

«لكي تنامَ، تلزمُكَ سكّينٌ
لكشطِ الكلماتِ التي أفزعتكَ
سحابةَ نهارِك..».

هذه هي الخطوة الأولى في معالجته لألفاظ وكلمات خرقت الأذن بجلجلة وأجراس، أفزعت الروح، وكأنها قبضة مارد يعتصر الفؤاد:

«الكلمات التي جعلتكَ تتشققُ؛
فيخرجُ أنينُكَ صافياً ونقياً».

هي طريقة مقترحة لهدهدة الحاسة السمعية وتخديرها. بعدها تتم معالجة قلق العين من مناظر أشقتها في اليوم الطويل:

«لكي تغفوَ، تلزمك مصفاةٌ لدمك
لتلقي بكسرات وجوهٍ
انطحنت تحت رحى قلقك».

عليك الإسراع أكثر هنا عند قراءتك لنصه، فجميع ما سبق ما هي إلا افتراضات ومقدمات إلى ما يمهد للوصول إليه. فبعدها، يدخلك الشاعر إلى اللحظة الحرجة من الوجود، ومنتهى شقاء الكينونة بتعاملها بكل جدية مع مشاكل الحياة لمواجهتها. هي ليست مجرد مصالحة مع الوجود؛ بل من خلال تفهمه لطبيعته التي تفرض على الوعي أن يبقى في منسوب حرارة عالية من الاحتراق حتى يرى الواقع على طبيعته وليس بحسب مشتهاه أو رغبة منه للاستكانة.

إبراهيم يرى ذلك، ويعد الشقاء ضريبة لعدم تغييب الوعي، فالإحساس بالوجود هو الحضور الكامل في هذا العالم من دون أي غفلة:

«لكي يأخذك النعاسُ
ينبغي أن تكون بلا وردٍ
ولا حدائق..»!
في نص ممر..!

الشاعر يُكمل المعنى في نصه التالي «ممر»، ويدلل على أن اختياره الصعب للعيش بكامل وعيه هو الصحيح رغم ما يمكن أن يواجهه من عقبات. ذلك هو قراره بارتحاله تجاه نور الحقيقة المحرقة، وأن دافعيته ذاتية محضة وقد انبثقت من وعي الذات بوجودها:

«لم أكن هارباً،
ولم يكن هناك
مَن يلاحقني،
عندما ركضت
في الممر المتوهج..».

فما يمكن أن يظفر به الإنسان سيكون أكبر من مشقته في مسعاه نحو النور، وهو المعنى الذي يمكن أن يحققه ويبينه الشعر؛ باعتبار أن الحقيقة الشعرية تتوازى مع مفهوم الاشتغال الفلسفي في الكشف عن حقيقة الوجود كما يرى هذا المعنى والتر ستيس. الشاعر هنا يقرر ذلك:

«ثمة نبعٌ
في اليد
لا يمكنُ
إنكاره..».

أخيراً، لنا القول إن نصوص إبراهيم الحسين الشعرية تتعالق مع الحياة بوعي، وإننا لا نتطرف بالرأي عندما نقول: إن الشاعر إبراهيم قد أرضى جمهور القصيدة النثرية، وأيضاً صالحها مع غير مريديها، واستدرجهم إلى قراءة شكلها الشعري!

---

* ناقد وكاتب سعودي.

إبراهيم الحسين.. المُوَقِّعُ بوميض البرق!

■ آدم فتحي*

ينتمي إبراهيم الحسين إلى عنقود الشعراء النادرين، الذين يعنيهم أن يكتبوا الشعر، ولا يعنيهم أن يثبتوا أنّهم شعراء! فالكتابة بالنسبة إليه، كالحياة.. استحقاقٌ لا يحتاج إلى إثبات؛ لذا، فهو يكتب ليتحاور مع العالم لا ليعلّمه؛ ليسأل لا ليبرهن؛ ليقاسم لا ليمتلك؛ لِيَجُودَ بنفسِهِ لا ليسيطر على أحد. الكتابةُ بالنسبة إليه كالحياة، صِلَةُ حُبٍّ، يتحرّر عن طريقها طرفاها: الشاعر الكاتب والشاعر القارئ!

الشعر.. مديحًا للغياب!

كتابةٌ تتوهّج بصوت خافت وإن كان شديد الوضوح. مؤانسة ضوئيّة في العتمة تتحدّث عن الحياة وعن الأحياء بأسًى مَرِحٍ وبسخرية عاشقة. أليس الغائبون أكثر قربًا من بعض الحضور؟ أليس أحياءُ اليومِ موتى الغدِ المُمكنين أو الكامنين؟ أليس الشعر مديحًا للغياب حتى حين يخطّئُ الموتى؟

«... يخطئ الموتى حين يقامرون بهذا الموت، لا يعتذرون من أريكة تهضبت أكثرَ، وتوتر نسيجها منذ النهار الأولِ لخطئهم الصارم، ولم يسقطْ لهم ظل، وحين تضاءلت روائحهم لم يدعموها بجسد أو حتى قطعة منه.

يخطئون ولا يفكرونَ بالتراجعِ عن فداحتهم، يخطئون ويصرون على ثيابهم التي خلت منهم، تعرف ذلك من تشظيهم في صوتك ومن شجرتهم السوداء نبتت فجأة في دمك لا تعرف من غافلك وغرسها...»

(من قصيدة الموتى يُخطئون).

الشعر أفقٌ وراء الأفق..!

يكتبُ الكثيرون دفاعًا عن مواقعهم وعن شرعيّة شعريّتهم. أمّا هو فيترك للكتابة أن تدافع عن نفسها. ذاك دأبه منذ سنوات. ما إن يرتفع صخب البيع والشراء حتى يعتزل السوق. منذ سنوات وهو يكتب بلحمه وحلمه. يضمّد الكلمات ويقرأ الكُلوم. يصالحُ بين شروط الالتزام وشروط الشعر. يحاورُ قيم الإنسانيّة حيثما أمكنه صوغها جماليًّا، تاركًا الزحمة الشعرية تختصم في أيّها أجمل أو أحدث: بيت

الشعر أم تفعيلته أم قصيدة نثره؟ مرفرفًا خارج المعارك الزائدة التي تنتجها نهايات الحروب، بعد أن أدرك أنّ الشعر أفقٌ وراء الأفق، أعمق من النثر وأوسع من البيت وأرحب من القصيدة.

يُفكّر بحساب ويتداعى بآخر..!

أدرك إبراهيم الحسين مُبكّرًا أنّ «عموديّة» القصيدة ليست حكرًا على البيت أو الشطرين، بل هي مرَضٌ يصيبُ كُلَّ من يَزجُّ بالكتابةَ في مربّع النظم الخالص. مرَضٌ يطال كُلَّ ما يُكتب نثرًا أو تفعيلةً أو على طريقة الشطرين، حين يصبح نسجًا على منوال مسبق، يتساوى في ذلك منوال الخليل بن أحمد ومنوال سوزان برنار!

تحرّرت القصيدةُ عندهُ هو وأمثالُهُ من المناويل جميعها. شُفيَت نهائيًا من عمودها والتحقت بكتابة «وِحْدَة» شعريّة تبتكر نفسها في كلّ مرّة وتُسمّى قصيدةً على سبيل الكناية. ليس لها موقف مسبق من طولٍ أو قِصَرٍ أو كثافة أو إيجاز. كتابة متجذّرة في حاضرها منفتحة على المستقبل، تعرف كيف تستفيد من ماضيها، دون إحساس بأي نوع من اليُتْمِ النوستالجيّ تجاهَ عمود جديد.

القصيدة بالنسبة إليه بناء بالهدم يُفكّر بحساب ويتداعى بآخر. إنّها شبيهة بكرة النار المندفعة من فوهة البركان. لا تَزعمُ بطولةً لكنّها لا تروغُ من معركة. لا تدّعي رسالةً لكنّها لا تهرب من معنى. تصنع لغتها بإيقاعها الصائت وبالصمت. تعيد إنتاج نفسها مع كلّ تأويل. تنفذ إلى عمق الواقعيّ بقوّة الخيال. تصنع الأبديّ من اليوميّ العابر. تتيح لقارئها أن يشارك في ابتكار معناها. يقول الشاعر في «توقيعات للبرق» كأنّه يتحدّث عن القصيدة:

«... كتابُ البرقِ بلا صفحات.
على لهبِ قلبكَ أن يكون بنفسجيًّا؛
لتقرأه عليك، أن تضيء بشدّة، وتلمعَ..
وعلى الشّرر أن يتطاير منك؛ لتدرك معناه...»!

إلقاء نفسه في المجهول كي يطير..!

يظنّ شعراء كثيرون أنّ عليهم أن «يأخذوا اللغة بقوّة»، إذا أرادوا بلوغ الشعر. أمّا هو فإنّه يترك «القوّة» لهُواة السيطرة ويأخُذُ اللغةَ بِحُبّ. وحدَهُ الحبُّ يتيحُ للغة أن تكون ولّادة، وللشعر أن يلد نفسه في كلّ نصّ. كلّ نصّ يولد على مثل هذه الأرضيّة هو تجرُّؤ الشعرِ على إلقاء نفسه في المجهول كي يطير، أي كي يكون.

هل يعرفُ الطائرُ شعرًا كان عصفورًا أين يكمن سرُّ القدرة على الطيران؟ في عظام الأجنحة أم في زغب الريش أم في فضاء المجهول نفسه؟ اللغة ليست مسألةً مُعجَميّة بالنسبة إلى الشاعر. اللغة مسألةُ كينونة.

نصوصه شبيهة بأعمال أوركسترالية..!

وهو إلى ذلك كلّه متعدّد الأبعاد: يروّض الشيء بنقيضه، يستغرق في أناه كي ينتبه إلى آخَرِه، يوغل في ذاته كي ينخرط في الشأن العامّ، يلتقط الروائح والأصوات، يلمس جوهر العناصر والأشياء، يتجاوب مع الأحاسيس أوجاعًا ومسرّات.

إنّه فنّانٌ تشكيليّ يكتب بالشطب، نحّاتٌ يعمل بالكولاج، مسرحيٌّ يسهر على تأطير المشهد، سينمائيٌّ يُمَنْتِجُ النصَّ، فيما يطلَعُ موسيقيٌّ من بين أصابعه كي يُحكِمَ الميكساج.

لذلك، تبدو نصوصه شبيهة بأعمال

أوركسترالية متمنّعة بعض الشيء. تخالها إذا تسرّعتَ «سمفونيّات متعالية»؛ لكنّك، ما إن تمعن النظر حتى تكتشف أنّها قريبة منك، مثل حكاية شعبيّة يقيم فيها الجميع تلك الإقامة الشعريّة العزيزة على هولدرلين؛ مثل أغنية شعبيّة، تفتح صدرها لما لا يحصى من الشخوص والشخصيّات التي تتألّف منها طبقات الكون، وشيئًا فشيئًا إذًا هي أقدام يرقص بها الجميع، وشفاه يتكلُم بها الجميع:

«... النازفون من أمل، الخائفون لأنهم رأوا أعمارَهم تبقّعُ قمصانَهم؛ فهربوا من سطوةِ الحروف، واختبأوا تحت نسيجِ ذهولهم؛ اللائبون في الأسى يقرأون سطور وحشتهم في ضبابِه، يُهَدهِدُهُم النّدمُ كي لا يوقظَ بعويله أوهامَهم المَريرة؛ الغائبون في الغيم؛ النائحون في السر؛ الخارجون على ثيابِهم يَعْرَوْن في اللغةِ وفي الصمتِ؛ جلودُهم واضحةٌ يودُّ أحدهم لو أن لبساتين ذراعيه شساعة أحلامه.. السائلون في الندى؛ الضّالون في قاعِ الأغاني؛ الصّاعدون في النشيد؛ الغارقون في حنطةِ أيديهِم، لا ننساهم فَيَجِفُّون، ولا نتذكّرهم فتتبرعم وجوهُهم وتتدلّى على امتداد الروح...»

(من «طويلة هي ابتسامتك»).

السمة الغالبة على سحنته وعلى نصوصه..!

يكتب إبراهيم الحسين بعيدًا عن «الأغراض»، لكنّ «غرضه» الحقيقيّ هو الحياة؛ حياة تقود الجميع إلى حتميّتها، تورث الشعراء نوعًا من الشجن البهيج، ومسحة من الحزن يغالبها الشاعر بشيء من السخرية الحييّة؛ ظلّ ابتسامة تفترّ عنها عينُ ذاك الذي ذهَبَ إلى آخر الشوط، وعرف ألاّ شيء هناك غير النهاية؛ لكنّه، معنيٌّ بالتقدّم من

الشاعر آدم فتحي

تلك النهاية برأس مرفوع. تلك هي السمة الغالبة على سحنته وعلى نصوصه؛ إنّها هشاشة الشعراء البتّارة.

يقول من «توقيعات للبرق»، كأنّه يخاطب الشاعر:

«... أنت البرق

حَصَدَ الضّوءُ كلَّ كلماتِكَ وتَرَكَكَ بِلا فَمٍ».

إنّه يُشهِر هشاشتَهُ على العالم من خلف ظلِّ ابتسامة شفافة كقطرة الطلّ، قاطعة كَحدِّ الشفرة، هشّة كجناحِ الفراشة. يكتبُ بنفسه كلّها، بكلّ ما يلمّ به من فُيوضات تنبع منه وتفيض عليه.

لذلك، تجده يخرج من كلّ نصّ مختلفًا عمّا كان لحظة دخوله، مرتعدًا مرتجفًا كما كان، إلاّ إنّه يقطر بكلّ ما انغمس فيه من ألم وأمل ومسرّات وأوجاع. هكذا، يطلع من «مخاضاته»، شذرات تنسى نفسها لتؤلّف بين شظايا العالم؛ تخنقه العبرة حين يقرأ «دفقاته» فلا نعرف هل هو يبكي من فرح أم من وجع. وكيف لا تومض دمعة الشاعر الذي يُوَقّعُ بوميض البرق.

* ناقد وشاعر تونسي.

هل يخطئ الموتى؟

«إلى الصديق الشاعر إبراهيم الحسين صدى لكتابه»

■ عبدالوهاب أبو زيد*

يخطئ الموتى!
هل يخطئُ الموتى؟ أجل ولربما
بحثوا فلم يجدوا لسانًا أو فما
حرقوا مراكبهم، ولم يجدوا لهم
منجىً يعيدهمُ لما كانوا وما/
تركوا وراءهمُ دليلًا واحدًا
عمّا وراء الموتِ ساعة خيّما
لما سألنا: ما وراءك؟ ما الذي
تخفيه يا بابًا خفيًا مبهما
كلماتنا ارتبكت أمامك وارتمتْ
فوق الشفاهِ كأنَّ طفلًا تمتما
يا موتُ يا صنوَ الحياةِ تحطمتْ
كالموجِ فوقك: غب قليلًا ريثما/
نحيا مع من لا نطيقُ فراقهم
أبدًا، ولا تذهب بهم نحو السما
دعهم على هذا الترابِ، ولا تكن
متعجلًا متململًا متجهما
دعنا معًا نحيا! الحياةُ جميلةٌ
ما ضرَّ لو كنتَ ادعيتَ بها العمى؟
ذق مرةً طعمَ الهزيمةِ وانسحبْ
منها، فإن النصرَ في أن تهزما

هل يخطئ الموتى؟ الخطيئةُ أنهم
صعدوا وما تركوا إليهم سُلّما
يا أيها الموتى استقيلوا مرةً
من موتكم! لا تتركونا مثلما/
تُركت بباقتها الزهورُ فصوّحتْ
وذوت غداةَ الفقدُ صار محتّما
عودوا إلينا في المنامِ وصححوا
أخطاءكم، فالحلمُ يعطيكم فماً
لا تحرمونا من حديثٍ عابرٍ
نقضي به وطرًا ونحيي أعظما
ظلتْ هنالك في الترابِ رهينةً
بحثتْ وما وجدتْ لسانًا أو فماً

* شاعر ومترجم سعودي.

إبراهيم الحسين.. صداقةٌ وقصّةُ كتابٍ ناقص

■ عبدالله السفر*

في شتاء ١٩٧٦، كنت أدرس بالصف الأول بثانوية الملك خالد في الهفوف، المستحدثة توّاً في منزل مستأجر. جمعَتْ إدارة المدرسة الطلاب القادمين من القرى في فصل واحد «أول سابع»، وأضافَتْ إليهم آخرين من المدينة نفسها؛ وخلال العام انضمّ إلينا طالب كان يدرس في «أول خامس». لم أكن أعرف اسمه. لكنه كان مميّزاً بمعطفه الذي لا يتخلّى عنه (كأنه مولود به)؛ وبتعرّضه لتعنيفٍ شبه دائم من مدرّس الرياضة لأنه يتأخّر عن دخول فصله بعد الفسحة.

شاعر وملحن ومغني..!

هذا الطالب هو إبراهيم الحسين، الذي منذ تعرّفتُ عليه في ذلك العام، واكتشاف محبّتنا وتعلّقنا بالأدب، حتى أصبحنا صديقين على مقعد الدراسة وفي نهر الحياة.

جمعتنا الدراسةُ الثانوية في الأحساء، والدراسة في الكلية المتوسطة بالدمام.. وكلية المعلمين في الأحساء (١٩٨٩ - ١٩٩٢)، ومهنةُ التدريس التي برع فيها إبراهيم مبكّراً، فقد كنتُ أفزع إليه في المواد العلمية، التي هربتُ منها إلى القسم الأدبي في الثانوية، إبّان دراستنا في كلية المعلمين بخاصة في مقرّر التفاضل والتكامل الذي لم أكن لأتخطّاه بالتقدير الذي أريد إلا بفضل «فزعة الحسين». و«فزعاته التعليمية» لا عِداد لها.

ذات عام دراسي أُسنِد إليّ تدريس الصف الخامس والثالث الابتدائيين. واحترتُ في مادة النشيد التي ينبغي أن تُقدّم للطلاب بصيغة غنائية خفيفة. أخذتُ كتابَي «القراءة والمحفوظات» وذهبتُ إلى إبراهيم في منزله في الهفوف ومعي «شريط كاسيت»، وطلبتُ

منه أن يتدبَّر تلك الأناشيد بطريقته الماهرة في التلحين، والأداء (لا يتقن إبراهيم حفظ الشعر وحسب، بل الأغاني لها نصيبٌ هائل عنده حفظاً وأداءً).. بعد أيام زارني منقذي في القرية، ووفيتُ له بـ «شرط العشاء»، فيما المسجّل يصدح بالصوت الإبراهيمي الرخيم: «في كل ما رآه.. في هذه الحياة».. «لا تخافي لا تخافي.. نحنُ أبطال المطافي».. «طائرٌ يهوى القفاراااا.. باحثٌ إن هو طاراااا»..!

همٌّ مشترك..!

وعندما أردتُ نشر أوّل كتابٍ لي «يفتح النافذة ويرحل». دفعتُ إليه بنصوص المخطوطة ليعيد كتابتها كلّها بخطّ يده. خطُّهُ أجمل من خطي بدرجات وأوضح بما لا يُقاس. أقول أجمل مجازاً لأن خطي لا علاقة له بالجمال؛ فهو مقروء، وحسب!

وقد سبقنا إبراهيم إلى النشر (أقصد أحمد الملا وأنا) بـ«خرجتُ من الأرض الضيقة» الذي ظهر ضمن سلسلة كتاب «كلمات» (أسرة الأدباء والكتاب، البحرين ١٩٩٢) بغلاف للفنانة منيرة موصلي رحمها الله. ولم يكن الكتاب مطابقاً للمخطوطة الأولية لا في العنوان ولا النصوص. فقد كان العنوان طويلاً.. تسع كلمات، فاقترَحَ اختصاره إلى جملةٍ أقصر؛ أما النصوص فقد اختُزِل نحو نصفها بما يوازي ثلاثاً وخمسين صفحة.. وهي نصوص «إشارات» المكتوبة في العام ١٩٨٨م والمنشورة في مجلة مواقف، العدد المزدوج ٦٢/٦١ (في العدد ذاته كان للصديق هاشم جحدلي: «دمُ البيّنات») وبعضها أيضاً منشور ١٦ إشارة في جريدة اللواء اللبنانية في عدد الجمعة ١٣ نيسان ١٩٩٠ (الصفحة وصلتني من آرشيف الصديق قاسم حدّاد).

الحذر من ساطور يبتر النصوص..!

وقصة رفْعِ الـ «إشارات» من الكتاب تعود إلى أنّ المخطوطة وُزّعت على مجموعة من الأصدقاء. توجّسَ صديقٌ من نشرها ضمن الكتاب، ورأى فيها ما يمثّل استنفاراً لتيّار الصحوة ضد الشاعر؛ التيّار الآخذ في الاشتداد بعد حرب الخليج الثانية، وله سطوةٌ قاهرة تسلّلَت إلى المؤسسة، فيقيم محاكم التفتيش للنصوص والأشخاص ويبحث خلف السطور بساطور يبتر أدبيّتها ويلحقها بمنظوره الأيديولجي الذي يقسمّ الناس إلى أبيض وأسود. ولا يملك مقداراً من التسامح مع نصوصٍ كالإشارات التي تنضح بنَفَسٍ من التمرّد ومن الخروج ومن الاتّكاء على النصوص الروحانية في تضمينٍ هو اختطافٌ وقلبٌ للدلالة ينبغي أن تُفهَم في سياقٍ أدبي لا في السياق الأصلي الذي جرت فيه. وقد كان ذلك الصديق محقّاً في رأيه آنذاك، وتوجّسه في محلّه تماماً.. فحتى بعد رفْعِ تلك الإشارات من الكتاب، جرى الاطّلاع عليها عبر خطوط التسلّل التي تحدّثت عنها. وهذه قصة أخرى ليس وقت الحديث عنها الآن.

---

* ناقد وشاعر سعودي.

بَرْقةُ المصافحة الأولى

■ أحمد الجميد*

كان ديوانه "رغوة تباغت ريش الأوراق" الصادر عن أدبي الجوف عام ٢٠١١م هو بمثابة المُصافَحة الأولى التي تعرفتُ من خلالها بالشاعر إبراهيم الحسين، ولم تكن الأخيرة طبعًا، فقد كان لي نصيب من قراءة عددٍ من أعماله المنشورة في المجلات المحليَّة والعربيَّة، إضافة أيضًا إلى قراءتي مؤخرًا لبعض دواوينه الشعريَّة الأخرى، تحديدًا ديوان "يسقط الآباء حجرًا حجرًا"، وديوان "يخطئ الموتى"، اللذين كانا ملاذًا خدرًا يُمثِّل باستمرارٍ كلَّ مُفْتِنٍ أدركته عينٌ في مَرَّتهِ الأولى.

حقاً، من الصعوبة بمكانٍ الإطلالة البانوراميَّة على الشاعر إبراهيم الحسين، خاصةً حين تجد نفسكَ أمام مساحةٍ محدودةٍ، وإيجازٍ دافعه خشية الإخلال أو الإملال. لكنْ على الرغم من ذلك، ووفق شروط علاقتي بالشاعر التي انحصرتْ في نصوصه لا غير؛ إلا إنني أحاول هنا، تبعًا لانطباعاتٍ ما تزال معلقة، استنطاق الجمال الذي منحني إيَّاه الشاعر طوال فترةِ المواعدةِ التي كانت تحدث بيني وبين أبجديته.

لا يمكن لي وأنا أقرأ إبراهيم الحسين إلا أن أشعر أنني في حضرة إضاءة موجّهة، وبينما أجلس قارئًا خلف كواليس النَّصِّ، أتساءل: من أين يأتي بالحياة لقصائده؟! مع ذلك فإنني لا أتوقف عن القراءة، رغم التساؤل المُلِحّ، ماضيًا في متابعة الشاعر وقد دبَّر عناصر قصيدته، وصرَّف معانيها، وأنعم عليها بالدهشة والفرادة، وما إن تظهر أمامي فجأة نهاية القصيدة أو النَّص حتى أكتشف للتوّ، وأخيرًا

-إجابةً عن تساؤلي- أن الشاعر وبأبعاده كلها يمتلك القدرة على بعثِ الروح في هذا الكائنِ اللغويِّ المدعو قصيدة؛ فقط لمجرد مسِّه لا أكثر، ولمجرد أن ينفخ بها منه، وبهذا الجواب القاطع الذي أوحتْ به نصوصه لي؛ فإن السؤال لا يُحجم عن مواصلة التحامه بامتداد قراءتي للشاعر.

القصائد كائناتٌ اقترف خلقها الشعراء، وهذا ما يفعله تمامًا الشاعر إبراهيم الحسين، الذي لا يَنِي يسقي الأبجدية سحرًا مباركًا، فتقرأ له كما لو أنك في عوالمَ لغويَّة موازيةٍ ومتناهيةٍ من الدلالات القابلة مع كلِّ قراءة أن تخصب من جديد؛ الأمر الذي معه تكون نهاية مطاف قراءتكَ مسألة مؤجلة، ولن تُتاح لك قبل أن يقتادكَ الشاعر بكلِّ وعيٍّ وخلاصٍ نحو شرفاتٍ تضمُّ ما لا تراهُ حين كنت تنظر إليه؛ حيث الحب والموت، والقلق والروح، والأب والقهوة، والرحيل، وجميع ما أتى به إبراهيم الحسين، إنما على النحو الذي فيه ينتهي بنا على الدوامِ إلى رؤية الأصوات والإصغاء إلى الصور.

ما أزالُ أقرأ الشاعر بطريقتي التي يختارها لي نصُّه. أقرأ حاظ بسعةٍ محصورةٍ بجميع النواحي. أقرأ مسكونًا بانبعاث طاقةٍ تصويريَّةٍ للشاعر تتسلُّ على إثرها برفقٍ منابتُ الرتابةِ من أرضيَّة الرجحان، ناهيك عمَّا تبلغه تلك الطاقةُ من مقامِ ومضةٍ خالصةٍ يُعاد عبرها شكل الترتيب إلى مادته الأولى الفوضويَّة. آنذاك فقط، ما أبرحُ أن أُلفي نفسي أمام هشيمٍ من اليقينيَّات المحميَّة سابقًا بما يشبه السباتِ الشتويِّ، موليًا كثافة الجملة نظرة ساكنة، مشدوهًا بالمعنى المتوهج، وسابحًا بلغةٍ وحالةٍ وأنموذجٍ لا يمكن لغير نثر إبراهيم الحسين أن يكونه.

تتقاسم عادةً نصوص الشاعر خاصيَّةَ كونها حيويَّة بالقدر الكافي الذي يبقيها مرارًا لازجةً في مسامات الذات! ناقعةً تحت الجلد تفرز ما يُديمها متداولة في الوجدان، ملتصقةً بأعشاب الروح مثل قطرة نورانيَّة، وحين لا محالةٍ تتموضع هناك، حيث محصّلة ما أنت عليه، فإنها لا تمكثُ دون ثلمةٍ تتركها التساؤلات.

إبراهيم الحسين شاعرٌ فذٌّ وفريدٌ إلى حدٍّ لا يتوقف عنده. لغته مخضوبةٌ بأصباغ الحياة. قلقه الشعريّ يطال مَواطِنَ غير مأهولةٍ بسواه. رؤيته الثقافيَّة المتعددة للآفاق والزوايا والطبقاتِ جليَّة في نثاره، وبالتالي فإن لديه تجربةً شعريَّةً غنيةً لدرجةِ أنه بالإمكان قراءته من كافةِ الجهات، ومختلفِ التوجهاتِ.

في نهاية القول، وبعد استثناء كلِّ شيءٍ، ما أزالُ أشعر بأن التقاء عينيَّ بكلمات الشاعر يُطْلَى في كلِّ مرّة بذات لون البَرْقةِ التي صاحبت تلك المصافحة الأولى.

---

* كاتب سعودي.

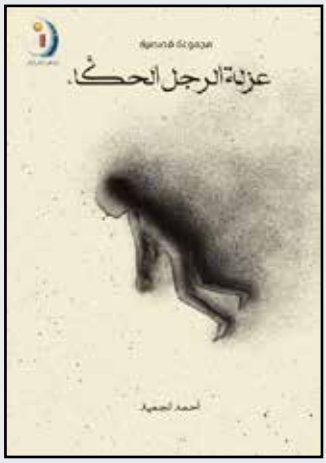

عُزلَةُ الرجل الحكَّاء

«مجموعة قصصية»

المؤلف : أحمد خلف الجميد.

الناشر : النادي الأدبي بالجوف.

▪ أحمد العودة - أمين المكتبة

في يوم جمعة معتاد، استيقظت من غفوتي بعد الصلاة على نغمة رسائل غير معهودة، فإذا بي أجد رقم هاتفي النقال مودعاً مع أرقام أخرى، وبجانبه كلمة (أضافك) لا غير، هذه الكلمة، على أنني ضُممت إلى المجموعة الجديدة بالأصدقاء الذين انشقوا عن مجموعة سابقة خاصة بالأصدقاء أيضاً، في عملية تصفية مستمرة، تدار من خلال نقرات الأصابع على شاشة الهاتف.

بهذه الإيقاعات السردية المفعلة بنغمات حوارية هادفة، استهل الكاتب والقاص «أحمد الجميد»، مجريات مجموعته القصصية القصيرة، التي صدرت حديثاً عن نادي الجوف الأدبي، بعنوان «عزلة الرجل الحكاء» تضمنت خمسة عشر نصاً قصصيا، راوحت أحجامها ما بين المتوسط الطول والقصير نوعاً ما، تتعلق مجرياتها الأحداثية والحوارية، بالحياة اليومية وخلفياتها الاجتماعية والمعاشية، وتقلباتها الأحداثية المنوعة، وتطرق معظمها إلى مسألة التطورات والنقلات النوعية الأخيرة التي عصفت بدنيا التواصل الاجتماعي الحديث، وخلفياته التي لا تنتهي؛ كما نجدها بجلاء عبر قصة «حجة الغياب» التي استهلها بالقول: «على عكس الأخرين الذين يحتاجون منبه الهاتف لإيقاظهم من نومهم، كان عبدالله مستيقظا بلا منبه، وعيناه تحدقان إلى السقف الذي لأول مرة يشعر

أنه منخفض عن العادة.

أغلق عينيه قليلاً بينما كانت كلمة التغيير تتردد في ذهنه، قبل أن ينقلب في السرير وينظر إلى ساعة الحائط التي بدت له أنها تراقبه».

ويستمر الكاتب على هذه الوتيرة الإبداعية نفسها، التي وردت في نصوص مجموعته القصصية، إلى أن يختمها، بأقصوصته الحوارية الأخيرة التي أوردها، بعنوان «العائدة من جديد» التي استهلها بالقول:

«الساعة ٢:٣٠م، دفع جابر كرسي أخيه المتحرك نحو مدخل الشارع الواسع (البوليفار)، من أجل مشاركة الآخرين الاحتفال باليوم الوطني السعودي الثاني والتسعين، كان كل شيء من حولهما مثيراً للاستغراب في نفس جابر، إضافة إلى القلق الذي يراوده كلما رأى ما لم يعتد على رؤيته سابقاً، وهذا ما دفعه للقول لأخيه بكل تلقائية عندما مر بالقرب من حفلة غنائية يحضرها جمهور عريض:

- انظر جابر.. حفلة! لنبتعد قبل أن يهاجمنا أحد المتشددين. ضحك جابر برفق من قول أخيه وقال بحنو:

- لا عليك نحن في أمان الآن.

ثم راح جابر يدفع كرسي أخيه المتحرك متجولاً بين المرافق الأخرى، فإذا بهما يصلان إلى المكان المخصص للسينما المكتظة بالمبتهجين، وبما أن جابر يعرف أن أخاه يحب مشاهدة الأفلام، فقد مال عليه قليلا، وقال له:

هل ترغب في المشاهدة حقيقة؟

ارتبك الأخ قليلاً، وجالت في رأسة ذكرى ضبابية عن تحول فيديو سينمائي محفوظ في هاتفه النقال إلى تهمة له من قبل رجال متشددين، على إثر ذلك شاح بوجهه عن السينما، وقال وهو مستغرب مما يراه:

- لا، لا، أرجوك لنبتعد فقط..».

ثم يختم الكاتب مجموعته بهذه المقطوعة التي أوردها على الصفحة الأخيرة من غلاف الكتاب، جاء فيها:

«لم يغير ملابسه من أجل اللقاء، لأنه على موعد مع أشخاص كان يظهر أمامهم بكل أريحية، ويتبادل اللبس معهم بكل أريحية، ويتبادل اللبس معهم قبل سنوات طويلة مضت، فقد قرر الذهاب بملابس البيت، أقلها من أجل المحافظة على شيء من مضمون الماضي ما دام الشكل قد تغير خارج الإرادة، وقبل أن يخرج من مسكنه، تفقد موقع اللقاء على الخريطة في هاتفه المحمول مستعينا بذاكرته فقط».

أخيراً، يجدر بنا أن نذكر أن للكاتب «أحمد خلف عايد الجميد»، العديد من القصص والمقالات الأدبية المنوعة نشرها عبر العديد من المجلات العربية.. الورقية منها، والإلكترونية.

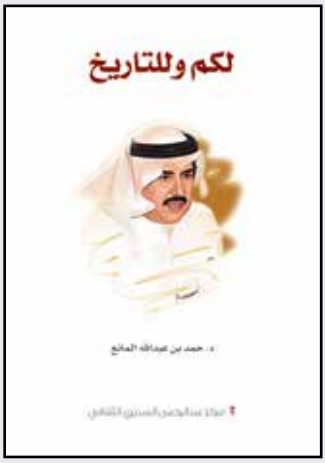

لكم وللتاريخ

المؤلف : د. حمد بن عبدالله المانع.
الناشر : مركز عبدالرحمن السديري الثقافي.
السنة : ٢٠٢٣م.

▪ غازي خيران الملحم

يعد كتاب: «لكم وللتاريخ»، لمؤلفه الدكتور: حمد بن عبدالله المانع -الصادر عن مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ضمن برنامج النشر بالمركز- إضمامة منوعة من لمحات سيرة ذاتية ومهنية بامتياز، يجد فيها القارئ معلومات ووقائع وأفكارًا ومواقف، تتعلق بالقطاع الصحي في المملكة العربية السعودية، من خلال فترة ست سنوات قضاها المؤلف في خدمة بلاده وزيرًا للصحة، وبيان طريقة مساعيه الموفقة في المجال الطبي، وبذل الجهد بكل ما أوتي من إمكانات علمية وبحثية وبُعد نظر، في تطوير المرافق الصحية الحيوية، والنهوض بها.

يتألف الكتاب من عدة عناوين وفقرات، استهله المؤلف بتوجيه الشكر للوطن وقائده، وبمقدمة جاء فيها:

«فما كنت أتوقع أن أجلس يومًا لكتابة سيرتي أو تسطير جزء منها، ذلك إن الحديث عن النفس فيه مشقة بالغة، خاصة وأن الإنسان مهما كان منصفًا فهو في النهاية يرى بعينيه فقط.

وقد استخرت الله بعد أن ألحّ عليَّ بعض الزملاء للكتابة عن الفترة التي قضيتها وزيرًا للصحة، ومضيت أخط هذه الكلمات تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على

أنفسكم﴾ (النساء: ١٣٥).

يقع الكتاب في ٢١٧ صفحة من القطع المتوسط، توزعت على جملة من العناوين، إضافة لملحق لمجموعة من الصور التقطت للكاتب أثناء نشاطاته المتعددة، التي كان يؤديها خلال مسيرته الإنسانية تلك.

ومن أولى فقرات الكتاب هذه اللمحات التي منها:

عدالة السماء

إن شر الرواة أولئك الذين يكذبون على شخصيات عامة، فهم يطعنون في صحة الاختيار أولًا، ويغيرون الحقيقة ثانيًا.

وقد خرجت من هذه التجربة بدرس فحواه: «إن خفافيش الظلام ليسوا مجرمين وقتلة فقط، بل فيهم مَن يظهر للناس بوجه جميل أو بصوت حانٍ عبر صحيفة أو قناة أو إذاعة، فقد تعددت الخفافيش ولكن الظلام واحد».

لكن، في بلادنا الكثير من الشرفاء والمخلصين والمنصفين، الذين لديهم من الوعي والمعرفة ما يجعلهم قادرين على قراءة التاريخ، وسبر الواقع، واستكشاف ما بين السطور، وتمييز الغثِّ من السمين، ومعرفة الفرق بين الدرِّ والثمين، وبمثل هؤلاء يمتلك مجتمعنا أسباب المناعة، دون استيلاء الأمراض والمرض عليه، وإصابة خلاياه الحيوية أو تعطيلها، وسيدور الزمن دورته، ثم ينقشع ظلمة الزيف والبهتان، ويعود التاريخ أبلجًا وضاءً، يجمع أبناء الوطن حوله ليروي لهم الحقيقة..

ثم يأخذنا المؤلف إلى فقرة أخرى من الكتاب أوردها تحت عنوان:

هكذا أصبحت وزيرا

يشير الدكتور المانع هنا، لبعض الجوانب من حياته العلمية حتى تخرجه من جامعة القاهرة في العام١٤٠٠هجرية. مختصاً في طب الأنف والأذن والحنجرة، وعمله في مستشفى الرياض المركزي، ثم ابتعاثه إلى ألمانيا الغربية وحصوله على الدكتوراه، من جامعة «هايدل» في عام ١٤١٥ هجرية.. وفي العام ١٤٢٤ هجرية، عُيّن وزيرًا للصحة لفترة امتدت ستة أعوام.

الأمير(الملك) سلمان وأغلى الذكريات

وهنا ينوّه المؤلف بقوله: «إن الأمير (الملك) سلمان، هو الأب الروحي لكل من اقترب من فكره ومن عظيم شمائله، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن مؤسس مجد هذه الأمة، وباني صروح عزتها، وقد التقى به المؤلف حين حضر الحفل الذي أقامته وزارة الصحة لتوديع وزير منصرف، وتشييع وزير جديد، تخرج من مدرسته وعلى يديه في مجلس منطقة الرياض التي كان أميرًا عليها، ومن يعرف أبا فهد فقد عرف الوفاء والشهامة وتقدير الرجال».

الحقائق.. الشاهد الصادق

ثم ينقلنا الكاتب بسلاسة لغوية استثنائية، إلى حقائق كأنها الشمس التي لا يمكن أن تستمر محجوبة، نستقيها من خلال قوله:

الاعتبار الأول

إنني لم أكن اطمح يومًا إلى مقعد علمي أو أدبي، أعلى من مقعد استشاري في جراحة الأنف والأذن والحنجرة.

الاعتبار الثاني

إن ذلك الشاب الذي أهين على يد أحد الوجهاء، دون وجه حق، لم يكن يدري أنه بعد سنوات معدودة سيجلس على مقعد الوزير.

الاعتبار الثالث

الصيد الذي أفخر به من الحب والثقة من قبل الزملاء والأصدقاء، الذين التقيت معهم على حب هذا الوطن.

الخاتمة

وفيها يقول المؤلف، هذا كتابي الأول أروي فيه سيرة وزارية عشتها فترة معينة من الزمن، وقد حرصت أن تكون هذه السيرة صريحة بعض الشيء، لأن الصراحة الكاملة ضرب من المستحيل، فللقَسَم الوزاري مستلزمات، وللمروءة لوازم، وقد عاهدت نفسي والقارئ الكريم أن أورد الوقائع بصدق دون تجنٍّ، ولا ذنب لي إن أغضب إيرادي غيري، والمجال مفتوح إن يريد التعقيب، وفضاء الرأي أوسع من أن يضيق بأحد.

وهذا الكتاب يعني الطبيب وجميع الممارسين في المجال الصحي، ويفتح آفاقًا للنقاش مع الأكاديميين والمختصين بالتعليم الطبي، وفيه لمحات مهمة أن يخطط للقطاع الصحي، وفوق ذلك يخاطب القارئ غير المتخصص، فهو بوح لكل مواطن، وشهادة لهذا الجيل ولغيره من الأجيال، وفي هذه السيرة جهود ونقاشات وآراء وموقف ورجال وأفكار وحكايات، وأطلب من القارئ الحصيف أن يطالعها بذهن متوقد، وفكر مستقل، وأن يضع لها ما شاء من أسئلة واحتمالات، آملا منه أن يثق أني قد سطرت ما سيراه، صادقًا في اعتقاده، ناصحًا في إيراده غير متشبع بما لم أعط في تعدادها.

وأحمد الله على أنني استطعت أن أدوّن هذه الجمل والمفردات، وأنا في كامل ملكاتي العقلية، ثم بالشكر لكل من قرأها قبل نشرها ووجّه باقتراحات أفدت منها.

ثم يختم كتابه هذا بالقول:

عندما يكون المرء في خريف العمر، وينظر إلى الوراء، يرى إنجازات، يحمد الله عليها، ويفخر بها، وهفوات وأخطاء كان يأمل لو أنها لم تقع.

---

* باحث سوري مقيم في السعودية.

السينما السعودية والرواية المحلية

أ. صلاح القرشي

لماذا تغيب الرواية المحلية عن السينما السعودية؟

كثيرا ما طرح هذا السؤال سواء على السينمائيين أو على الروائيين. وربما عقدت الندوات والمؤتمرات للبحث عن إجابة تتعلق بغياب المنتج الروائي المحلي عن الأفلام السعودية التي صارت تنتج بنسبة لا بأس بها في الأعوام القليلة الماضية؛ فقد شهد عام ٢٠٢٢ عرض (١١) فيلماً سعودياً في قاعات السينما.

والجواب من وجهة نظري المتواضعة هو أنه لكي تستلهم السينما السعودية الرواية المحلية، فالأمر يتطلب بداية أن يقرأ السينمائي هذه الرواية!

ومن هنا فالسؤال يجب أن يصاغ بطريقة أخرى!هل السينمائي السعودي لديه اهتمام بمطالعة المنتج الروائي المحلي؟

والحق أنه ومن متابعتي التي أزعم أنها جيدة للمحتوى السينمائي المحلي في السنوات الأخيرة، فالأمر الجلي والواضح هو أن المخرج السينمائي السعودي ليس لديه ذلك الاهتمام أو الاطلاع أو الرغبة في خوض غمار نقل الرواية إلى الشاشة، أو ربما يكمن السبب في كون عملية نقل الأدب إلى السينما عملية صعبة ومحفوفة بالمخاطر كما يصفها (ارنستو ساباتو) في حواراته مع (بورخيوس).

الأمر الأخر الذي يحضر هنا هو سؤال ربما يخطر في ذهن القارئ: هل هناك حاجة حقيقية كي تلتفت السينما السعودية نحو الرواية المحلية؟

اعتقد أن حاجة السينما إلى الرواية تكمن في قيمة التنوّع الذي يمكن أن تمنحه الرواية للعمل السينمائي، ومع اليقين بأهمية ما يعرف بسينما المؤلف التي أولت ظهرها للأدب، ومع اليقين بأهمية التجريب وأهمية التمرد على تقاليد الكتابة عند بعض السينمائيين، إلا إن تكريس هذا النوع من السينما فقط سيجعل الأعمال السينمائية تبدو مكررة وتقلد نفسها، وبخاصة وأن السينما قد ارتبطت بالأدب منذ نشأتها، كما ارتبطت بالكثير من الفنون كالموسيقى، والغناء، والمسرح، ولعل ارتباطها القوي بالرواية يكمن في علاقة الفنيين بالحكاية.

ولا تكاد توجد رواية عالمية ذات قيمة أدبية عالية لم يتم نقلها إلى الشاشة الكبيرة، وربما نقلت الرواية الواحدة عدة مرات من خلال مخرجين مختلفين وبتصورات مختلفة ومتنوعة.

ولا مناص من القول إن السينما السعودية تحديداً بحاجة إلى استلهام الرواية المحلية حاجتها إلى الموضوع والفكرة، وإلى أن تتلمس الواقع الموغل في البيئة المحلية؛ لأنها من هذه الزاوية يمكن أن تتميز ويزداد حضورها لدى المشاهد المحلي، خصوصاً وأنها في خضم منافسة شديدة الصعوبة مع السينما القادمة من شتى بلدان العالم.

السينما السعودية بحاجة إلى الرواية المحلية، وتعالي السينمائي، أو جهله وعدم اطلاعه على الأعمال الروائية سيشكل في النهاية نقصاً لا ريب فيه في قيمة الإنتاج السينمائي المحلي، ومع اليقين بصعوبة إنتاج فيلم مبني على رواية أدبية، إلا إنّ الموهبة والبراعة والشغف كفيلة بأن تذلل كل الصعوبات.

---

* كاتب سعودي.

من إصدارات الجوبة

من إصدارات برنامج النشر في
مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

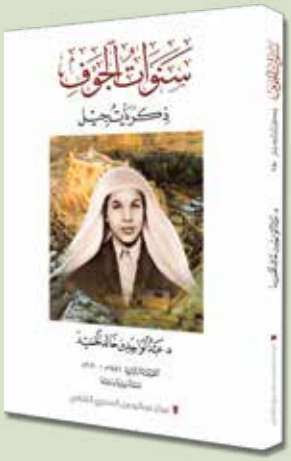

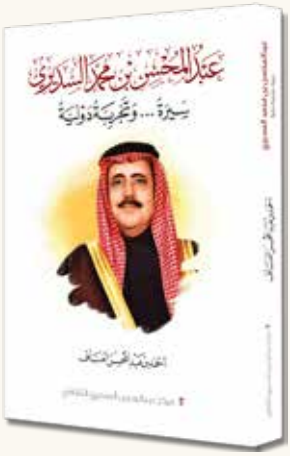

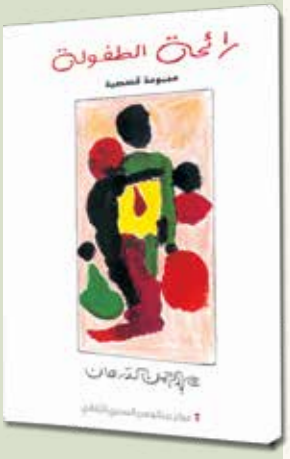

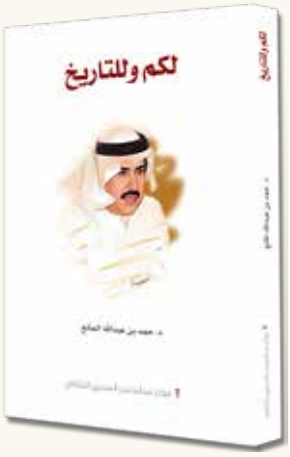

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي
الجوف: ص. ب: 854 هاتف 014 6245992 فاكس 014 6247780
الرياض: ص.ب 94781 الرياض 11614 هاتف 011 4999946 جـوال 055 3308853
الغاط: ص. ب 63 - دار الرحمانية هاتف 016 4422497 فاكس 016 4421307
www.alsudairy.org.sa | info@alsudairy.org.sa
Alsudairy1385 0553308853